التصوف

المنشأ والمصادر

تأليف

إحسان إلهي ظهير

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

الطبعة الأولى
١٤٠٦ھ ـــــ ١٩٨٦م

الناشر
إدارة ترجمان السنة

المكتب الرئيسي، ٥٠-لوئر مال-لاهور-باكستان
المكتب الفرعي، ٤٧٥-شادمان-لاهور-باكستان
الهواتف ٥٤٠٧٢—٢٢٥٣٥٣—٤١٣١٣٠—٤١٣١٣١

طبع
قومي پريس — ٥٠-لوئر مال-لاهور

إهـــداء ..

إلى الشيخ الذي لا يرضى أن يُذكر اسمه كيلا يضيع أجره يُقاسمني همومي وآلامي، ويقف ورائي في نوائب الزمان والحوادث وقفة شريف وكريم.

إن لم تُعنّي خيلُه وسلاحُه
فمتى أقودُ إلى الأعادي عسكرا؟

أهدي إليه هذا الكتاب احتراما لشخصه، وحُبّا لشمائله، وتقديرا لمواقفه ووفاءً لإخلاصه واعتزازا به.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

حمداً لله على نعمه الظاهرة والباطنة كما يليق بجلاله وجنابه ، وصلاة وسلاما على رســولـه خير النبيـين وأشـرف المـرسلين ، ومن تمسـك بسنتـه ، وعضّ عليهـا بالنواجذ ، واهتدى بهديه من أصحابه وأهل بيته وأتباعه إلى يوم الدين ، وبعـد :

فإننى قد اشتغلت بكتابى هذا منذ أمد غير قصير ، أقدم عليه تارة وأتأخر عنه أخرى ، متردّدا بين الاحجام والاقدام .

ولكننـا لما رأينـا احتياج الناس إلى معرفة هذه الفئة من الناس وأفكارها وآرائها ومعتقـداتهـا ، وكـونهم مترددين مذبـذبـين فى تقييمهـا ووضعهـا فى مكـانهـا الـلائق الصحيح ، خرجنا من ترددنا وتذبذبنا خائفين من وعيد الله وتهديده :

﴿ وان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾[1] .

و **﴿ ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه ﴾**[2] .

وقولــه : **﴿ لم تلبسـون الحق بالباطـل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾**[3] .

ويعلم الله انه لم يكن هذا التحفظ للحفاظ على نفسى وعرضى ومالى لكونها مهـددة من قبـل الضـالـين ، الغـالين ، والمبطلين المنتحلين ، الذين اكتشفنا أمرهم وكشفنـاه للنـاس واهتدينا إلى خباياهم وخفاياهـم فاظهرناها أمام الآخرين ، وعرضنا صورتهم الحقيقيـة بازالـة نقـاب التقيـة والتسـتر عن وجـوههم ، وامـاطـة اللثام عن أســرارهم وعقـائـدهم وتعـاليمهم الأصليـة الحقيقيـة ، لأن نفسى وجسمى ومـالى وعرضى جعلتها فداء لوجه ربىّ وابتغاء مرضاته :

﴿ إن صلاتى ونسكى ومحيـاى ومماتى لله رب العـالمـين لا شريـك له وبـذلك امرت وأنا أول المسلمين ﴾[4] .

---

(١) سورة البقرة الاية ١٤٦ .

(٢) سورة البقرة الآية ٢٨٣ .

(٣) سورة آل عمران الآية ٧١ .

(٤) سورة الأنعام الآية ١٦٣ .

فنفسي وعرضي ومالي فداء شريعته تعالى وسنة نبيه وصفيه، خير البرية :

فان أبـي ووالـدتـي وعـرضـي لعـرض محمـد منـكـم وقـاء

وكان ذلك مسلك أحبائه ورفاقه وتلامذته ، أصحابه الراشدين وآله الطاهرين والمتبعين لهم باحسان :

فدت نفسـي ومـا ملكت يميني فوارس صدّقـوا فيـهـم ظنـونـي

وإن التحفظ لم يكن حرصا على نفس وعرض ومال ، فان لكل شيء قدرا ، وان أجل الله لآت ﴿ **ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون** ﴾(٥).

﴿ **وكان أمر الله قدرا مقدورا** ﴾(٦).

و ﴿ **كل نفس بما كسبت رهينة** ﴾(٧).

كنت أظن أول الأمـر أن بعض الغـلاة هم الـذين أسـاءوا إلى التصـوف والصوفية ، وأن الغلو والتطرف هو الذى جلب عليهم الطعن وأوقعهم فى التشابه مع التشيـع والشيعـة ، ولكننى وجـدت كلما تعمقت فى المـوضـوع ، وتأملت فى القـوم ورسـائلهم ، وتـوغلت فى جماعـاتهم وطـرقهم ، وحققت فى سيرهم وتراجمهم ـ انه لا اعتدال عندهم كالشيعة تماما ، فان الاعتدال فيهم كالعنقاء فى الطيور ، والشيعى لا يعـد شيعيـا إلاّ حين ما يكـون مغـاليـا متطرفاً، وكذلك الصوفى تماما ، فمن لا يعتقد اتصاف الخلق بأوصاف الخالق ، لا يمكن أن يعدّ صوفيا ووليا من أولياء الله .

ومن الطرائف أن ظنى ذلك كآن يجعلنى ويحثنى على أن أسمّى مجموعة الكتابة عن المتصـوفـة (التصـوف بين الاعتـدال والتطـرف) ولكننى لما كتبت وجدت أن هذا الاسم لايمكن أن يناسب تلك المجموعة من الناس لعدم وجود الاعتدال مع محاولتى أن أجــده لأدافــع عنهم وأجـادل ، وأبـرّر بعض مواقفهم ، وأجـد المعـاذيـر للبعض الأخـرى، ولكننى بعـد قراءتى الطـويلة العميقـة العريضة لكتب الصوفية ومؤلفات التصـوف، وجـدت نفسي ، إمـا أن أجادل بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير ، وأتبع كل شيطـان مريـد ـ ولا جعلنى الله منهم ـ وإمـا أن أقـول الحق ولا أخاف فى الله لومة

---

(٥) سورة الأعراف الآية ٣٤ .
(٦) سورة الأحزاب الآية ٣٨ .
(٧) سورة المدثر الآية ٣٨ .

لائم، وأتقى الله وأكون مع الصادقين ـ وجعلنى الله منهم ورزقنى الاستقامة والثبات عليه.

أما بعد : فهذا كتاب جديد نقدمه إلى القراء فى موضوع جديد وقديم، جديد حيث أنه يبحث عن التصوف والصوفية، وقديم لأنه من نفس السلسلة التى كتبنا عنها وعاهدنا الله عز وجل أن نكتب ونتحدث عنها، ونتكلم فيها، ونزنها بميزان الكتاب والسنة، ونضعها فى معيار النقد والتجزئة والتحليل مادمنا أحياء نستطيع الكتابة والخطابة، ومادام فى أناملنا قدرة على إمساك القلم، وفى اللسان رمق للتفوه والتكلم، لنؤيّد الحق وندعمه، ونعلى كلمته ونرفع علمه، ولنبطل الباطل ونرد عليه، ولندحض شبهاته ونفنّد مزاعمه.

وإننا كنا نقصد أول ما بدأنا فى الكتابة عن التصوف أن نقدم دراساتنا فيه بصورة كتاب متوسط الحجم لا يزيد على ثلاثمائة صفحة، ويشتمل على تاريخ التصوف، بدايته، منشأه ومولده، مصادره وتعاليمه، عقائده ونظامه، سلاسله وزعمائه وقادته، ولكننا رأينا بعد المضى فى الكتابة أن الأمر يتطلب أكثر من كتاب، وعلى الأقل كتابين.

الأول يشتمل على نشأة التصوف ومصادره، وقلّ من تطرق إليها بتفصيل، وكل الكتّاب الذين بحثوا التصوف مروا عليها كعابر سبيل مع أن أهمية المصادر والمآخذ لطائفة وجماعة لا تقل عن أهمية تلك الجماعة وأفكارها، بل قد تزيد عليها بفارق كبير حيث إن المصادر والمآخذ كثيرا ما تحسم النزاع فى معتقدات وعقائد، وتجعل تلك المعتقدات والعقائد تابعة لتلك المصادر.

وعلى هذا فقد فصلنا القول فى ذلك، فى كتاب مستقل نضعه اليوم بين أيدى الباحثين والقراء راجين أن ينال رضاهم، ولعلنا سددنا بذلك ثغرة كانت فى احتياج لأن تسدّ ولوانها تتطلب المزيد، كما اننا نظن أننا فى بحثنا عن مصادر التصوف استطعنا أن نضع النقاط على الحروف، وخاصة بمقارنة النصوص والعبارات عند الآخذ بالنصوص والعبارات عند المأخوذ عنه، ومقارنة المقتبس بالمقتبس منه، من الكتب المعتمدة والمصادر الموثوق بها لدى الاطراف المعنية كلها، وخاصة فى الباب الثالث عن التصوف والتشيع.

ومع اعترافنا باننا قد سُبقنا إلى هذا البحث من قبل بعض الباحثين الذين كتبوا فى هذا الموضوع سيجد القارىء ويلاحظ الباحث أننا أضفنا إليه أشياء

واستدركنا عليهم أشياء كثيرة فى مختصرنا هذا لم يتطرق واحد منهم إليها ، مع المقارنة الـواضحـة ، والمشابهات الصريحة ، والموافقات الجليلة ، والنصوص الكثيرة من كلا الطـرفـين بدون تصنـع وتكلف واستنتاج بعيد واستشهاد شارد غريب ، وأعرضنا عن الأشياء التى كان يمكن ايداعها وايرادها فى هذا المبحث ، ولكن بالكلفة والاستنباط فاخترنا ما لا يسع أحدا إنكاره .

فنحن استـدركنـا على السابقين مباحث هى أكثر أهمية وأكبر وزنا وأعظم شأنا مما اشـتركنـا فى ايـرادهـا ، ولم يذكروها البتة ، من اشتراك الشيعة والصوفية فى اجراء النبوة بعد محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ونزول الوحى ، واتيان الملائكة ، وتكليم الله إيـاهـم ، وعـدم خلوّ الأرض من شخص به ثبات الأرض ووجودها ، وعدم قبول العبـادة بدونـه ، وتفضيـل الـوصى والـولى على النبى ، ونسـخ الشـريعـة ، ورفـع التكاليف ، واباحة المحظورات واتيان المنكرات وغيرها من المواضيع الهامة العديدة ، فالحمد لله على ذلك .

وكذلك يجد القارىء فى الباب الثانى من هذا الكتاب عند بحثنا عن المسيحية باعتبـارهـا أحـد المصادر الهامة للتصوف أننا قد انفردنا بإيراد نصوص مسيحية أصلية لمقارنتها بالنصوص الصوفية شهادة على الآخذ والمأخوذ عنه .

وقد اخترنا فى هذا المبحث مسلكا ذا أبعاد ثلاثة .

أولا : لا نكتفى بايـراد النص الصـوفى بل نورد معـه النص الـذى يشابهه من الديانات الأخرى على خلاف ما تعوّده الكتّاب ثقة منهم بأن القارىء والباحث يعرف ذلك ، فليس بضرورى أن يكون القارىء متخصّصا فى هذا الموضوع حتى يكون له المامة بنصوص تلك الديانات .

ثانيـاً : أوردنـا تأييـدات من قبـل الباحثين والكتّاب من المسلمين والمستشرقين الذين اشتغلوا فى دراسة التصوف باعتبارها شهادات خارجية بعد الشهادات الداخلية الناتجة من مقارنة النصوص نفسها .

وثالثا : جمع النصوص من المتصوفة المتقدمين والمتأخرين المشهورين بالاعتدال والموثوق بهم لدى العامة ، وكذلك نصوص الآخرين من المتصوفة غير المعتدلين وغير الغلاة أيضا .

وحاولنا أن تكون هذه النصوص من الكتب المختلفة والمتفاوتة زمنا ومنهجا كى يكون الموضوع شاملا كاملا ، وافيا شافيا قدر الاستطاعة ، وعلّه لم يجتمع هذا العدد

من النصوص فى مختصر آخر مثل مختصرنا هذا.

فالحمد لله الذى بتوفيقه ومدده وتأييده تتم الأعمال وهو وليّ الهداية والرشاد. ويَجْدُر بِنَا أن نذكر ههنا أن الكتاب الثانى سيشتمل على عقائد وتعاليم صوفية كما يشتمل هذا الكتاب على أصلها ومنشأها ومصادرها، وليس معنى هذا أن هذا الكتاب خال عن معتقداتهم، بل ان أعظم قسط منه يشتمل على العقائد والمعتقدات وإننا لم نبحث عن مصادر التصوف ومآخذه تاريخيا وسردنا لذلك شهادات وتوثيقات، بل أوردنا فيها أوردنا عقائد القوم، الخاصة بهم، وتعاليمهم التى امتازوا بها عن غيرهم، ثم ذكرنا عمن أخذوا هذه المعتقدات، واقتبسوا هذه التعاليم، واحدة بعد واحدة على أنها شهادات داخلية، فعلى ذلك هذا الكتاب مع عنوانه «المنشأ والمصادر» لم يبحث فى الحقيقة والأصل إلا العقائد والمعتقدات، بهذا لا يكون هذا الكتاب موضوعيا صرفا، بل يؤدى رسالته لبيان حقيقة هذه العصابة من الناس وكنهها ولارجاع الأمور إلى نصابها، ووضع الأشياء فى محلها ومقاديرها، وذلك هو العدل.

والنقطة الأخرى التى أشرنا إليها قبل قليل، ونريد أن نركز عليها هى أننا مَا بَنَينا حكمنا، ولا وضعنا احتجاجنا واستدلالنا إلا على المتصوفة المشهورين المعروفين، والموثوق بهم المعتدلين لدى الجميع، وذلك أيضا استشهادا، لا استدلالا، كما يلاحظ الباحث اننا لم نورد فى كل هذا القسم من الحلاج، ولا من طائفته وجماعته رواية واحدة، لا استدلالا ولا استشهادا، كى لا يتهمنا متّهم أننا اخترنا الغلاة ورواياتهم للحكم على التصوف، لانه فى رأينا كما قلنا آنفا لا اعتدال فى التصوف ولدى المتصوفة، اللهم إلا الزهاد الأوائل فانهم ليسوا منهم، ولا هؤلاء من أولئك.

فان التصوف أمر زائد وطارىء على الزهد، وله كيانه وهيئته، نظامه وأصوله، قواعده وأسسه، كتبه ومؤلفاته ورسائله ومصنفاته، كما ان له رجالا وسدنة وزعماء وأعيانا.

فان الزهد عبارة عن ترجيح الآخرة على الدنيا، والتصوف اسم لترك الدنيا تماما.

والزهد هو تجنب الحرام، والاقتصاد فى الحلال، والتمتع بنعم الله بالكفاف، وإشراك الآخرين فى آلاء الله ونعمه وخدمة الأهل والاخوان والخلان.

والتصوف تحريم الحلال ، وترك الطيبات ، والتهرب من الزواج ومعاشرة الأهل والاخوان ، وتعذيب النفس بالتجوع والتعرى والسهر.

فالزهد منهج وسلوك مبنى على الكتاب والسنة ، وليس التصوف كذلك ، لذلك احتيج لبيانه إلى (التعرف لمذهب أهل التصوف) و(قواعد التصوف) و(الرسالة القشيرية) و(اللمّع) و(قوت القلوب) و(عوارف المعارف) وغيرها من الكتب ، وسيأتى تفصيل ذلك فى الكتاب القادم إن شاء الله .

فعندما نكتب عن هذا المذهب أى مذهب التصوف لا عن الزهد ، لأن الزهد كما ورد فى حديث الترمذى « ليس الزهد فى الدنيا بتحريم الحلال ، ولا اضاعة المال ، ولكن الزهد أن تكون بما فى يد الله أوثق بما فى يدك ، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أصبت أرغب منك فيها لو أنها بقيت لك » لأن الله تعالى يقول : ﴿ **لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم** ﴾(٨)

وهذا الأمر أى عدم وجود الاعتدال فى التصوف ينطبق على التشيع ، وهذا هو القدر الآخر المشترك بينهما لأننا فى بحثنا الطويل فى التشيع لم نجد طائفة يمكن أن توصف بالاعتدال ، فالغلو والتطرف من لوازم مذهب التشيع كما قاله الرجالى الشيعى المشهور ، المامقانى فى تنقيحه ، فكذلك التصوف لا يعرف إلا الغلو والتطرف .

فالله أسأل أن يجعلنا أمة وسطا حقا ومن الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، يتمسكون بكتاب ربهم وسنة نبيهم ، ويعضون عليها بالنواجذ ، ويدافعون عن حرمات الله وحرمات رسوله ، وأعراض أصحاب محمد وأهل بيته ، ويذبّون عن المسلك القويم المستقيم ومنهج السلف الصالحين ، ويردون كيد الضالين المنحرفين ، ومكر المبطلين المنتحلين ، لا يهابون جموعهم المتكاثرة ، وأحزابهم المتكالبة ، وفرقهم المعاضد بعضها بعضا ، ويقولون للغاضبين الناقمين الحاسدين ما قاله أصفياء الله وأخياره ﴿ **قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ٠ إن وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين** ﴾(٩) . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

احسان الهى ظهير
ابتسام كاتيج ـ شادمان ـ لاهور
فبراير **١٩٨٦** الموافق
جمادى الآخرة ١٤٠٦هـ

---

(٨) فتاوى شيخ الاسلام ج ١٠ ص ٦٤١ ط الرياض (٩) سورة الأعراف الاية ١٩٥ ، ١٩٦

الباب الأول

التصوف نشأته، تاريخه وتطوراته

الفصل الأول

إن الاسلام دين البساطة ودين الفطرة التى فطر الناس عليها، أنزله الله على قلب سيد الخلق لهداية البشر.

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾(١).

وأمر سبحانه جلّ وعلا أن يتمسك به، ويقدّمه إلى الناس ليعرفوه ويتمسكوا به بدورهم.

وأنه عبارة عن الاقرار بوحدانية الله عز وجل لا شريك له، والشهادة بأن محمدا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه، وإقامة الصلوات الخمس، وايتاء الزكاة بعد مرور عام على ملاك النصاب، وكذلك صوم شهر رمضان من اثنى عشر شهرا، وحج البيت ان استطاع إليه سبيلا، كما ورد في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام أنه جاء يوما من الأيام يسأل النبى ﷺ الاسلام، فقال:

«الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت ان استطعت إليه سبيلا»(٢).

أو كما ورد في حديث أعرابى جاءه صلوات الله وسلامه عليه فقال له: «دلّنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة.

قال: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتى الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان. قال: والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا شيئا ولا أنقص منه. فلما ولّى، قال النبىّ ﷺ: من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»(٣).

---

(١) سورة التوبة الآية ٣٣

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

أو بتعبير آخر أن الإسلام يعبّر عن التمسك بأوامر الله وأوامر رسوله ﷺ، واجتناب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، وقضاء حياة مثل ما قضاها رسول الله، واختيار الطرق والسنن التى اختارها أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه كما أمر به الرب تبارك وتعالى في كلامه المحكم:

﴿أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾(٤).

و**﴿أطيعوا الله ورسوله ولا تولّوا عنه وأنتم تسمعون﴾** (٥).

و**﴿من يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب﴾** (٦).

و**﴿ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم﴾**(٧).

و**﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾**(٨).

و**﴿من يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيماً﴾**(٩).

و**﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾**(١٠).

و**﴿واتبع سبيل من أناب إلىّ ثم إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون﴾**(١١).

وأوامر الله ورسوله، وكذلك نواهى الله ونواهى رسوله موجودة محفوظة في الكتاب والسنة، الكتاب المنزّل على سيد البشر وخاتم الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليه، المعبّر عنه بالذكر الحكيم والفرقان الحميد والقرآن المجيد، الذى جعله الله شفاء وهدى ورحمة للمؤمنين، وسنة رسول الله المعبر عنها بالحكمة في قوله جل وعلا: **﴿ويعلمكم الكتاب والحكمة﴾** وبالحديث النبوى الشريف، ماثبت عنه وصحّ من أقواله وأفعاله وتقريراته، الكتاب والسنة اللذين ذكرهما الرسول ﷺ في قوله حيث حرّض أمته، وحثهم على التمسك والتشبث بهما قائلا: «تركت فيكم أمرين لن

---

(٤) سورة آل عمران الآية ١٣٢ .
(٥) سورة الأنفال الآية ٢٠ .
(٦) سورة الأنفال الآية ١٣ .
(٧) سورة التوبة الآية ٦٣ .
(٨) سورة الحشر الآية ٧ .
(٩) سورة الأحزاب الآية ٧١ .
(١٠) سورة الأحزاب الآية ٢١ .
(١١) سورة لقمان الآية ١٥ .

تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله»[١٢].

ثم ربّى أصحابه وتلامذته في ظلهما وضوئهما تربية نموذجية لكي يكونوا قدوة لمن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، ومثلا عليا لمن أراد أن يهتدى بهدى الله جل وعلا وهدى رسوله ﷺ. فكانوا صورة حية لتعاليم الرب تبارك وتعالى وارشادات رسوله ﷺ متبعين مقتدين، غير مبتدعين محدثين، متقدمين بين يدى الله ورسوله، مبتغين مرضات الله، ومقتفين آثار رسول الله ﷺ، مهتدين بهديه، سالكين بمسلكه، منتهجين منهجه، غير باغين ولا عادين، ولا مفرطين ومفرّطين في أمور دينهم ودنياهم: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾[١٣].

وكان خيار هؤلاء كلهم ـ وكلّهم خيار الخلق أجمعين ـ أصحاب بيعة الرضوان الذين بايعوا رسول الله ﷺ على الموت وهم في الحديبية، فأنزل الله لهم البشرى برضوانه وجعل يده فوق أيديهم: ﴿**لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة**﴾[١٤].

و﴿**إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**﴾[١٥].

وفاقهم فى المنزلة والشأن أهل بدر، الذين اطلع الله عليهم فقال: «اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة»[١٦].

وزاد على هؤلاء فضلا ومنقبة ومكانة من رفعهم الله بتبشيره اياهم بالجنة واحدا واحدا بالاسم والمسمى على لسان نبيهم الناطق بالوحى، الذى لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى، الصادق المصدوق صلوات الله وسلامه عليه، العشرة المبشرة ﴿**لهم البشرى في الحياة الدنيا وفى الآخرة لا تبديل لكلمات الله، ذلك هو الفوز العظيم**﴾.

ولو أنه زادهم رفعة وعظمة من قال في حقهما سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه: «خير الخلائق بعد نبى الله أبو بكر ثم عمر»[١٧].

---

(١٢) رواه مالك في الموطأ.

(١٣) سورة الأنعام الآية ٩٠.

(١٤) سرة الفتح الآية ١٨.

(١٥) سورة الفتح الآية ١٠.

(١٦) متفق عليه.

(١٧) هذا الحديث رواه البخارى عن على، وأطرف من ذلك أن هذا الحديث ورد في الكتب الشيعية أيضا ـ انظر لذلك كتابنا الشيعة وأهل البيت.

فمن أراد أن يرى الإسلام متجسدا في شخصهم، وذواتهم، وخلقهم، وعاداتهم، وأقوالهم، وأفعالهم، فلينظر إلى هؤلاء، فإنهم كانوا ممثلى الإسلام الصحيح، الكامل، غير المشوب بشوائب البدع والمحدثات، والخرافات والضلالات التى لحقت الاسلام بعد أدوار وأطوار، فإنهم كانوا تلامذة المدرسة الإسلامية الأولى التى كان أستاذها والمعلم فيها سيد ولد آدم، المحفوظ بحفظ الله، والمعصوم بعصمة الله، والمؤيد بوحى الله، والهادى إلى الصراط المستقيم. ﷺ.

ولأجل ذلك حصر الله رضاه والدخول فى الجنة لمتبعيهم بإحسان لكل من يأتى بعدهم، ﴿**والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه**﴾(١٨).

فهم أولياء الله الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون لأنهم هم الذين حبب إليهم الإيمان وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان وأولئك هم الراشدون.

وهم القدوة الحسنة، والمحكّ والمعيار لمعرفة الحق من الباطل، والهدى من الزيغ والضلال.

فكل عمل يخالف عملهم، وكل قول يعارض قولهم، وكل طريق فى الحياة يناهض طريقهم مردود مرفوض مطرود، لأنهم شاهدوا من رسول الله ما لم يشاهده غيرهم، وسمعوا عن نبى الله مالم يسمعه الآخرون، وربّاهم من لم يربّ هؤلاء، وتتلمذوا على من لم يتلمذ عليه أولئك، فهم أشبه الناس في أقوالهم وأفعالهم، وأخلاقهم وعاداتهم، وعباداتهم ومعاملاتهم، ومعاشرتهم ومعاشهم برسول الله صلوات الله وسلامه عليه من غيرهم، فلذلك أُمر المؤمنون باتباعهم، وإلى ذلك أشار نبى الرحمة ﷺ فى قوله «ما أنا عليه وأصحابى» حيث جعلهم معه على طريقة واحدة ومنهج واحد، ولم يُدخل في هذا الاختصاص أحدا غيرهم، ولم يخصهم بهذه المزية والفضيلة إلا بأمر من الله وايعازه حيث أنزل عليه في محكم كتابه أن يقول: ﴿**قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى**﴾(١٩).

ولم يرد من قوله (ومن اتبعنى) آنذاك إلاأصحابه ورفاقه، تلامذته الراشدين، وأوفيائه الصادقين، الهادين المهديين رضى الله عنهم أجمعين.

ففى ضوء الكتاب والسنة، وأسوة الرسول وسيرته، وعمل أصحابه وحياتهم

---

(١٨) سورة التوبة الآية ١٠٠

(١٩) سورة يوسف الآية ١٠٨

توصع وتوزن أعمال المسلمين المتخلّفين وأقوال من جاء بعدهم، فما وجد لها سند ودليل يحكم عليها بالصحة والصواب، قطع النظر عمن صدرت عنه، وممن وردت.

وما لم يعاضدها الكتاب ولم تناصرها السنة، ولم يوجد لها أثر في حياة الصحابة وأفعالهم يحكم عليها بالفساد والبطلان، سواء وردت من صغير أوكبير، تقي أو شقي، لأن «أحسن الكتاب كتاب الله، وخير الأمور أوسطها، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»[٢٠].

وقال عليه الصلاة والسلام: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[٢١].

وإن المسلمين لملزمون أن يؤمنوا بأن الله لم يترك خيرا لأمة محمد ﷺ إلا وقد بيّنه لرسوله ﷺ، ولا شراً إلا وقد نبّهه عليه، ثم رسول الله ﷺ لم يكتم بيانه، ولم يقصّر في تبليغه إلى الناس، فأخبر الخلق بكل ما أخبر عن الله عزوجل لصلاحهم وفلاحهم، ولم يخصّ شخصا دون شخص ﴿**وما هو على الغيب بضنين**﴾[٢٢].

وكان مأمورا من الله بأن يبلغ كل ما نزل إليه، قال تعالى: ﴿**ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾[٢٣].

كما ان المسلمين مطالبون أيضا أن يؤمنوا بأن الدين قد كمل في حياة رسول الله ﷺ، ولم يتوفه الله إلا بعد اتمام الإسلام ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**﴾[٢٤].

ومن يعتقد أن شيئا من الدين ولوصغيرا بقي ولم ينزله الله على نبيه، أولم يبينه صلوات الله وسلامه عليه فإنه لايؤمن بكمال الدين على رسوله ﷺ، ولاتمام الإسلام في حياته، لأنه بدون هذا ينقص الدين ولا يكمل، وهذا معارض لقول الله عزوجل، ومناف لختم نبوة محمد صلوات الله عليه وسلامه عليه.

ويتضح بذلك جليا أنه لابدّ من الاعتقاد أن كل شيء لايوجد في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فليس من الدين ـ وهو محدث وبدعة وضلالة، وهذا هو الصحيح

(٢٠) رواه أبو داؤد.
(٢١) متفق عليه.
(٢٢) سورة التكوير الآية ٢٤.
(٢٣) سورة المائدة الآية ٦٧.
(٢٤) سورة المائدة الآية ٣.

الثابت عن الله وعن رسوله ـ أما اعتقاد انه من الدين وأن الدين لم يكمل بعد، فهذا هو عين الكفر والضلالة، وقائله ليس من المؤمنين والمسلمين بالاتفاق، فلابدّ من أحد الأمرين، أما هذا أو ذلك، ولا يمكن الجمع بينهما. ﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم**﴾[٢٥].

و﴿**هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير**﴾[٢٦].

ومن هذا المنظور والرؤية نرى التصوف، وننظر في الصوفية، ونبحث في قواعده وأصوله ونحقق أسسه ومبادئه، مناهجه ومشاربه، هل لها أصل في القرآن والسنة، أو سند في خيار خلق الله أصحاب رسول الله الذين هم أولياء الله الحقيقيون الأولون من أمة محمد، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

﴿**والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم**﴾[٢٧].

و﴿**الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون. يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم. خالدين فيها أبدا ان الله عنده أجر عظيم**﴾[٢٨].

و﴿**فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون**﴾[٢٩].

فإن كان كذلك فعلى المؤمنين كافة الاقرار والتسليم، والتمسك والإلتزام، وليس لهم الخيار في الترك أو القبول، ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا**﴾[٣٠].

وأيضا: ﴿**فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**﴾[٣١].

---

(٢٥) سورة الأنفال الاية ٤٢.
(٢٦) سورة التغابن الآية ٢.
(٢٧) سورة الأنفال الآية ٧٤.
(٢٨) سورة التوبة الآية ٢٠، ٢١، ٢٢.
(٢٩) سورة الأعراف الآية ١٥٧.
(٣٠) سورة الأحزاب الآية ٣٦.
(٣١) سورة النساء الآية ٦٥.

وشمل قول الله عزوجل في الآية القرآنية الأخرى أصحاب نبيه ﷺ لكونهم قدوةمتبعوين بعد الله ورسوله حيث قال:

﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾(٣٢).

وما لم يكن كذلك فتركه واجب، والالتفات إليه حرام، بقطع النظر عمن قاله وعمل به.

وبمثل ذلك قال الامام أبو إسحاق الشاطبي في اعتصامه:

«(والثاني) إن الشريعة جاءت كاملة لاتحتمل الزيادة ولا النقصان، لأن الله تعالى قال فيها: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا﴾**.

وفي حديث العرباض بن سارية: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها الأعين ووجلت منها القلوب، فقلنا: يارسول الله، إن هذه موعظة مودع فما تعهد إلينا؟ قال: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، ولا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى» الحديث.

وثبت أن النبي ﷺلم يمت حتى أتى ببيان جميع ما يحتاج إليه في أمر الدين والدنيا وهذا لا مخالف عليه من أهل السنة.

فإذا كان كذلك، فالمبتدع إنما محصول قوله بلسان حاله أومقاله: إن الشريعة لم تتم، وأنه بقى منها أشياء يجب أويستحب استدراكها، لأنه لوكان معتقدا لكمالها وتمامها من كل وجه، لم يبتدع ولا استدرك عليها. وقائل هذا ضال عن الصراط المستقيم.

قال ابن الماجشون: سمعت مالكا يقول: من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة، لأن الله يقول: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾** فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكون اليوم دينا.

(والثالث) إن المبتدع معاند للشرع ومشاقٌ له، لأن الشارع قد عين لمطلب العبد طرقاً خاصة على وجوه خاصة، وقصر الخلق عليها بالأمر والنهى والوعد والوعيد

---

(٣٢) سورة النساء الآية ١٥.

وأخبر أن الخير فيها، وأن الشر في تعديها - إلى غير ذلك، لأن الله يعلم ونحن لا نعلم، وأنه إنما أرسل الرسول ﷺ رحمة للعالمين. فالمبتدع رادٌ لهذا كله، فإنه يزعم أن ثمَّ طرقا أخر، ليس ما حصره الشارع بمحصور، ولا ماعينه بمتعين، كأن الشارع يعلم، ونحن أيضا نعلم. بل ربما يفهم من استدراكه الطرق على الشارع، أنه علم مالم يعلمه الشارع.

وهذا إن كان مقصودا للمبتدع فهو كفر بالشريعة والشارع، وإن كان غير مقصود، فهو ضلال مبين.

وإلى هذا المعنى أشار عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، إذ كتب له عديٌّ بن أرطاة يستشيره في بعض القدرية، فكتب إليه:

«أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد فى أمره واتِّباع سنة نبيه ﷺ، وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة، فإن السنة إنما سنَّها من قد عرف مافى خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق، فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ، قد كفوا وهم كانوا على كشف الأمور أقوى، وبفضل كانوا فيه أحرى. فلئن قلتم: أمر حدث بعدهم، ما أحدثه بعدهم إلا من اتبع غير سننهم، ورغب بنفسه عنهم، إنهم لهم السابقون، فقد تكلموا منه ما يكفى، ووصفوا منه ما يشفى، فما دونهم مقصر، وما فوقهم محسر، لقد قصر عنهم آخرون فقلوا وأنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم».

ثم ختم الكتاب بحكم مسئلته.

فقوله: «فإن السنة إنما سنها من قد عرف مافى خلافها» فهو مقصود الاستشهاد.

(والرابع) إن المبتدع قد نزل نفسه منزلة المضاهى للشارع، لأن الشارع وضع الشرائع وألزم الخلق الجرى على سننها، وصار هو المنفرد بذلك، لأنه حكم بين الخلق فيما كانوا فيه يختلفون. وإلا فلو كان التشريع من مدركات الخلق لم تنزل الشرائع، ولم يبق الخلاف بين الناس. ولا احتيج إلى بعث الرسل عليهم السلام.

هذا الذي ابتدع في دين الله قد صير نفسه نظيراً ومضاهيا، حيث شرع مع

الشارع، وفتح للاختلاف باباً، ورد قصد الشارع في الانفراد بالتشريع وكفى بذلك»[٣٣].

وبعد هذه التوطئة المختصرة والمهمة أيضا ننتقل إلى المقصود والمطلوب، وهو معرفة التصوف والصوفية، وجعل الشرع حاكما عليهما، وعرض آرائهما وأفكارهما عليه. وبالله التوفيق.

(٣٣) الاعتصام للشاطبي ص٤٨ إلى ٥١ ط مطبعة السعادة مصر.

الفصل الثاني

أصل التصوف واشتقاقه

قبل أن نبحث في التصوف ونشأته وتاريخه نريد أن نذكر أصل اشتقاقه، من أين اشتق؟ وكيف كان اشتقاقه؟ واختلاف الباحثين فيه والصوفية أنفسهم أيضا، ولقد سئل الشبلى: لم سميت الصوفية بهذا الاسم؟.

فقال: «هذا الاسم الذى أطلق عليهم اختلف في أصله وفي مصدر اشتقاقه»(٣٤).

ولا زالوا مختلفين فيه حتى اليوم.

فلقد نقل الطوسى أبو نصر السراج(٣٥) في كتابه الذي يعد أقدم مرجع صوفى، عن صوفى أنه قال:

«كان في الأصل صفوى، فاستثقل ذلك، فقيل: صوفى ـ ويمثل ذلك نقل عن أبي الحسن الكناد: هو مأخوذ من الصفاء»(٣٦).

وينقل الكلاباذى أبو بكر محمد الصوفي المشهور(٣٧) عن الصوفية أقوالا عديدة في أصل هذه الكلمة واشتقاقها، فقال:

قالت طائفة: إنما سميت الصوفية صوفية لصفاء أسرارها، ونقاء آثارها.

وقال بشر بن الحارث: الصوفى من صفت لله معاملته، فصفت له من الله عز وجل كرامته.

وقال قوم: انما سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدى الله جل وعز بارتفاع هممهم إليه، وإقبالهم عليه، ووقوفهم بسائرهم بين يديه.

---

(٣٤) «أبحاث في التصوف» للدكتور عبد الحليم محمود، المدرجة في مجموعة مؤلفاته ص٥٥ ط دار الكتاب اللبنانى الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

(٣٥) هو أبو النصر عبد الله بن على السراج الطوسي الملقب بطاووس الفقراء، توفى في رجب سنة ٣٧٨هـ.

(٣٦) انظر «كتاب اللمع» ص٤٦ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور ط دار الكتب الحديثة بمصر ١٩٦٠م.

(٣٧) هو أبو بكر محمد الكلاباذى الملقب بتاج الاسلام، قيل في شأن كتابه (التعرف): لولا التعرف لما عرف التصوف (مقدمة كتابه).

وقال قوم: إنما سموا صوفية لقرب أوصافهم من أوصاف أهل الصفة، الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

وقال قوم: إنما سموا صوفية للبسهم الصوف.

وأما من نسبهم إلى الصفة والصوف فإنه عبرّ عن ظاهر أحوالهم، وذلك أنهم قوم قد تركوا الدنيا، فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد، لم يأخذوا من الدنيا إلا ما لا يجوز تركه، من ستر عورة، وسد جوعة.

فلخروجهم عن الأوطان سموا غرباء.

ولكثرة أسفارهم سموا سياحين.

ومن سياحتهم في البرارى وإيوائهم إلى الكهوف عند الضرورات سماهم بعض أهل الديار «شكفتية» والشكفت بلغتهم: الغار والكهف.

وأهل الشام سموهم «جوعية» لأنهم إنما ينالون من الطعام قدرما يقيم الصلب للضرورة، كما قال النبى ﷺ «بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه».

وقال السرى السقطى، ووصفهم فقال: أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى، وكلامهم كلام الخرقى.

ومن تخلّيهم عن الأملاك سموا فقراء.

قيل لبعضهم: من الصوفي؟ قال: الذي لا يَملك ولا يُملك. يعنى لا يسترقه الطمع.

وقال آخر: هو الذى لا يملك شيئا، وإن ملكه بذله.

ومن لبسهم وزيّهم سموا صوفية، لأنهم لم يلبسوا لحظوظ النفس ما لان مسّه، وحسن منظره، وإنما لبسوا لستر العورة، فتجزّوا بالخشن من الشعر، والغليظ من الصوف.

ثم هذه كلها أحوال أهل الصفة، الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ، فإنهم كانوا غرباء فقراء مهاجرين، أخرجوا من ديارهم وأموالهم، ووصفهم أبوهريرة وفضالة بن عبيد فقالا: يخرون من الجوع حتى تحسبهم الأعراب مجانين. وكان لباسهم الصوف، حتى إن كان بعضهم يعرق فيه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه المطر.

هذا وصف بعضهم لهم، حتى قال عيينــة بن حصن للنبى ﷺ: إنـه ليؤذيني هؤلاء أما يؤذيك ريحهم؟.

ثم الصوف لباس الأنبياء، وزيُّ الأولياء.

وقال أبو موسى الأشعرى عن النبي ﷺ «إنه مرَّ بالصخرة من الروحاء سبعون نبياً حفاة عليهم العباء يؤمون البيت العتيق».

وقـال الحسن البصـرى: كان عيسى عليـه السـلام يلبس الشعـر، ويأكل من الشجرة، ويبيت حيث أمسى.

وقال أبو موسى: كان النبى ﷺ يلبس الصوف، ويركب الحمار، ويأتى مدعاة الضعيف.

وقال الحسن البصرى: لقد أدركت سبعين بدرياً ما كان لباسهم إلا الصوف.

فلما كانت هذه الطـائفـة بصفـة أهـل الصفـة فيـما ذكـرنا، ولبسهم وزيهم زى أهلها، سموا صُفيّة وصوفية.

ومن نسبهم إلى الصفة والصف الأول فإنه عبر عن أسرارهم وبواطنهم، وذلك أن من ترك الدنيا وزهد فيها وأعرض عنها، صفَّى الله سره، ونوَّر قلبه.

قال النبى ﷺ: «إذا دخل النور في القلب انشرح وانفسح»، قيل: وما علامة ذلك يارسول الله؟ قال «التجافى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله».

فأخبر النبى ﷺ أن من تجافى عن الدنيا نور الله قلبه.

وقـال حارثـة حين سأله النبى ﷺ: ما حقيقة إيمانك؟ قال: عزفت بنفسى عن الـدنيـا، فأظمأت نهاري، وأسهرت ليلى، وكأنى أنظر إلى عرش ربي بارزا، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وإلى أهل النار يتعادون.

فأخـبر أنـه لما عزف عن الـدنيـا نور الله قلبـه، فكـان ما غاب عنـه بمنـزلـة ما يشـاهـده. وقـال النبى ﷺ: «من أحب أن ينظـر إلى عبـد نور الله قلبـه فلينظـر إلى حارثة، فأخبر أنه منوّر القلب.

وسميت هذه الطائفة نورية لهذه الأوصاف.

وهـذا أيضـا من أوصـاف أهـل الصفة، قال الله تعالى: ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾.

والتطهر بالظواهر عن الأنجاس، وبالبواطن عن الأهجاس.

وقال الله تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾. ثم لصفاء أسرارهم تصدق فراستهم.

قال أبو أمامة الباهلى رضى الله عنه عن النبى ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله».

وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه: ألقى في روعى أن ذا بطن بنت خارجة، فكان كما قال.

وقال النبى ﷺ: «إن الحق لينطق على لسان عمر».

وقال أبو أويس القرنى لهرم بن حيان حين سلم عليه: وعليك السلام ياهرم بن حيان، ولم يكن رآه قبل ذلك، ثم قال له: عرف روحى روحك.

وقال أبو عبد الله الأنطاكي: إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنهم جواسيس القلوب يدخلون في أسراركم ويخرجون من هممكم.

ثم من كان بهذه الصفة من صفوة سرّه وطهارة قلبه ونور صدره فهو في الصف الأول، لأن هذه أوصاف السابقين.

قال النبى ﷺ: «يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفا بغير حساب» ثم وصفهم وقال: «الذين لا يرقون ولا يسترقون، ولا يكوون ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون».

فلصفاء أسرارهم، وشرح صدورهم، وضياء قلوبهم: صحت معارفهم بالله، فلم يرجعوا إلى الأسباب ثقة بالله عز وجل، وتوكلا عليه، ورضاً بقضائه.

فقد اجتمعت هذه الأوصاف كلها، ومعانى هذه الأسماء كلها في أسامى القوم وألقابهم، وصحت هذه العبارات وقربت هذه المآخذ.

وإن كانت هذه الألفاظ متغيرة فى الظاهر، فإن المعاني متفقة لأنها إن أخذت من الصفاء والصفوة كانت صفوية.

وإن أضيفت إلى الصف أو الصُّفة كانت صَفيّة أو صُفية، ويجوز أن يكون تقديم الواو على الفاء في لفظ الصوفية، وزيادتها في لفظ الصفية والصُّفية إنما كانت من تداول الألسن.

وإن جعل مأخذه من الصوف: استقام اللفظ، وصحت العبارة من حيث اللغة.

وجميع المعانى كلها من التخلى عن الدنيا وعزوف النفس عنها وترك الأوطان ولزوم الأسفار، ومنع النفوس حظوظها، وصفاء المعاملات، وصفوة الأسرار، وانشراح الصدور وصفة للسباق.

وقال بندار بن الحسين: الصوفي من اختاره الحق لنفسه فصافاه، وعن نفسه برأه، ولم يرده إلى تعمّل وتكلف بدعوى.

وصوفى على زنة عوفى، أى عافاه الله فعوفى وكوفى، أى كافاه الله فكوفى، وجوزى، أى جازاه الله، ففعل الله به ظاهر في اسمه والله المتفرد به»(٣٨).

هذا ما تخبط به الكلاباذى من الخلط والغلط قطع النظر عن ضعف أكثر الروايات التي ساقها وسردها.

ويكتب من الصوفية المتقدمين أبو العباس أحمد بن زروق(٣٩) في كتابه قواعد التصوف: وقد كثرت الأقوال فى اشتقاق التصوف، وأمسى ذلك بالحقيقة خمسة.

الأول: قول من قال: من الصوفة، لأنه مع الله كالصوفة المطروحة لا تدبير له.

الثاني: انه من صوفة القفا، للينها، فالصوفى هينّ لينّ كهى.

الثالث: أنه من الصفة، إذ جعلته اتصاف بالمحاسن وترك الأوصاف المذمومة.

الرابع: انه من الصفاء، وصحح هذا القول حتى قال أبو الفتح البستى رحمه الله:

تنازع الناس في الصوفى واختلفوا ... وظنه البعض مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى ... صافى فصوفى حتى سمى الصوفى

الخامس: انه منقول من الصفة لأن صاحبه تابع لأهلها فيما أثبت الله لهم من الوصف حيث قال تعالى: ﴿**يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه**﴾. وهذا

---

(٣٨) «التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذى ص٢٨ إلى ٣٤ تحقيق محمود أمين النواوى الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة.

(٣٩) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن زرّوق: علم من أعلام الصوفية، وإمام من أئمة أهل الحقيقة (انظر الصفحة الفوقانية لكتاب قواعد التصوف).

هو الأصل الذي يرجع إليه كل قول فيه»(٤٠).

وقال أبو نعيم الأصبهانى المتوفى ٤٣٠هـ في حليته:

واشتقاقه من حيث الحقائق التي أوجبت اللغة فانه تفعل من أحد أربعة أشياء، من الصوفانة، وهي بقلة رعناء قصيرة، أو من صوفة وهى قبيلة كانت في الدهر الأول تجيز الحاج وتخدم الكعبة، أو من صوفة القفاء وهى الشعرات النابتة في متأخره، أو من الصوف المعروف على ظهور الضأن»(٤١).

وقال مرجحا كونه مأخوذا من الصفاء:

«اشتقاقه عند أهل الاشارات والمنبئين عنه بالعبارات من الصفاء والوفاء»(٤٢).

وذهب إلى هذا الرأى فريد الدين العطار المتوفى ٥٨٦هـ تقريبا نقلا عن بشر الحافي(٤٣).

وكذلك الصوفي الهندي فريد الدين الملقب بكنج شكر المتوفى ٦٦٩هـ(٤٤).

ولكن السهروردى الذي فصل القول في هذا يرى رأيا آخر، وهو أنه مشتق من الصوف ولبسه، فاليكم ما قاله في كتابه (عوارف المعارف) في الباب السادس تحت عنوان: ذكر تسميتهم بهذا الاسم:

«أخبرنا الشيخ أبو زرعة طاهر بن محمد بن طاهر، وقال أخبرنى والدي، قال أخبرنا أبو على الشافعى بمكة حرسها الله تعالى، قال أخبرنا أحمد بن إبراهيم، قال أخبرنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم، قال أخبرنا أبو عبد الله المخزومى، قال: حدثنا سفيان عن مسلم عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف، فمن هذا الوجه ذهب قوم إلى أنهم سموا صوفية نسبة

---

(٤٠) «قواعد التصوف» لابن زرّوق الطبعة الثانية ص٢٩٣ ط ١٣٩٦هـ مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة، أيضا «لطائف المنن» لابن عطاء الله الأسكندري ط مطبعة حسان مصر، أيضا «الدر =

= الثمين، والمورد المعين» لمحمد بن أحمد المالكى ج٢ ص١٦٩ ط مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٤م. أيضا «ايقاظ الهمم في شرح الحكم» لأحمد بن عجيبة الحسنى ط مصطفى البابى الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.

(٤١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» للأصبهاني جـ١ ص١٧ ط دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ.

(٤٢) نفس المصدر.

(٤٣) «تذكرة الأولياء» للعطار ص ٦٨ ط باكستان.

(٤٤) انظر «أسرار الأولياء» ص١٢٩ ط باكستان الطبعة الثالثة ١٩٨٣م.

لهم إلى ظاهر اللبسة ، لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام .

وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال : «مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبياً حفاة عليهم العباء يؤمون البيت الحرام» .

وقيل : إن عيسى عليه السلام كان يلبس الصوف والشعر، ويأكل من الشجر، ويبيت حيث أمسى .

وقال الحسن البصرى رضى الله عنه : لقد أدركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف ، ووصفهم أبو هريرة وفضالة بن عبيد فقالا : كانوا يخرون من الجوع حتى يحسبهم الأعراب مجانين، وكان لباسهم الصوف حتى إن بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن إذا أصابه الغيث . وقال بعضهم : إنه ليؤذينى ريح هؤلاء، أما يؤذيك ريحهم! يخاطب رسول الله ﷺ بذلك ، فكان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا، وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة ، واستغراقهم في أمر الآخرة، فلم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحاتها ، لشدة شغلهم بخدمة مولاهم ، وانصراف همهم إلى أمر الآخرة، وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق، لأنه يقال «تصوف» إذا لبس الصوف ، كما يقال «تقمص» إذا لبس القميص .

ولما كان حالهم بين سير وطير لتقلبهم في الأحوال وارتقائهم من عال إلى أعلى منه ، لا يفيدهم وصف ولا يحسبهم نعت ، وأبواب المزيد علماً وحالاً عليهم مفتوحة ، وبواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم ، فلما تعذر تقيدهم بحال تقيدهم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم ، نسبوا إلى ظاهر اللبسة . وكان ذلك أبين في الاشارة إليهم ، وأدعى إلى حصر وصفهم ، لأن لبس الصوف كان غالباً على المتقدمين من سلفهم ، وأيضا لأن حالهم حال المقربين كما سبق ذكره . ولما كان الاعتزاء إلى القرب - وعظم الإشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والإشارة إليه . . وقعت الإشارة إلى زيهم ستراً لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم ان تكثر الاشارة إليه وتتداوله الألسنة ، فكان هذا أقرب إلى الأدب ، والأدب في الظاهر والباطن والقول والفعل عماد أهل الصوفية .

وفيه معنى آخر: وهو أن نسبتهم إلى اللبسة تنبىء عن تقللهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو النفس إليه بالهوى من الملبوس الناعم ، حتى إن المبتدىء المريد الذي يؤثر طريقهم ويحب الدخول في أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل ،

ويعلم أن المأكول أيضا من جنس الملبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة، وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدىء، والإشارة إلى شيء من حالهم في تسميتهم بهذا أنفع وأولى، وأيضا غير هذا المعنى مما يقال إنهم سموا صوفية لذلك يتضمن دعوى وإذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان أبعد من الدعوى، وكل ما كان أبعد من الدعوى كان أليق بحالهم، وأيضا لأن لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من أمرهم، ونسبتهم من أمر آخر من حال أو مقام أمر باطن، والحكم بالظاهر أوفق وأولى، فالقول بأنهم سموا صوفية للبسهم الصوف أليق وأقرب إلى التواضع، ويقرب أن يقال: لما آثروا الذبول والخمول والتواضع والانكار والتخفى والتوارى، كانوا كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التي لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها، فيقال «صوفى» نسبة إلى الصوفة، كما يقال «كوفى» نسبة إلى الكوفة، وهذا ما ذكره بعض أهل العلم، والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق، ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد.

أخبرنا أبو زرعة طاهر عن أبيه، قال أخبرنا عبد الرزاق بن عبد الكريم، قال أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد، قال حدثنا أبو على بن إسماعيل بن محمد، قال حدثنا الحسن بن عرفة، قال حدثنا خلف بن خليفة عن حميد بن الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يوم كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان عليه جبة صوف وسراويل صوف وكساء صوف وكمه من صوف ونعلاه من جلد حمار غير مذكى.

وقيل: سموا صوفية لأنهم في الصف الأول بين يدى الله عز وجل بارتفاع هممهم وإقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه. وقيل: كان هذا الاسم في الأصل صفوي، فاستثقل ذلك وجعل صوفياً. وقيل سموا صوفية نسبة إلى الصفة التي كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله ﷺ، الذين قال الله تعالى فيهم **﴿للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض﴾** الآية، وهذا وإن كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوي ولكنه صحيح من حيث المعنى، لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين متصاحبين لله وفي الله، كأصحاب الصفة، وكانوا نحوا من أربعمائة رجل لم تكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر، جمعوا أنفسهم في المسجد كاجتماع الصوفية قديماً وحديثاً في الزوايا والربط، وكانوا لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع ولا إلى تجارة، كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار، وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن «تلاوته» وكان

رسـول الله ﷺ يواسيهم ويحث النـاس على مواسـاتهم ويجلس معهم ويأكـل معهم، وفيهم نزل قولـه تعـالى ﴿ولا تطـرد الـذين يدعـون ربهم بالغـداة والعشي يريـدون وجهـه﴾ وقـولـه تعـالى: ﴿واصـبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ ونـزل في ابن مكتـوم قوله تعـالى: ﴿عبس وتـولى أن جاءه الأعمى﴾ وكان من أهل الصفة، فعوقب النبي ﷺ لأجله، وكان رسول الله ﷺ إذا صافحهم لا ينزع يده من أيـديهم، وكـان يفـرقهم على أهل الجدة والسعة يبعث مع كل واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة، وكان سعد بن معاذ يحمل إلى بيته منهم ثمانين يطعمهم.

وقـال أبـو هريـرة رضي الله عنـه: لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحـد، منهم من لا يبلغ ركبتيـه، فإذا ركـع أحـدهم قبض بيـديـه مخافة أن تبدو عورتـه. وقـال بعض أهـل الصفـة: جئنـا جماعة إلى رسول الله ﷺ وقلنا يارسول الله أحـرق بطـوننـا التمـر فسمـع بذلك رسول الله ﷺ فصعد المنبر ثم قال: ما بال أقوام يقولون احرق بطوننا التمر، اما علمتم ان هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم مما واسونا به، والذي نفس محمد بيده إن منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله ﷺ دخان للخبز، وليس لهم إلا الأسودان الماء والتمر.

أخبرنا الشيخ أبو الفتوح محمد بن عبد الباقي في كتابه، قال: أخبرنا الشيخ أبو بكر بن زكريا الطريثيثي قال أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، قال حدثنا محمد بن محمد ابن سعيد الأنماطي، قال حدثنا الحسن بن يحيى بن سلام، قال حدثنا محمد ابن على الترمذي، قال حدثني سعيد بن حاتم البلخي، قال حدثنا سهل بن أسلم عن خلاد بن محمـد عن أبي عبـد الـرحمن السكري عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عبـاس رضي الله عنهم قال: وقف رسـول الله ﷺ يومـاً على أهـل الصفـة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال «أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقى منكم على النعت الذي أنتم عليه اليوم راضيا بما هو فيه فإنه من رفقائي يوم القيامة».

وقيـل: كان منهم طائفـة بخراسان يأوون إلى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن، ويسمونهم في خراسان شكفتية؛ لأن «شكفت» اسم الغار، ينسبونهم إلى المأوى والمستقـر وأهـل الشـام يسمونهم جوعية، والله تعالى ذكر في القرآن طوائف الخـير والصـلاح فسمى قومـا أبـراراً وآخرين مقربين، ومنهم الصابرون والصادقون، والـذاكـرون، والمحبـون، واسم الصـوفى مشتمـل على جميع المتفرق في هذه الأسماء المذكورة، وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله ﷺ، وقيل كان في زمن التابعين.

ونقل عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال: رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيئا فلم يأخذ وقال معي أربع دوانيق يكفيني ما معي ويشيد هذا ما روى عن سفيان أنه قال لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء. وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية»(٤٥).

فهل هناك تعارض وتناقض أكثر من ذلك؟.

ورجح الرأى الأخير أبو المفاخر يحيى الباخرزى(٤٦).

ونجم الدين كبرى(٤٧) رجح كون كلمة التصوف مشتقة من الصوف، وأضاف «بأن أول من لبس الصوف آدم وحواء. لأنهما أول ما نزلا في الدنيا كانا عريانين، فنزل جبريل بالخروف فأخذا منه الصوف، فغزلت حواء ونسجه آدم ولبساه، وكذلك موسى عليه السلام لبس الصوف، وأن يحيى وزكريا ونبينا محمدا ﷺ أيضا كانوا يلبسون الصوف.

ونسبة الصوفى إلى الصوف، واذ ألبس الصوف طلب من نفسه حقه، لأن الصوف مركب من الأحرف الثلاثة: الصاد، والواو، والفاء، فيطلب من الصاد العبر والصلابة والصدق والصلاة، ويطلب من الواو الوفاء والوجد، وبالفاء الفرج والفرح»(٤٨)

ومن الطرائف أن نجم الدين كبرى هذا زاد على الآخرين حيث بيّن ألوان الصوف الذي يلبسه الصوفية على اختلاف أوصافهم وأحوالهم فقال:

«إن الذي قهر نفسه وقتلها بسيف المجاهدة والمكابدة، وجلس في مآتم النفس، عليه أن يلبس الصوف الأسود، وان كان تائبا عن المخالفات وغسل ملبوس عمره بصابون الانابة والرياضة. ونقى صحيفة قلبه عن ذكر الغير فعليه الصوف الأبيض، وإن كان من الذين أجتازوا العالم السفلى، ووصل العالم العلوى بهمته

---

(٤٥) «عوارف المعارف» للسهروردى عبد القاهر بن عبد الله ص٥٩ إلى ٦٣ ط دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

(٤٦) انظر لذلك كتاب «أوراد الأحباب وفصوص الآداب» لأبي المفاخر يحيى الباخرزى المتوفي ٧٣٦هـ ج٢ ص١٤ باهتمام أفشار ط. طهران ١٩٦٦م.

(٤٧) هو أبو عبد الله أحمد بن عمر بن محمد بن عبد الله خوارزمى المشهور بنجم الدين كبرى الملقب بالطامة الكبرى المتوفى ٦١٨هـ وله مؤلفات كثيرة في اللغة الفارسية واللغة العربية.

(٤٨) «آداب الصوفية» لنجم الدين كبرى (فارسى) ص٢٨ ط كتاب فرشى زوار هجرى قمرى ايران

فعليه أن يلبس الصوف الأزرق، لأنه لون السماء»(٤٩).

ويترشح أيضا من كلام أبى طالب المكى(٥٠) في قوته بأنه أيضا من الذين يرجحون اشتقاقه من الصوف، حيث يورد رواية مكذوبة على رسول الله ﷺ أنه قال:

ألبسوا الصوف، وشمروا، وكلوا في أنصاف البطون تدخلوا فى ملكوت السماء»(٥١).

ولكن القشيرى أبا القاسم عبد الكريم(٥٢) ردّ على هذا الرأى وذاك، حيث قال في رسالته:

«فأما قول من قال: إنه من الصوف، ولهذا يقال: تصوّف إذا لبس الصوف كما يقال: تقمّص اذا لبس القميص، فذلك وجه. ولكن القوم لم يختصوا بلبس الصوف.

ومن قال: انهم منسوبون إلى صفة مسجد رسول الله ﷺ، فالنسبة إلى الصفة لاتجيء على نحو الصوفي.

ومن قال: إنه مشتق من الصفاء، فاشتقاق الصوفي من الصفاء بعيد في مقتضى اللغة.

وقول من قال: انه مشتق من الصف، فكأنهم في الصف الأول بقلوبهم فالمعنى صحيح، ولكن اللغة لا تقتضي هذه النسبة إلى الصف»(٥٣).

وأما الصوفي الفارسي عبد الرحمن الجامى المتوفي ٨٩٨هـ فلقد ذكر في نفحاته أنه مأخوذ من الاستصفاء، مستدلاً بكلام الصوفي المشهور عبد الله بن خفيف أنه

---

(٤٩) نفس المصدر.

(٥٠) هو أبو طالب محمد بن أبي الحسن علي بن عباس المكى، قيل فيه: هو شيخ الصوفية وأهل السنة، المتبحر في التفسير وغيره من أهل العلم وله تفسير كبير، وكتابه «قوت القلوب» كتاب جليل (الصفحة الأولى من كتابه) توفي سنة ٣٨٦هـ ببغداد.

(٥١) «قوت القلوب» لأبي طالب المكى ج٢ ص١٦٧ ط المطبعة الميمنية مصر ١٣١٠هـ.

(٥٢) هو أبو القاسم عبد الكريم القشيرى النيسابورى الشافعى قيل فيه: هو الإمام مطلقا، الفقيه، المتكلم، الأصولى، المفسر، الأديب... لسان عصره، وسر الله في خلقه، مدار الحقيقة، وعين السعادة، وقطب السيادة، من جمع بين الشريعة والحقيقة (مقدمة كتاب الرسالة القشيرية ص١٥)، وقال عنه أبو الحسن الباخرزى: لو ارتبط ابليس في مجلسه لتاب (دمية القصر)، توفي سنة ٤٦٥هـ.

(٥٣) الرسالة القشيرية لأبي القاسم عبد الكريم القشيرى ج٢ ص٥٥٠ ط مطبعة حسان القاهرة ١٩٧٤.

قال: الصوفي من استصفاه الحق لنفسه تودّدا»[٥٤].

وقريبا من ذلك قال قبله صوفى فارسي آخر، وهو عبد العزيز بن محمد النسفى: إن التصوف مأخوذ من الصفوة»[٥٥].

ولقد ذكر في أصل التصوف واشتقاقه أقوال أخرى، منها ما ذكرها الامام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى، والامام ابن تيمية، عند ذكرهما التصوف والصوفية، واللفظ للأول:

«قد ذهب قوم إلى أن التصوف منسوب إلى أهل الصفة. وإنما ذهبوا إلى هذا لأنهم رأوا أهل الصفة على ما ذكرنا من صفة صوفة في الانقطاع إلى الله عز وجل وملازمة الفقر فإن أهل الصفة كانوا فقراء يقدمون على رسول الله ﷺ وما لهم أهل ولا مال فبنيت لهم صفة فى مسجد رسول الله ﷺ وقيل أهل الصفة. والحديث بإسناد عن الحسن. قال بنيت صفة لضعفاء المسلمين فجعل المسلمون يوصلون إليها ما استطاعوا من خير. وكان رسول الله ﷺ يأتيهم فيقول: السلام عليكم يا أهل الصفة. فيقولون: وعليك السلام يا رسول الله. فيقول كيف أصبحتم. فيقولون بخير يا رسول الله. وبإسناد عن نعيم بن المجمر عن أبيه عن أبى ذر قال كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله ﷺ، فيأمر كل رجل فينصرف برجل فيبقى من بقى من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤثرنا النبى ﷺ بعشائه فنتعشى فإذا فرغنا قال رسول الله ﷺ. ناموا في المسجد.

قال المصنف: وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرورة. وإنما أكلوا الصدقة ضرورة. فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا، ونسبة الصوفي إلى أهل الصفة غلط لأنه لو كان كذلك لقيل صفي، وقد ذهب إلى أنه من الصوفانة وهى بقلة رعناء قصيرة. فنسبوا إليها لاجتزائهم بنبات الصحراء وهذا أيضا غلط لأنه لو نسبوا إليها لقيل صوفاني. وقال آخرون هو منسوب إلى صوفة القفا. وهى الشعرات النابتة في مؤخرة كأن الصوفي عطف به إلى الحق وصرفه عن الخلق»[٥٦].

---

(٥٤) نفحات الأنس (الفارسى) للجامى ص١٢ ايران ١٣٣٧ هجرى شمسى.

(٥٥) كشف الحقائق لعبد العزيز النسفى بتحقيق وتعليق الدكتور أحمد مهدوى ص١٢٠ ط طهران ١٣٥٩هجرى قمرى.

(٥٦) تلبيس ابليس لابن الجوزى المتوفى ٥٩٧ ص١٥٧ دار القلم بيروت، أيضا الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية ط دار الفتح القاهرة ١٩٨٤م، أيضا تاريخ التصوف في الإسلام للدكتور قاسم غنى ترجمة عربية صادق نشأت ص٦٠، ٦١ ط مكتبة النهضة المصرية.

وقيل: ان أصل التصوف منسوب إلى صوفة، فيقول ابن الجوزى:

قال أبو محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ: قال: سألت وليد بن القاسم: إلى أى شيىء ينسب الصوفي.

فقال: كان قوم في الجاهلية يقال لهم صوفة، انقطعوا إلى الله عز وجل، وقطنوا الكعبة، فمن تشبه بهم فهم الصوفية، قال عبد الغني: فهؤلاء المعروفون بصوفة ولد الغوث بن مر بن أخى تميم بن مر»[٥٧].

وبمثل ذلك ذكره أهل اللغة والمعاجم[٥٨].

وهناك البعض الآخرون من المتقدمين والحديثين أدلوا بدلوهم، وأبدوا رأيهم في هذا، فمن المتقدمين البيروني أبو الريحان المتوفي سنة ٤٤٠هـ، الذي نسب التصوف إلى سوفيا اليونانية، معناها الحكمة، فلقد لخص كلامه صادق نشأت نقلا عن كتابه (ذكر ما للهند من مقولة مقبولة أو مرذولة)، وهذا نصه:

«إن قدماء اليونان أى الحكماء السعبة مثل سولن الأثينى وطاليس المالطى كانوا يعتقدون قبل تهذيب الفلسفة بعقيدة الهنود، بأن الأشياء انما هي شيىء واحد وكانوا يقولون ليس للانسان فضل على الجماد والنبات إلا بسبب القرب إلى العلة الأولية في الرتبة، وكان بعضهم يعتقد أن الوجود الحقيقى هو العلة الأولى نفسها لأنها غنية بذاتها وما سواها محتاج في الوجود إلى الغير فوجودها في حكم الخيال والحق هو الواحد الأول فقط، ويقول في أعقاب هذا التفصيل. وهذا رأى السوفية وهم الحكماء، فان «سوف» باليونانية «الحكمة» وبها سمى الفيلسوف «بيلاسوبا» أى محب الحكمة، ولما ذهب في الاسلام قوم إلى قريب من رأيهم سموا باسمهم، ولم يعرف بعضهم اللقب فنسبهم للتوكل إلى الصفة وأنهم أصحابها في عصر النبي ﷺ، ثم صحف بعد ذلك فصير من صوف التيوس وعدل أبو الفتح البستى عن ذلك أحسن عدول في قوله:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... قدما وظنوه مشتقا من الصوفى
ولست أنحل هذا الاسم غير فتى ... صافى فصوفى حتى لقب الصوفى

وكذلك ذهبوا إلى أن الموجود شيىء واحد وأن العلة الأولى تتراءى فيه بصور

---

(٥٧) تلبيس ابليس لابن الجوزى الباب العاشر ص١٥٦.

(٥٨) انظر لسان العرب لابن منظور الأفريقى ج٩ ص٢٠٠ ط دار صادر بيروت، والقاموس المحيط للفيروز آبادى ج٣ ص١٦٩ ط مصطفى البابى الحلبى، أيضا أساس البلاغة للزمخشرى ص٢٦٢ ط احياء المعاجم العربية القاهرة.

مختلفة وتحل قوتها في أبعاضه بأحوال متباينة توجب التغاير مع الاتحاد، فكان فيهم من يقول أن المنصرف بكليته إلى العلة الأولى متشبها بها على غاية امكانه يتحد بها عند ترك الوسائل وخلع العلائق والعوائق وهذه آراء يذهب إليها الصوفية لتشابه الموضوع وكانوا يرونِ في الأنفس والأرواح أنها قائمة بذواتها قبل التجسد بالأبدان معدودة مجندة تتعارف وتتناكر»(٥٩).

وبهذا القول قال فون هامر المستشرق الألماني، وعبد العزيز اسلامبولى، ومحمد لطفى جمعة من الحديثين(٦٠).

بسبب المشابهة الصوتية بين كلمة (صوفى) والكلمة اليونانية (صوفيا)، وكذلك لوجه الشبه الموجود بين كلمة (تصوف) و(تيوصوفيا)، وأن كلمتى صوفى وتصوف أخذتا من الكلمتين اليونانيتين (سوفيا) و(تيوسوفيا) إلا أن نولدكه أثبت خطأ هذا الزعم كما أيّده في ذلك نيكلسون، وماسينيون، وبالاضافة إلى البراهين القوية الأخرى التي أقامها نولدكه، فإنه يدلل على أن (س) اليونانية نقلت إلى العربية كما هى سينا، لا صادا كما أنه لا يوجد في اللغة الآرامية كلمة تعدّ واسطة لانتقال سوفيا إلى صوفى»(٦١).

فهذا هو الاختلاف الواقع فى أصل لفظة التصوف واشتقاقها، ولذلك اضطر الصوفى القديم علىّ الهجويرى المتوفى سنة ٤٦٥هـ إلى أن يقول:

«إن اشتقاق هذا الاسم لايصح من مقتضى اللغة في أىّ معنى، لأن هذا الاسم أعظم من أن يكون له جنس ليشتق منه»(٦٢).

وبمثل ذلك قال القشيرى في رسالته:

«ليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق»(٦٣).

كما أنه مما لاشك فيه أنه لايصح ولا يستقيم اشتقاقه من حيث اللغة إلا من

---

(٥٩) الكتاب المذكور ص١٦ ط ليبزيك نقلا عن تاريخ التصوف في الإسلام ترجمة عربية لصادق نشأت ص٦٧، ٦٨.

(٦٠) انظر التصوف الإسلامى في الأدب والأخلاق لزكى مبارك ج١ ص٥١ ط دار الجيل لبنان، أيضا أبحاث في التصوف للدكتور عبد الحليم محمود ص١٥٣.

(٦١) انظر تاريخ التصوف في الإسلام للدكتور قاسم غنى ترجمة عربية ص٦٧، ٦٨.

(٦٢) كشف المحجوب للهجويرى ترجمة عربية دكتورة اسعاد عبد الهادى قنديل ص٢٣٠ ط دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠م.

(٦٣) الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيرى ج٢ ص٥٥٠ دار الكتب الحديثة القاهرة.

الصـوف، ولـو أنـه هو اختيار الكثير ين من الصوفية وغيرهم كالطوسى، وأبى طالب المكى، والسهـروردى وأبى المفـاخر يحيى باخرزى، وابن الجوزى، وابن تيمية، وابن خلدون من المتقدمين.

والاستـاذ مصطفى عبـد الـرزاق، والدكتور زكى مبارك، والدكتور عبد الحليم محمـود، والدكتورقاسم غنى، ومن المستشرقين مرجليوس، ونيكلسون، وماسينيون، ونولدكه وغيرهم من المتأخرين، مع انكار ذلك من أعلام الصوفية وأقطابها كما مرّ سابقا.

ومن الطـرائف أن الـدكتـور زكى مبـارك استشهـد القشير ية على ردّ من جعل اشتقاق التصوف من الصفاء بالقشيرى، واستند إلى قوله قائلا:

«وقد استبعد ذلك القشير ى وهو من أقطاب الصوفية»(٦٤).

مع أنه هو نفسه يورد بعد أسطر من هذا الاستشهاد والاستناد رأيه في الموضوع بأن التصوف مأخوذ من الصوف، مع أن القشير ى ردّ على هذا كما ردّ على ذلك.

وأطرف من ذلك أنّ السراج الطوسى من متقدّمى الصوفية هو الآخر من يرجح نسبة التصوف إلى الصوف كما مرّ سابقا، ولكنه نفسه يردّ كلامه حيث يذكر عن يحيى بن معاذ الرازى أنه كان يلبس الصوف والخلقان في ابتداء أمره، ثم كان في آخر عمره يلبس الخز واللين. . . وأن أبا حفص النيسابورى كان يلبس قميصا خزا وثيابا فاخرة، ثم ذكر: وآداب الفقراء في اللباس أن يكونوا مع الوقت إذا وجدوا الصوف أو اللبدة أو المرقعة لبسوا، وإذا وجدوا غير ذلك لبسوا»(٦٥).

هذا ومثل هذا كثير في كتب الآخرين من الصوفية المتقدمين منهم والمتأخرين. ولا بأس بنقل عبارات مختصرة عن مصطفى عبد الرزاق حيث يقول:

أما أصل هذا التعبير فالأقاويل فيه كثيرة:

فمن مرجح أنه لفظ جامد غير مشتق كالقشير ى.

ومن قائل: أنه مشتق من الصفاء أو الصفو.

ومن قائل: أن اللفظ مأخوذ من الصوف لأن لباس الصوف كان يكثر في الزهاد.

---

(٦٤) التصوف الإسلامى في الأدب والأخلاق للدكتور زكى مبارك ج١ ص٥١.

(٦٥) انظر اللمع للطوسى ص ٢٤٩.

وقـال قائلون: إن الصـوفيـة نسبـة إلى الصفـة التي ينسب إليهـا كثـير من الصحابة. . . لكن النسبة إلى الصفة لاتجيء على الصوفي، بل على الصفى.

وثم أقوال ضعيفة أخرى، كالقول بأن الصوفي نسبة إلى الصف الأول، لأنهم في الصف الأول بقلوبهم من حيث المحاضرة والمناجاة.

وكالقول بأنهم منسوبون إلى صوفة القفا.

أو منسوبون إلى صوفة بن مروان.

وأرجح الأقـوال وأقـربهـا إلى العقـل مذهب القـائلين بأن الصـوفى نسبة إلى الصوف، وأن المتصوف مأخوذ منه أيضا، فيقال: تصوّف إذا لبس الصوف»[٦٦].

وأظنّ أن هذا الـذى أوقـع أحـد الكتّـاب في التصـوف في بحار الحيرة، وجعله مضطـرا إلى أن يردد بعـد ملاحظـة هذه الاختلافات الكثيرة في أصل كلمة التصوف واشتقاقها، ونقل أقوالهم فيه.

«هـذا معنـاه أن الصـوفيـة يوصـدون البـاب حتى أمـام من يسألهم عن معنى اسمهم. . وهـذا دليـل على أمـر من أمـور ثلاثـة، أمـا أن التصوف سر، وأما أنه أمر خلافى بحت، وامـا أنـه متعـدد الجوانب كالفن الغنى، وسوف نترك للقارىء أن يجد الجواب بنفسه»[٦٧].

---

(٦٦) التضوف لمصطفى عبد الرزاق ص٥٧ إلى ٦٢ ط دار الكتاب اللبنانى بيروت.

(٦٧) بحار الحب عند الصوفية لأحمد بهجت ص٣٢ ط المختار الإسلامى القاهرة.

الفصل الثالث

تعريف التصوف

ولا يقل اختلاف الصوفية في اختلاف تعريف التصوف عن اختلافهم في أصله واشتقاقه، بل ازدادوا تعارضا وتناقضا فيه كثيرا، ولقد ذكر صوفى فارسى قطب الدين أبو المظفر منصور بن أردشير السنجى المروزى المتوفى سنة ٤٩١هـ أكثر من عشرين تعريفا(٦٨).

وكذلك السراج الطوسى(٦٩).

والكلاباذى(٧٠).

والسهروردى(٧١).

وابن عجيبة الحسنى(٧٢).

وأما القشيرى فلقد ذكر في رسالته أكثر من خمسين تعريفا من الصوفية المتقدمين(٧٣). كما ذكر المستشرق نيكلسون ثمانية وسبعين تعريفا(٧٤).

وليس معنى ذلك أن هذا العدد هو الأخير في تعريف التصوف، بل ذكر السراج في لمعه أن تعريفاته تتجاوز مائة تعريف(٧٥).

وقال السهروردى: «وأقوال المشائخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول»(٧٦).

---

(٦٨) انظر مناقب الصوفية فارسى ص٣١ وما بعد باهتمام محمد تقى دانش بيوه وايرج أفشار ط طهران ١٣٦٢ هجرى قمرى.

(٦٩) انظر اللمع للطوسى ص٤٥ وما بعد.

(٧٠) انظر التعرف لمذهب أهل التصوف ص٢٨ وما بعد.

(٧١) انظر عوارف المعارف ص٥٣ وما بعد.

(٧٢) انظر ايقاظ الهمم ص٤ وما بعد.

(٧٣) انظر الرسالة القشيرية ج٢ ص٥٥١ وما بعد.

(٧٤) انظر في التصوف الإسلامى وتاريخه ترجمة عربية للدكتور أبي العلاء العفيفى ص٢٨ وما بعد ط القاهرة.

(٧٥) كتاب اللمع للطوسى ص٤٧.

(٧٦) عوارف المعارف للسهروردى ص٥٧، أيضا نشر المحاسن الغالية لليافعى ج٢ ص٣٤٣.

وقال الحامدى: «الأقوال المأثورة في التصوف قيل: انها زهاء ألفين»[77].

ونختار من هذه التعريفات الكثيرة بعضها نموذجا للقراء والباحثين، فينقل السراج الطوسى أن الجنيد سئل عن التصوف، فقال: «أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة».

وقال سمنون في جواب سائل سأله: أن لا تملك شيئا ولا يملكك شيء.

وقيل لأبي الحسين أحمد بن محمد النورى: من الصوفى؟.

فقال: من سمع السماع وآثر بالأسباب»[78].

وينقل القشيرى عن الجنيد أنه قال: «التصوف عقدة لا صلح فيها».

وأيضا: هم أهل بيت واحد لا يدخل فيه غيرهم.

وعن أبى حمزة البغدادى أنه قال: علامة الصوفي الصادق أن يفتقر بعد الغنى، ويذل بعد العز، ويخفى بعد الشهرة.

وعن الشبلى أنه قال: التصوف برقة مخرقة.

وعنه أنه قال: التصوف هو العصمة عن رؤية الكون»[79].

ونقل منصور بن أردشير عن الحسين بن المنصور أنه قال في جواب من سأله عن الصوفي: هو وحدانى الذات لايقبله أحد، ولايقبل أحدا»[80].

ونقل محمد بن إبراهيم النفزى الرندى عن أحد الصوفية: أن الصوفي من كان دمه هدرا، وملكه مباحا»[81].

وذكر السلمى عن أبى محمد المرتعش النيسابورى أنه سئل عن التصوف، فقال: الاشكال والتلبيس والكتمان.

وذكر عن أبى الحسين النورى أنه قال: التصوف ترك كل حظ النفس»[82].

---

(٧٧) الإنسان والإسلام لمحمد طاهر الحامدى نقلا عن مقدمة التعرف لمذهب أهل التصوف، لمحمود النواوى ص١١.

(٧٨) اللمع للطوسى ص٤٧ وما بعد.

(٧٩) الرسالة القشيرية ج٢ ص٥٥٠ وما بعد.

(٨٠) مناقب الصوفية لمنصور بن أردشير ص٣٣.

(٨١) غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية للنفزى الرندى ج١ ص٢٠٣ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمد بن الشريف ط دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٧٠م.

(٨٢) طبقات السلمى ص٣٨ .

ونقل الكلاباذى وعبد السلام الأسمر الفيتورى عن الجنيد أنه سئل عن التصوف، فقال:

تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، واخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية.

وذكر عن سهل بن عبد الله التسترى أنه سأله رجل: من أصحب من طوائف الناس؟.

فقال عليك بالصوفية، فإنهم لايستكثرون، ولا يستنكرون شيئا، ولكل فعل عندهم تأويل، فهم يعذرونك على كل حال.

وعن يوسف بن الحسين أنه قال:

سألت ذا النون: من أصحب؟ فقال: من لايملك، ولا ينكر عليك حالا من أحوالك، ولا يتغير بتغيرك وإن كان عظيما، فانك أحوج ما تكون إليه أشد ما كنت تغيرا»[٨٣].

وذكر الهجويرى أن الصوفى هو الفانى عن نفسه، والباقى بالحق قد تحرر من قبضة الطبائع، واتصل بحقيقة الحقائق.

ونقل عن الجنيد أنه قال: التصوف نعت أقيم العبد فيه، قيل: نعت للعبد أو نعت للحق؟.

فقال: نعت الحق حقيقة، ونعت العبد رسما.

وعن الشبلى أنه قال: التصوف شرك لأنه صيانة القلب عن الغير، ولاغير»[٨٤].

وذكر عبد الرحمن الجامي أن الصوفى هو الخارج عن النعوت والرسوم. ونقل عن أبى العباس النهاوندى أنه قال: التصوف بدايته الفقر»[٨٥].

وذكر العطار عن أبى الحسن الخرقانى أنه قال: «ان التصوف عبارة عن الجسم الميّت والقلب المعدوم والروح المحرقة.

---

(٨٣) التعرف للكلاباذى ص٣٤، ٣٥، أيضا الوصية الكبرى لعبد السلام الأسمر الفيتورى ص٣٧ ط مكتبة النجاح طرابلس ليبيا الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ.

(٨٤) انظر كشف المحجوب للهجويرى ص ٢٣١ وما بعد.

(٨٥) نفحات الأنس للجامى (فارسى) ص١٢.

وأنـــه قال:

ان الخلق كله مخلوق، والصـوفي غير مخلوق، لأنـه معـدوم، أو أن الصوفي من عالم الأمر، لا من عالم الخلق»[٨٦].

ونقل العطار أيضا عن الجنيد أنه قال:

«الصـوفي هو الـذى سلم قلبـه كقلب إبـراهيم من حبّ الـدنيا، وصار بمنزلة الحـامـل لأوامر الله، وتسليمه تسليم إسماعيل، وحزنه حزن داود، وفقره فقر عيسى، وصبره صبر أيوب، وشوقه شوق موسى وقت المناجاة، واخلاصه اخلاص محمد»[٨٧].

وقال الصوفي الهندى فريد الدين الملقب بكنج شكر: «إن التصوف أن لا يبقى في ملكك شيء، ولا يبقى وجودك في مكان.

وقال: ان أهل التصوف يقيمون صلواتهم على العرش يوميا.

وقال: ان الصوفي من لا يخفى على قلبه شيء»[٨٨].

فهذه هي تعريفات التصوف والصوفية لدى أعلام الصوفية وأقطابهم أنفسهم، نقلناها من كتبهم، تضاربت فيها آراء القوم، وتعارضت فيها أقوالهم، لا جمع بينهما ولا وفاق رغم ما ادعاه بعض المتأخرين، وحاولوا التوفيق ولكن دونه خرط القتاد، لأن كل تعـريف مستقـل عن التعـريف الآخـر، وحتى التعـريفات العديدة التي صدرت عن شخص واحـد تبـاعـد بعضها عن بعض كل البعد وهذا التباعد ظاهر جليّ لكل من نظر فيها وقرأها قراءة تأمل وتدبر، وتحقق وتعمق.

ويجدر الاشارة ههنا إلى أن تعريفات التصوف المتعددة التي ذكرناها واخترناها من تعـريفـات كثيرة جدا تنبيء صراحة عن حقيقة ادعاء علاقة التصوف بالاسلام، وكونه روحه وعصارته[٨٩].

الأمر الذي سوف يفصل الكلام فيه، في الأبواب القادمة إن شاء الله تعالى.

---

(٨٦) تذكـرة الأوليـاء للعطـار ص٢٨٨ ومـا بعـد ط باكستـان، أيضـا أحـوال وأقوال شيخ أبي الحسن الخرقاني (فارسى) الطبعة الثالثة ١٣٦٣ هجرى قمرى ايران.

(٨٧) تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار (أردو) تحت ذكر الجنيد ص١٩٢ ط باكستان.

(٨٨) أسرار الأولياء ص١٢٨، ١٢٩ ط باكستان.

(٨٩) انظر الإنسان والإسلام لمحمد طاهر الحامدى، ومقدمة التعرف لمحمود أمين النواوى.

الفصل الرابع

بَدْءُ التّصوّفِ وَظهُوره

إن النـاس اختلفـوا في بدء ظهـور هذه الكلمـة واستعمالها كاختلافهم في أصله وتعريفه، فذكر ابن تيمية وسبقه ابن الجوزى وابن خلدون في هذا أن لفظ الصوفية لم يكن مشهـورا في القـرون الثـلاثـة الأولى، وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك، وقد نقل التكلم به عن غير واحـد من الأئمـة والشيـوخ كالامـام أحمد بن حنبل، وأبى سليمان الـداراني وغـيرهما، وقـد روى عن سفيان الثورى أنه تكلم به، وبعضهم يذكر ذلك عن الحسن البصرى[٩٠].

وقـال السـراج الطـوسى في البـاب الذى خصصه للرد على من قال: لم نسمع بذكر الصوفية في القديم وهو اسم مستحدث: يقول في هذا الباب:

«إن سأل سائـل فقـال: لم نسمـع بذكـر الصـوفيـة في أصحاب رسـول الله ﷺ ورضى عنهم أجمعين، ولا فيمن كان بعدهم، ولا نعرف إلا العبَّاد والزُّهاد والسيَّاحين والفقراء، وما قيل لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ: صوفى، فنقول وبالله التوفيق.

الصحبة مع رسول الله ﷺ لها حرمة، وتخصيص من شمله ذلك، فلا يجوز أن يعلق عليه اسم على أنه أشرف من الصحبة، وذلك لشرف رسول الله ﷺ وحرمته، ألا ترى أنهم أئمـة الـزهاد والعبَّاد والمتوكلين والفقراء والراضين والصابرين والمخبتين، وغير ذلك، وما نالوا جميع ما نالوا إلا ببركة الصحبة مع رسول الله ﷺ، فلما نسبوا إلى الصحبـة والتي هي أجـلّ الأحـوال استحال أن يفضلوا بفضيلة غير الصحبة التي هي أجلّ الأحوال وبالله التوفيق.

وأمـا قول القـائـل: إنه اسم محدث أحدثه البغداديون، فمحال، لأن في وقت الحسن البصـرى رحمـه الله كان يعـرف هذا الاسم، وكـان الحسن قد أدرك جماعة من أصحـــاب رســـول الله ﷺ ورضى عنهم، وقـد رُوى عنـه أنـه قال: رأيت صوفيًّا في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذه وقال: معى أربعة دوانيق يكفيني ما معي.

---

(٩٠) الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٥ ط القاهرة، أيضا مقدمة ابن خلدون ص٤٦٧، تلبيس ابليس لابن الجوزى ص١٥٧ ط دار القلم بيروت لبنان.

ورُوى عن سفيان الثورى رحمه الله أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء، وقد ذكر في الكتاب الذي جُمع فيه أخبار مكة عن محمد بن اسحاق بن يسار، وعن غيره يذكر فيه حديثاً: أنه قبل الاسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات، حتى كان لا يطوف بالبيت أحد، وكان يجيىء من بلد بعيد رجل صوفيّ فيطوف بالبيت وينصرف، فإن صح ذلك فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم، وكان يُنسب إليه أهل الفضل والصلاح، والله أعلم»(٩١).

وبمثل ذلك قال السهروردى: «وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله ﷺ، وقيل: كان في زمن التابعين - ثم نقل عن الحسن البصرى ما نقلناه عن الطوسى أيضا - ثم قال: وقيل: لم يعرف هذا الاسم إلى المائتين من الهجرة العربية»(٩٢).

وصرح عبد الرحمن الجامى:

«ان أبا هاشم الكوفى أول من دعى بالصوفى، ولم يسمّ أحد قبله بهذا الاسم، كما أن أول خانقاه بنى للصوفية هو ذلك الذى في رملة الشام، والسبب فى ذلك أن الأمير النصرانى كان قد ذهب للقنص فشاهد شخصين من هذه الطائفة الصوفية سنح له لقاؤهما وقد احتضن أحدهما الآخر وجلسا هناك، وتناولا معا كل ما كان معهما من طعام، ثم سارا لشأنهما، فسرّ الأمير النصرانى من معاملتهما وأخلاقهما، فاستدعى أحدهما، وقال له: من هو ذاك؟.

قال: لا أعرفه، قال: وما صلتك به؟.

قال: لاشيء. قال: فمن كان؟.

قال لا أدرى، فقال الأمير: فما هذه الألفة التى كانت بينكما؟.

فقال الدرويش: ان هذه طريقتنا، قال: هل لكم من مكان تأوون إليه؟.

قال: لا، قال: فإنى أقيم لكما محلا تأويان إليه، فبنى لهما هذه الخانقاه فى الرملة»(٩٣).

وأما القشيرى فقال:

---

(٩١) اللمع للطوسى ص٤٢، ٤٣، أيضا الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسنى ص٥٣ ط عالم الفكر القاهرة.
(٩٢) عوارف المعارف للسهروردى ص ٦٣.
(٩٣) نفحات الأنس للجامى الطبعة الفارسية ص٣١، ٣٢ ط ايران.

اشتهر هذا الاسم لهؤلاء الأكابر قبل المائتين من الهجرة»[٩٤].

وأما الهجويرى فلقد ذكر أن التصوف كان موجودا في زمن رسول الله ﷺ، وباسمه، واستدل بحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ أنه قال: «من سمع صوت أهل التصوف فلا يؤمن على دعائهم كتب عند الله من الغافلين»[٩٥].

مع أنه نفسه كتب في نفس الباب في آخره شارحا كلام أبى الحسن البوشنجى «التصوف اليوم اسم بلا حقيقة، وقد كان من قبل حقيقة بلا اسم»، فكتب تحته موضّحا:

«يعنى أن هذا الاسم لم يكن موجودا وقت الصحابة والسلف، وكان المعنى موجودا في كل منهم، والآن يوجد الاسم، ولايوجد المعنى»[٩٦].

وأما المستشرقون الذين كتبوا عن التصوف، ويعدّون من موالى الصوفية وأنصارهم، فمنهم نيكلسون فانه يرى مثل ما يراه الجامى أن لفظة التصوف أطلقت أول ما أطلقت على أبى هاشم الكوفى المتوفي سنة ١٥٠هـ[٩٧].

ولكن المستشرق الفرنسى المشهور ماسينيون يرى غير ذلك، فيقول:

ورد لفظ الصوفى لأول مرة في التاريخ في النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى اذ نعت به جابر بن حيان، وهو صاحب كيمياء شيعى من أهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص، وأبو هاشم الكوفى الصوفى المشهور.

أما صيغة الجمع (الصوفية) التى ظهرت عام ١٨٩هـ (٨١٤م) في خبر فتنة قامت بالأسكندرية فكانت تدل قرابة ذلك العهد على مذهب من مذاهب التصوف الاسلامي يكاد يكون شيعيا نشأ في الكوفة، وكان عبدك الصوفى آخر أئمته، وهو من القائلين بأن الامامة بالارث والتعيين، وكان لايأكل اللحم، وتوفى ببغداد حوالى عام ٢١٠هـ.

واذن فكلمة صوفى كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة»[٩٨].

---

(٩٤) الرسالة القشيرية ج١ ص٥٣ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود الشريف، أيضا جمهرة الأولياء للمنوفى الحسينى ج١ ص٢٦٩ ط مؤسسة الحلبى القاهرة.

(٩٥) كشف المحجوب للهجويرى ترجمة عربية ص ٢٢٧.

(٩٦) أيضا ص ٢٣٩.

(٩٧) انظر في التصوف الإسلامى وتاريخه لنيكلسون ترجمة عربية لأبي العلاء العفيفى ص٣ ط القاهرة.

(٩٨) دائرة المعارف الإسلامية اردوج٦ ص٤١٩ ط جامعة بنجاب باكستان، أيضا دائرة المعارف الإسلامية الطبعة العربية مادة تصوف ج٥ ص٢٦٦.

وقال أيضا :

صاحب عزلة بغدادى، وهو أول من لقب بالصوفى، وكان هذا اللفظ يومئذ يدل على بعض زهاد الشيعة بالكوفة، وعلى رهط من الثائرين بالأسكندرية، وقد يعدّ من الزنادقة بسبب امتناعه عن أكل اللحم، ويريد الأستاذ أول من لقب بالصوفى في بغداد كما يؤخذ مما نقله عن الهمذانى، ونصه :

ولم يكن السالكون لطريق الله في الأعصار السالفة والقرون الأولى يعرفون باسم المتصوفة، وانما الصوفى لفظ اشتهر فى القرن الثالث، وأول من سمى ببغداد بهذا الاسم عبدك الصوفى، وهو من كبار المشائخ وقدمائهم، وكان قبل بشر بن الحارث الحافى والسرى بن المفلس السقطى»[٩٩].

والجدير بالذكر أن هؤلاء الثلاثة الذين يقال عنهم بأنهم أول من سمّوا بهذا الاسم، وتلقبوا بهذا اللقب مطعونون في مذاهبهم وعقائدهم، ورمى كل واحد منهم بالفسق والفجور وحتى الزندقة، وخاصة جابر بن حيان، وعبدك كما سيأتى ذلك مفصلا في محلّه من الكتاب إن شاء الله.

وقد سبق كلام شيخ الاسلام ابن تيمية حيث قال: «إن لفظ الصوفية لم يكن مشهورا في القرون الثلاثة، وانما اشتهر التكلم به بعد ذلك»[١٠٠].

وبمثل ذلك قال ابن خلدون[١٠١].

فخلاصة الكلام أن الجميع متفقون على حداثة هذا الاسم، وعدم وجوده في عهد رسول الله ﷺ وأصحابه والسلف الصالحين.

نعم، كان رسول الله ﷺ أزهد خلق الله في الدنيا وزخارفها، وأصحابه على سيرته وطريقته، يعدّون الدنيا وما فيها لهوا ولعبا، زائلة فانية، والأموال والأولاد فتنة ابتلى المؤمنون بها، فلم يكونوا يجعلون أكبر همهم إلّا ابتغاء مرضاة الله، يرجون لقاءه وثوابه، ويخافون غضبه وعقابه، آخذين من الدنيا ما أباح الله لهم أخذه، ومجتنبين عنها ما نهى الله عنه، سالكين مسلك الاعتدال، منتهجين منهج المقتصد، غير باغين ولا عادين، مفرطين ولا متطرفين، وعلى رأسهم بعد رسول الله ﷺ الخلفاء الراشدون،

---

(٩٩) التصوف لماسينيون ومصطفى عبد الرزاق ص٥٥، ٥٦ ط دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٤م، أيضا تاريخ التصوف في الإسلام للدكتور قاسم غنى ترجمة عربية لصادق نشأت ص ٦٤ ط مكتبة النهضة المصرية القاهرة.

(١٠٠) انظر الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٥.

(١٠١) انظر مقدمة ابن خلدون ص٤٧٦ .

وبقية العشرة المبشرة، ثم البدريون، ثم أصحاب بيعة الرضوان، ثم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ثم عامة الأصحاب، على ترتيب الأفضلية كما مرّ سابقا في الفصل الأول من هذا الباب.

وتبعهم في ذلك التابعون لهم باحسان، واتباع التابعين، أصحاب خير القرون، المشهود لهم بالخير والفضيلة، ولم يكن لهؤلاء كلهم في غير رسول الله أسوة ولاقدوة، الذى قال فيه جل وعلا:

﴿ألم يجدك يتيما فآوى، ووجدك ضالا فهدى، ووجدك عائلا فأغنى، فأما اليتيم فلا تقهر، وأما السائل فلا تنهر، وأما بنعمة ربك فحدّث﴾[١٠٢].

والذى إذا وجد طعاما فأكل وشكر، وإذا لم يجد فرضى وصبر، وأحبّ لبس الثياب البيض، واكتسب جبّة رومية، ونهى عن التصدق بأكثر من ثلث المال، وأمر بحفظ حقوق النفس والأهل والولد، ونهى عن تعذيب النفس واتعاب الجسد فوق الطاقة، وكما أنه نهى هو نفسه عن قيام الليل كله، لإراحة الجسد والبدن، وحرّض متبعيه على طلب الحلال، وطلب الحسنات في الدنيا والآخرة، ومنع الله تعالى من التعنت والتطرف في ترك الدنيا وطيباتها في آيات كثيرة في القرآن الكريم، سنوردها في موضعها من الكلام إن شاء الله.

ثم خلف من بعدهم خلف فتطرفوا، وذهبوا بعيدا في نعيم الدنيا وزخارفها، وفتحت عليهم أبواب الترف والرخاء، ودرّت عليهم الأرض والسماء، وأقبلت عليهم الدنيا بكنوزها وخزائنها، وفتحت عليهم الآفاق، فانغمسوا في زخارفها وملذاتها، وبخاصة العرب الفاتحون الغزاة، والغالبون الظاهرون، فحصل ردّ الفعل، وفي نفوس المغلوبين المغزوين والمقهورين، من الموالى والفرس والمفلسين وأصحاب النفوس الضعيفة المتوانية خاصة، فهربوا عن الحياة ومناضلتها، وجدّها وكدّها، ولجأوا إلى الخانقاوات والتكايا والزوايا والرباطات، فرارا من المبارزة والمناضلة، وصبغوا هذا الفرار والانهزام وردّ الفعل صبغة دينية، ولون قداسة وطهارة، وتنزه وقرابة، كما كان هنالك أسباب ودوافع ومؤثرات أخرى، وكذلك أيدى خفية دفعتهم إلى تكوين فلسفة جديدة للحياة، وطرازٍ آخر من المشرب والمسلك، وأسلوبٍ جديدٍ للعيش والمعاش، فظهر التصوف بصورة مذهب مخصوص، وبطائفة مخصوصة.

---

(١٠٢) سورة الضحى من الآية ٦ إلى آخر السورة.

اعتنقه قوم، وسلكه أشخاص ساذجون بدون تفكير كثير، وتدبر عميق كمسلك الزهد، ووسيلة التقرب إلى الله، غير عارفين بالأسس التى قام عليها هذا المشرب، والقواعد التى أسس عليها هذا المذهب، بسذاجة فطرية، وطيبة طبيعية، كما تستر بقناعه، وتنقب بنقابه بعض آخرون لهدم الاسلام وكيانه، وإدخال اليهودية والمسيحية في الاسلام، وأفكارهما من جانب، والزرادشتية والمجوسية والشعوبية من جانب آخر، وكذلك الهندوكية والبوذية والفلسفة اليونانية الأفلاطونية من ناحية أخرى، وتقويض أركان الإسلام وإلغاء تعاليم سيد الرسل ﷺ، ونسخ الاسلام وابطال شريعته بنعرة وحدة الوجود، ووحدة الأديان، واجراء النبوة، وترجيح من يسمى بالولى على أنبياء الله ورسله، ومخالفة العلم، والتفريق بين الشريعة والحقيقة، وترويج الحكايات والأباطيل والأساطير، باسم الكرامات والخوارق وغير ذلك من الخرافات والترهات.

فلم يظهر التصوف مذهبا ومشربا، ولم يرج مصطلحاته الخاصة به، وكتبه، ومواجيده وأناشيده، تعاليمه وضوابطه، أصوله وقواعده، وفلسفته، ورجاله وأصحابه إلا في القرن الثالث من الهجرة وما بعده.

وبذلك يقول ابن الجوزى في كتابه تلبيس ابليس:

«كانت النسبة في زمن رسول الله ﷺ إلى الإيمان والإسلام. فيقال: مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا، وانقطعوا إلى العبادة، واتخذوا في ذلك طريقة تفردوا بها، وأخلاقا تخلقوا بها - ثم قال: وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه، وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة، وحاصلها أن التصوف عندهم رياضة النفس، ومجاهدة الطبع بردّه عن الأخلاق الرذيلة، وجعله على الأخلاق الجميلة من الزهد والحلم والصبر والاخلاص والصدق إلى غير ذلك من الخصال الحسنة التي تكسب المدائح في الدنيا والثواب في الأخرى... وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبّس عليهم ابليس في أشياء، ثم لبس على بعدهم من تابعيهم فكلما مضى قرن زاد طمعه في القرن التالى فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن.

وكان أصل تلبيسه عليهم أنه صدهم عن العلم وأراهم أن المقصود العمل فلما أطفأ مصباح العلم عندهم تخبطوا في الظلمات. فمنهم من أراه أن المقصود من ذلك ترك الدنيا في الجملة فرفضوا ما يصلح أبدانهم. وشبهوا المال بالعقارب، ونسوا أنه خلق للمصالح وبالغوا في الحمل على النفوس حتى أنه كان فيهم من لا يضطجع.

وهؤلاء كانت مقاصدهم حسنة غير أنهم على غير الجادة. وفيهم من كان لقلة علمه يعمل بما يقع إليه من الأحاديث الموضوعة وهو لا يدري.

ثم جاء أقوام فتكلموا لهم في الجوع والفقر والوساوس والخطرات وصنفوا في ذلك مثل الحارث المحاسبي. وجاء آخرون فهذبوا مذهب التصوف وأفردوه بصفات ميزوه بها من الاختصاص بالمرقعة والسماع والوجد والرقص والتصفيق وتميزوا بزيادة النظافة والطهارة. ثم ما زال الأمر ينمى والأشياخ يضعون لهم أوضاعا ويتكلمون بواقعاتهم. ويتفق بعدهم عن العلماء لابل رؤيتهم ما هم فيه أوفي العلوم حتى سموه العلم الباطن وجعلوا علم الشريعة العلم الظاهر. ومنهم من خرج به الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق والهيمان فيه فكأنهم تخايلوا شخصا مستحسن الصورة فهاموا به. وهؤلاء بين الكفر والبدعة ثم تشعبت بأقوام منهم الطرق. ففسدت عقائدهم. فمن هؤلاء من قال بالحلول ومنهم من قال بالاتحاد. وما زال إبليس يخبطهم بفنون البدع حتى جعلوا لأنفسهم سنناً وجاء أبوعبد الرحمن السلمي فصنف لهم كتاب السنن وجمع لهم حقائق التفسير فذكر عنهم فيه العجب في تفسيرهم القرآن بما يقع لهم من غير إسناد ذلك إلى أصل من أصول العلم. وإنما حملوه على مذاهبهم. والعجب من روعهم في الطعام وانبساطهم في القرآن. وقد أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن القزاز. قال: أخبرنا أبوبكر الخطيب قال: قال لى محمد بن يوسف القطان النيسابوري قال كان أبوعبد الرحمن السلمي غير ثقة ولم يكن سمع من الأصم إلا شيئاً يسيراً فلما مات الحاكم أبوعبد الله بن البيع حدث عن الأصم بتاريخ يحيى بن معين وبأشياء كثيرة سواه. وكان يضع للصوفية الأحاديث.

وصنف لهم أبونصر السراج كتاباً سماه لمع الصوفية ذكر فيه من الاعتقاد القبيح والكلام المرذول ما سنذكر منه جملة إن شاء الله تعالى. وصنف لهم أبوطالب المكى قوت القلوب فذكر فيه الأحاديث الباطلة وما لا يستند فيه من أصل من صلوات الأيام والليالى وغير ذلك من الموضوع وذكر فيه الاعتقاد الفاسد. وردد فيه قول ــ قال بعض المكاشفين ــ وهذا كلام فارغ وذكر فيه عن بعض الصوفية إن الله عز وجل يتجلى في الدنيا لأوليائه. أخبرنا أبو منصور القزاز أخبرنا أبوبكر الخطيب قال: قال أبوطاهر محمد بن العلاف. قال: دخل أبوطالب المكي إلى البصرة بعد وفاة أبي الحسين بن سالم فانتمى إلى مقالته وقدم بغداد فاجتمع الناس عليه في مجلس الوعظ فخلط في كلامه فحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوق أضر من الخالق. فبدعه

الناس وهجروه فامتنع من الكلام على الناس بعد ذلك قال الخطيب. وصنف أبو طالب المكي كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية وذكر فيه أشياء منكرة مستبشعة في الصفات.

وجاء أبو نعيم الأصبهاني فصنف لهم كتاب الحلية. وذكر في حدود التصوف أشياء منكرة قبيحة ولم يستح أن يذكر في الصوفية أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وسادات الصحابة رضى الله عنهم. فذكر عنهم فيه العجب وذكر منهم شريحاً القاضى والحسن البصري وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل وكذلك ذكر السلمي في طبقات الصوفية الفضيل وإبراهيم بن أدهم ومعروفاً الكرخى وجعلهم من الصوفية بأن أشار إلى أنهم من الزهاد.

فالتصوف مذهب معروف يزيد على الزهد ويدل على الفرق بينهما. أن الزهد لم يذمه أحد وقد ذموا التصوف على ما سيأتي ذكره وصنف لهم عبد الكريم بن هوزان القشيرى كتاب الرسالة فذكر فيها العجائب من الكلام في الفناء. والبقاء. والقبض. والبسط. والوقت. والحال. والوجد والوجود. والجمع. والتفرقة. والصحو. والسكر. والذوق. والشرب. والمحو. والإثبات. والتجلى. والمحاضرة والمكاشفة. واللوائح والطوالع. واللوامع. والتكوين. والتمكين والشريعة. والحقيقة. إلى غير ذلك من التخليط الذي ليس بشيء وتفسيره أعجب منه، وجاء محمد بن طاهر المقدسي فصنف لهم صفوة التصوف فذكر فيه أشياء يستحى العاقل من ذكرها سنذكر منها ما يصلح ذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى.

وكان شيخنا أبو الفضل بن ناصر الحافظ يقول: كان ابن طاهر يذهب مذهب الإباحة: قال وصنف كتاباً في جواز النظر إلى المراد أورد فيه حكاية عن يحيى بن معين قال: رأيت جارية بمصر مليحة صلى الله عليها. فقيل له تصلى عليها فقال صلى الله عليها وعلى كل مليح. قال شيخنا ابن ناصر. وليس ابن طاهر بمن يحتج به، وجاء أبو حامد الغزالى فصنف لهم كتاب الأحياء على طريقة القوم وملأه بالأحاديث الباطلة وهو لا يعلم بطلانها وتكلم في علم المكاشفة وخرج عن قانون الفقه. وقال أن المراد بالكوكب والشمس والقمر اللواتي رآهن إبراهيم صلوات الله عليه أنوار هى حجب الله عز وجل ولم يرد هذه المعروفات. وهذا من جنس كلام الباطنية. وقال في كتابه المفصح بالأحوال. إن الصوفية في يقظتهم يشاهدون الملائكة وأرواح الأنبياء

ويسمعون منهم أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد ثم يترقى الحال من مشاهدة الصورة إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق»[١٠٣].

فهكذا كوّن هذا المذهب، وصار مستقلا بمبادئه وآرائه، له مصادره ومراجعه، تعاليمه، ومناهجه، وسوف نبحث في الباب الذي يليه عن مصادره ومراجعه، تعاليمه ورسومه.

وإلى هنا نأتي إلى آخر هذا الباب.

---

(١٠٣) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٥٦ إلى ١٦٠ ط دار القلم بيروت لبنان.

البَابُ الثَاني

مَصَادِرُ التَصَوُّفِ وَمَآخِذُهُ

إن أمر التصوف كله مختلف فيه، فكما اختلف في أصله واشتقاقه، وحده وتعريفه، بدئه وظهوره، وفي أول من تسمى به وتلقب به، كذلك اختلف في منبعه ومأخذه، ومصدره ومرجعه، فتشعبت الآراء وتنوعت الأقوال، وتعددت الأفكار. فقال قائل: إنه اسلامي بحت في أشكاله وصوره، ومبادئه ومناهجه، وأصوله وقواعده، وأغراضه ومقاصده، حتى في ألفاظه وعباراته، وفلسفته وتعاليمه، ومواجيده وأناشيده، ومصطلحاته ومدلولاته، وهذا هو ادعاء الصوفية ومن والاهم، وناصرهم، ودافع عنهم.

وقال قوم: لا علاقة له بالاسلام اطلاقا، قريبة ولا بعيدة في اليوم الذي نشأ فيه، ولا بعد ما تطور، وهو أجنبى عنه كاسمه، فلذلك لا يفتش عن مصادره ومآخذه في القرآن والسنة وارشاداتها، بل يبحث عنها في الفكر الأجنبي، وهو رأى أكثر السلفيين ومن نهج منهجهم وسلك مسلكهم وكذلك الفقهاء والمتكلمين من أهل السنة من المتقدميم، والأكثرية الساحقة من المستشرقين، والكثيرين من الباحثين والمفكرين المتحررين من الجمود وعصبية التقليد، من المتأخرين.

وقالت طائفة: إنه اسم للزهد المتطور بعد القرون المشهود لها بالخير كردّ فعل لزخرفة المدنية وزينتها التي انفتحت أبوابها على المسلمين بعد الغزوات والفتوحات وانغماسهم في ترف الدنيا ونعيمها، ثم حصلت فيه التطورات، ودخلت أفكار أجنبية والفلسفات غير الاسلامية وذهب إلى هذا الرأى ابن تيمية والشوكاني من السلفيين وغيرهم من بعض أعلام أهل السنة، حتى الصوفية أنفسهم وبعض المستشرقين.

وقال الآخرون: إن التصوف وليد الأفكار المختلطة من الإسلام واليهودية والمسيحية ومن المانوية والمجوسية والمزدكية، وكذلك الهندوكية والبوذية، وقبل كل ذلك من الفلسفة اليونانية وآراء الأفلاطونية الحديثة، وتمسك بهذا الرأى بعض الكتّاب في الصوفية من المسلمين وغير المسلمين.

فهذه هي خلاصة الاختلاف والآراء المختلفة في أصل التصوف ومأخذه، نناقشها في هذا الباب، وندعم رأينا الذى نراه من بين هذه الآراء المتعددة، بالأدلة والشواهد، الخارجية منها والداخلية، فنقول: إن أفضل طريق للحكم على طائفة معينة وفئة خاصة من الناس هو الحكم المبنى على آرائه وأفكاره التى نقلوها فى كتبهم المعتمدة والرسائل الموثوق بها لديهم بذكر النصوص والعبارات التي يبني عليها الحكم، ويؤسس عليها الرأى ولا يعتمد على أقوال الآخرين ونقول الناقلين، اللهم إلا للاستشهاد على صحة استنباط الحكم واستنتاج النتيجة.

وهذه الطريقة ولو أنها طريقة وعرة وشائكة، صعبة مستعصبة، وقل من يختارها ويسلكها، ولكنها هى الطريقة الصحيحة المستقيمة التي يقتضيها العدل والانصاف.

وعلى ذلك عند ما نتعمق في تعاليم الصوفية الأوائل والأواخر، وأقاويلهم المنقولة منهم، والمأثورة في كتب الصوفية، القديمة والحديثة نفسها، نرى بونا شاسعا بينهما وبين تعاليم القرآن والسنة، وكذلك لانرى جذورها وبذورها في سيرة سيد الخلق محمد صلوات الله وسلامه عليه وأصحابه الكرام البررة خيار خلق الله وصفوة الكون، بل بعكس ذلك نراها مأخوذة مقتبسة من الرهبنة المسيحية، والبرهمة الهندوكية، وتنسك اليهودية، وزهد البوذية، والفكر الشعوبى الإيرانى المجوسى عند الأوائل، والغنوصية اليونانية والأفلاطونية الحديثة لدى الذين جاءوا من بعدهم، وتدل على ذلك تعريفات القوم للتصوف، التي نقلناها عن كبارهم فيما سبق[1].

وكما تنطق وتشهد تعاليمهم التي هى بمثابة الأسس للتصوف، والضوابط لمن يدخل في طريقتهم.

فنبدأ أولا بإبراهيم بن أدهم، وهومن الطبقة الأولى وأئمة التصوف الأوائل، وكثيرا ما تبدأ كتب طبقات الصوفية بذكره واسمه، ولا يخلو كتاب من كتب التصوف وسيرته.

ومما يذكر بيانا لشأنه الرفيع ومكانته السامية أنه كان من أبناء الملوك وملكا لبلخ، تزوج من امرأة جميلة، وله ولد، ولكنه ترك الملك والزوجة والأولاد، وكل ما كان يملكه، للنداء الغيبي، أوللقاء الخضر الذى لقنه ذلك، مثل ما ترك بوذا ملكه وزوجته، وابنه وملاذ الدنيا وزخارفها طبقا بطبق، وحذو القذة بالقذة، خلافا لتعاليم

(١) انظر الفصل الثالث من الباب الأول من هذا الكتاب.

الاسلام وأسوة الرسول وسيرة أصحابه، ولا يوجد له أيّ مثال في الكتاب ولافى السنة، ولا من السلف الصالح ومع ذلك يبجّل الصوفية ذكره، ولذلك يجعلونه قدوة يقتدى، ومثالا يحتذى، ويفتخرون بذكره وأحواله، مع أن أحواله تلك ليست إلا ناطقة بالبوذية المنسوخة الممسوخة التي لم ينزل الله بها من سلطان.

فنودّ أن نورد تلك الحكاية الصوفية الباطلة، من التصوف القديم الأصيل، ومن الصوفى الذي يعدّ من الأعلام والأقطاب مقارنة بقصة بوذا، المنقولة من الكتب البوذية، ولبيان أنها تشتمل على ترهات وأكاذيب فاحشة مكشوفة تنطق بكونها مختلفة موضوعة مكذوبة، وننقل هذه القصة من تذكرة صوفية قديمة (تذكرة الأولياء) لفريد الدين العطار، مقتبسين ترجمتها العربية من صادق نشأت:

«إن إبراهيم بن أدهم كان ملكا لبلخ، وتحت أمرته عالم، وكانوا يحملون أربعين سيفا من الذهب وأربعين عمودا من الذهب من أمامه ومن خلفه، وكان نائما ذات ليلة على السرير، فتحرك سقف البيت ليلا، كأنما يمشى أحد على السطح، فنادى: من هذا..؟ فقال: صديق فقدت بعيرا أبحث عنه على هذا السقف، فقال: أيها الجاهل، أتبحث عن البعير فوق السطح...؟ فقال له: وأنت أيها الغافل تطلب الوصول إلى الله في ثياب حريرية وأنت نائم على سرير من ذهب...؟ فوقعت الهيبة في نفسه من هذا الكلام، واندلعت في قلبه نار، فلم يستطع النوم حتى الصباح، وعندما أشرق الصبح ذهب إلى الايوان وجلس على السرير متحيرا مفكرا حزينا، ووقف أركان الدولة كل في مكانه واصطف الغلمان وأذنوا اذنا عاما، فدخل رجل مهيب من الباب بحيث لم يكن لأى أحد من الخدم أو الحشم الجرأة على أن يقول له من أنت، ولم ينبسوا ببنت شفة، وتقدم الرجل حتى واجه سرير إبراهيم، فقال له: ماذا تريد..؟ قال: أنزل في هذا الرباط، قال: ليس هذا برباط، إنما هو قصرى، وإنك لمجنون، فقال: لمن كان هذا القصر قبل هذا؟ قال: كان لأبى، قال: وقبل ذلك، قال: كان ملكا لجدى... وقبل ذلك؟ قال: ملكا لفلان، قال: أو ليس الرباط هو ما يحل به أحد ويغادره الآخر..؟ قال هذا واختفى، وكان هو الخضر عليه السلام، فازدادت حرقة روح إبراهيم ولوعته، وازداد ألمه حدة نتيجة لهذه الحال، وازدادت هذه الحال من واحد إلى مائة ضعف، إذ أنه رأى أنه قد اجتمع ما شاهده نهارا مع ما وقع ليلا، ولم يعرف ممن سمع، ولم يعلم ماذا رأى اليوم، فقال: أسرجوا الجواد لأنى أريد الذهاب للصيد، فقد حدث لي اليوم

شيء لست أدري ما هو، فيـا الهى إلى أين تنتهى هذه الحـال. . . ؟ فأسـرجوا له جوادا، وتـوجـه للصيـد، فكـان يتجـول في البرية دهشا بحيث لم يعرف ماذا يفعل، فانفصـل عن جيشـه وهـو في تلك الحـال من الـدهش، فسمع صوتا في الطريق يقول له: انتبـه، فانتبـه، ولم يصـغ إليه، وذهب وجاءه هذا النداء للمرة الثانية، فلم يعره سمعـا للمـرة الثـالثـة نفس ذلـك النـداء، فأبعد نفسه عنه، وسمع للمرة الرابعة من يقـول: «انتبـه قبـل أن تنبـه» ففقد صوابه تماما وفجاءة ظهرت غزالة شغل نفسه بها، فأخذت الغزالة تخاطبه قائلة: انهم بعثونى لصيدك، وانك لن تستطيع صيدى، ألهذا خلقت؟ أو بهذا أمـرت؟ انـك خلقت للذي تعمله وليس لك عمـل آخـر، فقـال إبـراهيم: ترى ما هذه الحـال. . . ؟ وأشـاح بوجهـه عن الغـزالة، فارتفع نفس ذلك الصـوت الـذي كان قد سمعـه من الغـزالة من قربوس السرج، فوقر في نفسه الخوف والفـزع وازداد كشفـا، وحيث أن الحق تعـالى أراد أن يتم الأمـر ارتفـع ذلك الصوت ثلاث مرات أخـر من حلقـة جيبـه، وبلغ ذلك الكشف هنا حد الكمال، وانفتح عليه الملكوت ونزل، وحصل له اليقين، فابتلت الملابس والجواد من ماء عينيه، وتاب توبة نصـوحـا، وانتحى ناحية من الطريق، فرأى راعيا يرتدى لبادا، وقد وضع قلنسوة من اللبـاد على رأسـه، وأمـامه الأغنام، فنظر فإذا هو عبده، فخلع قباءه المزركش وتاجه المـرصـع وأعطاهما له، ووهبه الأغنام وأخذ منه اللباد ولبسه ووضع قلنسوة اللباد على رأسه وطفق يسير راجلا في الجبال والبرارى هائما على وجهه ينوح من ذنوبه. ثم غادر المكان إلى أن بلغ نيسابور، فأخذ يبحث عن زاوية خالية يتعبد فيها حتى وصل إلى ذلك الغار المعروف واعتكف فيه تسعة أعوام.

ومن ذا الـذي يعلم ما كان يفعله هنـاك في الليـل والنهـار، انه ينبغي أن يكون رجلا عظيما ذا مادة واسعة حتى يستطيع الاقامة في مثل ذلك المكان، وصعد إبراهيم يوم خميس إلى ظاهـر الغـار وجمـع حزمـة حطب واتجـه في الصبـاح إلى نيسابور حيث باعهـا، وصلى الجمعـة واشـترى بثمن الحطب خبـزا، وأعطى نصفـه لفقـير وتناول النصف الآخر، واتخذ منه أفطاره وداوم صيامه حتى الأسبوع التالى، وبعد أن وقف النـاس على شأنـه هرب من الغـار وتـوجـه إلى مكـة، وقيل أنه بقى أربعة عشر عاما يطـوى البـاديـة حيث كان يصلى ويتضـرع طوال الطـريق حتى أشـرف على مكة، وروى أنه كان له طفل رضيع عند مغادرته بلخ، ولما أيفع طلب من أمه أباه، فقصت الأم الحـال قائلة: إن أبـاك قد تاه، ونقـل عنـه أنـه قال: عندما كنت أسير في البادية متـوكـلا، ولم أتناول شيئا مدة ثلاثة أيام جاءنى إبليس وقال: أنت ملك، وتركت كل

هذه النعمة لتذهب جائعا إلى الحج . . . ؟ لقد كان بمقدرك الحج بعز وجلال حتى لا يصيبك كل هذا الأذى، قال: عندما سمعت هذا الكلام منه رفعت صوتى وقلت: الهى!! سلطت العدو على الصديق حتى يحرقنى فأغثنى حتى أستطيع قطع هذه البادية بعونك، فسمعت صوتا يقول: ياإبراهيم! ألق ما في جيبك حتى تكشف ما هو في الغيب فمددت يدى إلى جيبى فوجدت أربعة دوانق فضية كانت قد بقيت منسية، ولما رميتها جفل ابليس منى وظهرت قوة من الغيب»[٢].

وورد ذكره وحكايته أيضا في (طبقات الصوفية) للسلمى[٣].

وفي (حلية الأولياء) للأصبهاني[٤].

وفي (الرسالة) للقشيرى[٥].

وفي (جمهرة الأولياء) للمنوفى الحسينى[٦].

وفي (نفحات الأنس) للجامى[٧].

وفي (طبقات الأولياء) لابن الملقن المتوفى ٨٠٤هـ[٨].

وفي (الطبقات الكبرى) للشعرانى[٩].

فهذه هي قصة إبراهيم بن أدهم، وفيها ما فيها من ترك الأهل والزوج والولد بدون جريمة ارتكبوها، وإثم اقترفوه، خلافا لأوامر القرآن وإرشادات الرسول ﷺ، المشهورة المعروفة شبها ببوذا، وهاهي خلاصة قصته:

«وكانت قبيلة ساكياس تقطن في شمال بنارس، وهي التي ولد فيها بوذا في أواسط القرن السادس قبل الميلاد، وقد مات في سنة ٤٧٨ قبل الميلاد بعد أن عمر ثمانين عاما. وتزوج بوذا في سن التاسعة عشرة ابنة عمه، وكان في رغد وسعادة. وبينما كان يسير يوما إلى الصيد وهو في التاسعة والعشرين شاهد رجلا قد بلغ من كبر سنه منتهى الضعف والعجز، ورأى في وقت آخر شخصا مبتلى بمرض استعصى علاجه

---

(٢) انظر «تذكرة الأولياء» لفريد الدين العطار ص ٥٣ وما بعد ط باكستان.

(٣) طبقات السلمى ص١٢ مطابع الشعب القاهرة ١٣٨٠هـ.

(٤) حلية الأولياء للأصبهاني ج٧ ص٣٦٧ وما بعد. ط دار الكتاب العربى لبنان.

(٥) الرسالة القشيرية ج١ ص٥٤ وما بعد ط دار الكتب الحديثة ـ القاهرة بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.

(٦) جمهرة الأولياء ج٢ ص١٢٥ ط مؤسسة الحلبى ـ القاهرة ١٩٦٧م.

(٧) نفحات الأنس للجامى ص ٤١ الطبعة الفارسية ايران.

(٨) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٥ نشر مكتبة الخانجي ـ القاهرة الطبة الأولى ١٣٩٣هـ.

(٩) الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص٦٩ .

ويحتمل الآلام وبعد مدة أخرى تأثر واشمأز جدا لرؤيته منظرا كريها لجثة في حالة من الفساد، وكان خادمه وصاحبه الوفي المسمى «جانا» يذكره وينبهه في كل هذه الحالات ويقول له: «هذا هو مصير حياة البشر» وشاهد بوذا أحد النساك يمر عليه وهو في منتهى الراحة والأبهة والكرامة فسأل جانا ما حال هذا الرجل..؟ فحكى له جانا تفصيلا عن أخلاق الزهاد الذين أعرضوا عن كل شيىء وعن أحوالهم، وقال له: ان هؤلاء الجماعة في سير وارتحال دائم وهم يعلمون الناس أثناء سياحتهم ورحلاتهم تعاليم هامة بالقول والعمل.

والخلاصة أنه برغم اختلاف الروايات لاشك في أن ذهن هذا الأمير الشاب قد أخذ يضطرب تدريجيا وينفر من الحياة وضوضائها.

ووفد عليه رسول يوما في أثناء ازماعه العودة من النزهة وبشره بميلاد ولد هو أول مولود له، فقال بوذا لنفسه في تلك الحالة النفسية المضطربة دون أن يشعر: «ماهى ذى رابطة جديدة تربطني بالدنيا». والخلاصة أنه عاد إلى المدينة بينما كان المطربون يلتفون حوله. فطرب ورقص في تلك الليلة أقاربه وذوو رحمه فرحا بالمولود الجديد. لكن بوذا كان من الامتعاض والاضطراب بحيث لم يكترث بتلك الأوضاع أبدا. وأخيرا نهض من فراشه في آخر الليل كمن التهمت النار داره وأوعز إلى جانا أن يحضر له الفرس ومد رأسه في هذه الأثناء إلى غرفة زوجته وولده الوحيد من غير أن يوقظهما وعلى العتبة أخذ على نفسه عهدا ألا يعود إلى داره ما لم يصبح «بوذا» أى «حكيماً مستنيرا»، وقال:

«أذهب لأعود إليهم معلما وهاديا لا زوجا ووالدا» والخلاصة أنه خرج مع جانا وهام في البرارى، وفي هذه اللحظة ظهر في السماء «مارا» أى الوسواس الكبير «ابليس أو النفس الأمارة» ووعده بالملك والعز في الدنيا بأسرها لكى يرجع عن عزمه لكنه لم يقع في شرك الوسوسة. فسار بوذا قليلا في تلك الليلة على شاطىء النهر ثم وهب لجانا جواهره وملابسه الفاخرة وأعاده ومكث سبعة أيام بلياليها في غابة ثم التحق بخدمة برهمى يدعى «الارا» كان في تلك البقعة واختار بعد ذلك صحبة برهمى آخر يسمى «أودراكا» وتعلم من هذين الرجلين حكمة وعلوم الهند كلها، ولكن قلبه لم يستقر بعد فذهب إلى غابة كانت في أحد الجبال، وهناك صحب خمسة من التلاميذ الذين كانوا يحيطون به ومارس التوبة والرياضات الشاقة ست سنين حتى اشتهر في تلك الناحية، فاعتزم لهذا أن يهجر ذلك المكان ولما قام ليذهب سقط على الأرض لشدة ضعفه

وعجزه، وغاب عن وعيه بحيث ظن تلاميذه أنه فارق الحياة، ولكنه عاد إلى رشده. فترك الرياضات الشاقة منذ ذلك الحين وأخذ يأكل طعامه بانتظام، ولما رأى التلاميذ الخمسة الذين كانوا في صحبته أنه مل الرياضة نفضوا أيديهم من احترامه وتركوه وذهبوا إلى بنارس.

أما بوذا فانه ترك ملذات الدنيا وثروتها والمقام فيها حتى ينال الضمير والطمأنينة عن طريق التعلم والفلسفة وحكمة الآخرين فلم يستطع أن ينال بتلك الرياضة والتوبة طمأنينة القلب التي كان يصبو إليها والحاصل أنه بقى حيران في أمره ذاهلا وفي نفس ذلك اليوم الذي تفرق فيه عنه تلامذته مكث بوذا تحت شجرة يتأمل ويفكر في نفسه، ماذا يعمل..؟ وأى طريق يتبع..؟ وهاجمته وساوس كثيرة وتاقت نفسه إلى الزوجة والولد والجاه والثروة والترف والنعيم، واستمر هذا الكفاح والجهاد مع النفس إلى غروب الشمس. ونتيجة لهذا الكفاح اتصل «بنير فانا» وتأكد لديه أنه أصبح «بوذا» أى أنه نال الاشراق واستنار، وحينئذ نال بوذا ما كان يصبو إليه من الراحة والطمأنينة. لذلك عزم أن يمارس الارشاد. وأن يعرض رغبته على الآخرين، وكان بوذا وقتئذ في الخامسة والثلاثين من عمره فقصد في بادىء الأمر أستاذيه «الارا» و«أودراكا» ولكنه علم بعد، بأنهما قد توفيا، فذهب إلى تلامذته الخمسة على مقربة من بنارس وأرشدهم وجعلهم من أتباعه، وآمن به أبوه وأمه وزوجته كذلك، ثم أمر زمرة من خواص مريديه أن يقوموا بارشاد الناس»(١٠).

فهذه هى خلاصة قصة بوذا، وهى عين ما ذكره الصوفية عن إبراهيم بن أدهم كما نقلناه، والشبه ظاهر في ترك الملك والزوجة والولد.

ولأجل ذلك نص «جولدزيهر» المستشرق النمساوى المشهور أن صوفية القرن الثاني الهجرى قد حاكوا قصة إبراهيم بن أدهم ابن الأمير البلخى الذى طلق الدنيا وتزيّا بزىّ الدراويش، وبلغ درجة أكابر الصوفية برياضته الطويلة، وتلك صورة طبق لأصل لما كانوا قد سمعوه عن حياة بوذا(١١).

ثم علّق عليه الدكتور قاسم غنى الباحث الإيرانى بقوله:

---

(١٠) انظر للت دستر الباب الحادى والعشرون فقرات ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١، أيضا دائرة المعارف البريطانية نقلا عن تاريخ التصوف في الإسلام للدكتور قاسم غنى ترجمة عربية ص٢٢٣ وما بعد، أيضا جستجودر تصوف ايران (فارسى) للدكتور عبد الحسين زرين كوب ص ٦، ٧ ط مؤسسة انتشادات اميركبير طهران ١٣٦٣ هجرى قمرى.

(١١) نفس المصدر السابق، أيضا.

«وحدس «جولدزيهر» يمكن أن يكون صحيحا وهو من الاحتمالات القريبة من الواقع، وقد شوهدت لها نظائر كثيرة ـ إلى أن قال ـ: وإذا ما قارن أحد بين قصة بوذا كما وردت في مدونات البوذيين بقصة إبراهيم بن أدهم ذات الطابع الأسطورى، الواردة في كتب تراجم العارفين مثل (حلية الأولياء) للأصفهانى، و(تذكرة الأولياء) للشيخ العطار وجد شبها عجيبا بين تلك القصتين يستلفت نظره»[١٢].

هذا وهناك أقوال لابراهيم بن أدهم وغيره من كبار الصوفية وأقطابهم في الزواج والأولاد تخبر بجلاء عن مواردها ومنابعها، فها هى تلك الأقوال من أهم كتب الصوفية:

ينقل الطوسى والعطار عن إبراهيم بن أدهم أنه قال:

«إذا تزوج الفقير فمثله مثل رجل قد ركب السفينة، فاذا ولد له ولد قد غرق»[١٣].

ونقل السهروردى عنه أنه قال:

«من تعوّد أفخاذ النساء لايفلح»[١٤].

ونقل أبو طالب المكى ـ وهو من أعلام الصوفية البارزين وأئمتهم المتوفى سنة ٣٨٦هـ ـ عن قطب من أقطاب الصوفية الأوائل عن أبى سليمان الدارانى المتوفى سنة ٢١٥هـ:

«من تزوج فقد ركن إلى الدنيا»[١٥].

ونقل السهروردى فى «عوارفه» الذى هو أشهر كتاب في التصوف عن أبى سليمان الدارانى أيضا أنه قال: «ما رأيت أحدا من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته»[١٦].

ونقل المكى عن سيد الطائفة الجنيد البغدادى أنه قال: «أحب للمريد المبتدى أن لا يشغل قلبه بالتزوج»[١٧].

---

(١٢) انظر تاريخ التصوف في الإسلام للدكتور قاسم غنى ترجمة عربية ص٢٢٣.

(١٣) كتاب اللمع للطوسى ص٢٦٥ باب آداب المتأهلين ومن ولد بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، وتذكرة الأولياء للعطار ص٥٧ ط باكستان.

(١٤) عوارف المعارف للسهروردى ص١٦٦، أيضا غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ج١ ص٢٠٨.

(١٥) قوت القلوب لأبي طالب المكى ج١ ص٢٥٢ ط دار صادر بيروت، غيث المواهب العلية ج١ ص٢٠٨.

(١٦) عوارف المعارف للسهروردى الباب الحادى والعشرون ص١٦٥ ط دار الكتاب العربى بيروت ١٩٨٣م.

(١٧) انظر قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكى ج١ ص٢٦٧.

كما نقل عن بشر بن الحارث أنه قيل له: «إن الناس يتكلمون فيك، فقال: وما عسى يقولون؟ قيل: يقولون: إنك تارك السنة يعنون النكاح.

فقال: قل لهم: إنى مشغول بالفرض عن السنة، وقال مرة: ما يمنعنى من ذلك إلا آية فى كتاب الله تعالى قوله: ﴿**ولهن مثل الذي عليهن**﴾، ولعسى أن لا أقوم بذلك، وكان يقول: لو كنت أعول دجاجة لخفت أن أكون جلاداً على الجسر هذا. يقوله في سنة عشرين ومائتين والحلال والنساء أحمد عاقبة، فكيف بوقتنا هذا؟.

فالأفضل للمريد في مثل زماننا هذا ترك التزويج»[18].

ويقول السهروردى:

«التزوج انحطاط من العزيمة إلى الرخص، وجوع من الترمح إلى النقص، وتقيدا بالأولاد والأزواج، ودوران حول مظان الاعوجاج، والتفات إلى الدنيا بعد الزهادة، وانعطاف على الهوى بمقتضى الطبيعة والعادة»[19].

ثم نقل حديثا مكذوبا على رسول الله ﷺ أنه قال:

«خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ، قيل: يارسول الله وما خفيف الحاذ؟. قال: الذى لا أهل له ولا ولد. وقال بعض الفقراء ـ لما قيل له: تزوج ـ: أنا إلى أن أطلق نفسى أحوج منى إلى التزوّج»[20].

وصوفي آخر محمد بن إبراهيم النفزى الرندى المتوفى سنة ٧٩٢هـ ينقل عن صوفى قديم آخر، وهو سهل بن عبد الله التسترى أنه قال:

«إياكم والاستمتاع بالنساء، والميل اليهن، فإن النساء مبعّدات من الحكمة، قريبات من الشيطان، وهى مصايده وحظه من بنى آدم، فمن عطف اليهن بكليته فقد عطف على حظ الشيطان، ومن حاد عنهن يئس منه، وما مال الشيطان إلى أحد كميله إلى من استرق بالنساء، وإن الشر معهن حيث كنّ، فإذا رأيتم في وقتكم من قدركن اليهن فايأسوا منه.

قيل له: فحديث النبي ﷺ: حبّب إلىّ من دنياكم ثلاث، فذكر النساء؟.

---

(١٨) قوت القلوب ج٢ ص٢٣٨، أيضا عوارف المعارف ص١٦٥، أيضا الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص٧٣ ط دار العلم للجميع ـ القاهرة ١٩٥٤م.

(١٩) انظر عوارف المعارف ص ١٦٤، ١٦٥.

(٢٠) نفس المصدر ص١٦٥.

فقال : النبى ﷺ معصوم ، وقد بلّغكم ما كان فيه معهن ، هى عدوّة الرجل ظاهرا وباطنا ، إن أظهرت له المحبة أهلكته ، وإن أضمر تهاله ، وإن الله عزوجل جعلهن فتنة ، فنعوذ بالله من فتنتهن»(٢١) .

ونقل عن صوفى آخر حذيفة المرعشى المتوفى ٢٠٧هـ أنه قال :

«كان ينبغى للرجل لوخيرّ بين أن يضرب عنقه ، وبين أن يتزوج امرأة في الفتنة لاختار ضرب العنق على تزويج امرأة في الفتنة»(٢٢) .

ونقل ابن الملقن سراج الدين أبوحفص عمر على المصرى المتوفى ٨٠٤هـ في كتابه عن أحد كبار الصوفية :

«ما تزوج أحد من أصحابنا إلا تغير»(٢٣) .

ونقل الشعرانى عن رباح بن عمرو القيسى - من الصوفية الأوائل - أنه قال :

لا يبلغ الرجل إلى منازل الصديقين حتى يترك زوجته كأنها أرملة ، وأولاده كأنهم أيتام ، ويأوى إلى منازل الكلاب(٢٤) .

وكتب صوفي قديم آخر ، وهو أبو الحسن على الهجويرى المتوفي قريبا سنة ٤٦٥هـ قصة غريبة في العزلة والتجرد نقلا عن إبراهيم الخواص أنه قال :

«وصلت إلى قرية بقصد زيارة عظيم كان هنالك ، ولما ذهبت إلى داره رأيت بيتا نظيفا مثل معبد الأولياء ، وقد جعل في زاويتين من البيت محرابين ، وجلس في أحدهما شيخ ، وفي الآخر عجوز نظيفة وضيئة ، وقد ضعف كلاهما من كثرة العبادة ، فأظهرا السرور بقدومى ، وبقيت هنالك ثلاثة أيام ، ولما أردت العودة سألت الشيخ : من تكون لك تلك العفيفة؟ قال : هى من ناحية ابنة عمى ، ومن ناحية أخرى زوجى ، فقلت : رأيتكما خلال هذه الأيام الثلاثة كالغريبين تماما في الصحبة . قال : نعم ، منذ خمسة وستين عاما ونحن كذلك فسألته عن سبب ذلك ، فقال : إعلم أننا كنا عاشقين لأحدنا الآخر في الصغر ، ولم يكن أبوها يعطيها لى لأن محبتنا صارت معروفة ، فتحملت ذلك حتى توفى أبوها ، وكان والدى عمها ، فزوجها لى ، فلما

---

(٢١) غيث المواهب العلية فى شرح الحكم العطائية لأبى عبد الله محمد بن إبراهيم النفزى ج١ ص٢٠٩ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود الشريف ط مطبعة السعادة القاهرة .

(٢٢) نفس المصدر .

(٢٣) طبقات الأولياء لابن الملقن ص٣٦ نشر مكتبة الخانجى القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ .

(٢٤) طبقات الشعرانى ج١ ص٤٦ .

كانت الليلة الأولى من تلاقينا قالت لى : أنت تعلم أية نعمة أنعمها الله علينا إذ أوصل كلامنا إلى الآخر، وأفرغ قلبينا من القيود والآفات السيئة ، فقلت : نعم ، قالت : فلنمنع أنفسنا الليلة عن هوى النفس ، وندس على مرادنا ، ونعبد الله شكراً على هذه النعمة ، فقلت : هذا صواب ، وقالت هذا نفسه في الليلة التالية . وقلت أنا في الليلة الثالثة : لقد أدينا الشكر ليلتين من أجلك ، فلنقض ليلتين أيضا في العبادة من أجلي . وقد تمت الآن خمسة وستون عاما لم يمس أحدنا الآخر، ونحن نقضى كل العمر في شكر النعمة»[٢٥] .

وقال بعد نقلها ونقل أشياء أخرى :

«وفى الجملة : إن أول فتنة قدرت على آدم في الجنة كان أصلها امرأة . وأول فتنة ظهرت في الدنيا ـ أى فتنة هابيل وقابيل ـ كانت أيضا بسبب امرأة . وحين أراد الله تبارك وتعالى أن يعذب إثنين من الملائكة جعل سبب ذلك امرأة . وهن جميعا إلى يومنا هذا سبب جميع الفتن الدينية والدنيوية ، لقوله عليه السلام : «ما تركت بعدى فتنة أضر على الرجال من النساء» ، فإذا كانت فتنتهن بهذا القدر في الظاهر، فكيف تكون فى الباطن؟ .

وأنا على بن عثمان الجلابى ، من بعد أن حفظنى الحق تعالى من آفة الزواج أحد عشر عاما ، قدر أن وقعت في الفتنة ، وصار ظاهري وباطني أسير الصفة التي كانوا عليها معى ، دون أن تكون هنالك رؤ ية ، وقد استغرقت في ذلك عاما ، بحيث كان يفسد على دينى ، إلى أن بعث الحق تعالى بكمال فضله وتمام لطفه عصمته لاستقبال قلبى المسكين ، ومن على بالخلاص برحمته ، والحمد لله على جزيل نعمائه .

وفى الجملة فإن قاعدة هذا الطريق وضعت على التجريد ، وعندما جاء التزويج اختلف أمرهم ، ولا يوجد أى عساكر من عساكر الشهوة إلا ويمكن إخماد ناره بالاجتهادة ، لأن الآفة التي تنشأ منك تكون آلة دفعها معك أيضا ، ولا يلزم الغير حتى تزول عنك تلك الصفة .

وزوال الشهوة يكون بشيئين : واحد يدخل تحت دائرة التكلف ، وواحد يخرج عن دائرة الكسب والمجاهدة ، فما يدخل فى تكلف الآدمى ومقدوره هو الجوع ، وأما ما يخرج عن التكلف الهمم ، وتنشر المحبة سلطانها في أجزاء الجسد ، وتعزل كل الحواس عن أوصافهم ، وتجذب كل العبد ، وتغنى عنه الهزل .

---

(٢٥) كشف المحجوب للهجويرى ص٦١٠ ، ٦١١ .

وإن أحمد بن حماد السرخسى، الذى كان رفيقى في ما وراء النهر، رجلا محتشما، قيل له: أبك حاجة إلى التزويج، قال: لا، قالوا: لم؟ قال: اننى في حالى إما أن أكون غائبا عن نفسى، واما أن أكون حاضرا بنفسى. وحين أكون غائبا لا أفكر في الكونين، وحين أكون حاضرا فإننى أجعل نفسي بحيث إذا وجدت رغيفا تعتبر أنها وجدت ألفا من الحور. فانشغال القلب بكل ما تريده يكون عظيما، فتنبه»[٢٦].

وذكر السراج الطوسى أيضا قصة صوفي تزوج من امرأة فبقيت عنده ثلاثين سنة وهى بكر[٢٧].

وذكر العطار عن عبد الله بن خفيف الصوفى المشهور أنه تزوج أربعمائة امرأة ولكنه لم يجامع واحدة منهن[٢٨].

وهل لسائل أن يسأل: ما الغرض الذي كان من نكاحه اياهن؟.

والشعرانى أيضا عن صوفى آخر ياقوت العرشى أنه تزوج ابنة شيخه أبى العباس المرسى فمكثت عنده ثمانى عشرة سنة لا يقربها حياء من والدها ومنها، وفارقها بالموت وهى بكر[٢٩].

ونقل عن الشعرانى أيضا عن أحد المتقدمين من الصوفية مطرف بن عبد الله الشغير المتوفى سنة ٢٠٧هـ أنه قال:

«من ترك النساء والطعام فلابدّ له من ظهور كرامة»[٣٠].

ونقل أيضا في كتابه (تنبيه المغترين) من أحد الصوفية أنه قال:

من تزوج فقد أدخل الدنيا بيته... فاحذروا من التزويج[٣١].

وينقل ابن الجوزى عن أبي حامد الغزالى أنه قال:

«ينبغى أن لا يشغل المريد نفسه بالتزويج، فإنه يشغله عن السلوك ويأنس

---

(٢٦) كشف المحجوب الطبعة العربية ٦١٠، ٦١١.

(٢٧) اللمع للسراج الطوسى ص٢٦٤.

(٢٨) انظر تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص٢٤١ ط باكستان.

(٢٩) الأخلاق المتبولية لعبد الوهاب الشعرانى ج٣ ص١٧٩ بتحقيق الدكتور منيع عبد الحليم محمود ط مطبعة دار التراث العربى ـ القاهرة ١٩٧٤م.

(٣٠) طبقات الشعرانى ص٣٤.

(٣١) تنبيه المغترين للشعرانى ص٢٩.

بالزوجة، ومن أنس بغير الله شغل عن الله تعالى»(٣٢).

هذا ومثل هذا كثير.

ولقد بوب الصوفية في كتبهم أبوابا مستقلة في مدح العزوبة وذم التزويج، وهذا الأمر لا يحتاج إلى بيان أنه لم يأخذه المتصوفة إلا من رهبان النصارى ونساك المسيحية الذين ألزموا أنفسهم التبتل، خلافا لفطرة الله التي فطر الناس عليها.

تقليدا لهم واتباعا لسنتهم، واقتداء لمسالكهم ومشاربهم، مخالفين أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ الناسخ لجميع الشرائع والأديان، المبعوث بمكارم الأخلاق وفضائل العادات، فالله يأمر المؤمنين في محكم كتابه بنكاح النساء مثنى وثلاث ورباع وعند الخوف من عدم العدل بواحدة، فيقول جل من قائل:

﴿وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا»(٣٣).

وقال: **﴿وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله سميع عليم﴾**(٣٤).

وجعل الزواج سببا لحصول السكون والطمأنينة حيث قال عز وجل:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(٣٥).

ورسوله صلوات الله وسلامه عليه يحذر المعرضين عنه في حديث طويل أورده البخاري ومسلم من حديث أنس رضى الله عنه أنه قال:

«إن نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ سألوا أزواج النبي عليه السلام عن عمله في السر فأخبرنهم فقال بعضهم: لا آكل اللحم، وقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أنام على فراش. وقال بعضهم: أصوم ولا أفطر، فحمد الله النبي عليه الصلاة والسلام وأثنى عليه، ثم قال: ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكنى

---

(٣٢) انظر تلبيس ابليس لابن الجوزى ص٢٨٦.

(٣٣) سورة النساء الآية ٣.

(٣٤) سورة النور الآية ٣٢.

(٣٥) سورة الروم الآية ٢١.

أصلى وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتى فليس منى»[٣٦].

وقــال: «تزوجوا الولود والودود فإنى مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»[٣٧].

وقال عليه الصلاة والسلام:

«حبب إلى من الدنيا الطيب والنساء، وجعلت قرة عينى في الصلاة»[٣٨].

وعن أبي ذر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يأتى أحدنا شهوته ويكون فيها له أجر؟.

قال أفرأيتم لو وضعه في حرام، هل عليه وزر؟ قالوا نعم. قال: فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[٣٩].

وما أحسن ما قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمة الله عليه:

«ليس العـزوبـة من أمـر الإسلام في شيء، النبي عليه الصلاة والسلام تزوج أربع عشرة امرأة ومات عن تسع، ثم قال: لو كان بشر بن الحارث تزوج قد تم أمره كله. لو ترك النـاس النكـاح لم يغـزوا ولم يحجـوا ولم يكن كذا، وقـد كان النبي عليـه الصـلاة والسـلام يصبـح وما عنده شيء، وكان يختار النكاح ويحث عليه، وينهى عن التبتـل، فمن رغب عن عمـل النبي عليـه الصـلاة والسـلام فهـو على غير الحق. ويعقوب عليه السلام في حزنه قد تزوج وولد له. والنبي عليه الصلاة والسلام قال: «حبب إلى النساء»[٤٠].

فهـذه هي تعـاليم شريعـة الإسـلام المستقاة من أصلين أساسيين لشرع الله: الكتاب والسنة.

وتلك هي أقـوال الصـوفيـة، التي لم يأخـذوهـا من هذا المورد العذب، والمنهل الصـافى، بل أخـذوهـا من الكهنـة والبـوذيـة كما مر ذلـك، ونسـاك الجينية، ورهبان المسيحيـة. وأمـر أولئـك في هذا الباب مشهور ومعروف لا يحتاج إلى كثير من البيان، ولكن لإقامة البرهان ننقل بعض آيات من انجيل، فقال المسيح:

---

(٣٦) متفق عليه واللفظ للبخارى.

(٣٧) رواه أبو داود والنسائى والبيهقى عن معقل بن يسار.

(٣٨) رواه أحمد والنسائى.

(٣٩) رواه مسلم.

(٤٠) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ٢٨٥، ٢٨٦.

«ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السماوات، من استطاع أن يقبل فليقبل»[٤١].

ويقول رسول المسيحيين في رسالته إلى أهل كورنتوس :

«وأما من جهة الأمور التي كتبتم عنها فحسن للرجل أن لا يمس امرأة»[٤٢].

وكذلك يقول :

«أقول لغير المتزوجين والأرامل : إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا»[٤٣].

ويقول : «فأريد أن تكونوا بلا هم. يهتم في ما للرب كيف يرضى الرب. وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضى امرأته. إن بين الزوجة والعذراء فرقا. غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدسة جسدا وروحا. وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضى رجلها.

هذا أقوله لخيركم ليس لكي ألقى عليكم وهقا، بل لأجل اللياقة والمثابرة للرب من دون ارتباك. ولكن إن كان يظن أنه يعمل بدون لياقة نحو عذرائه إذا تجاوزت الوقت، وهكذا لزم أن يصبر فليفعل ما يريد. إنه لا يخطىء فيتزوجا. وأما من أقام راسخا في قلبه وليس له اضطرار بل له سلطان على ارادته، وقد عزم على هذا في قلبه أن يحفظ عذراء فحسنا يفعل. إذن من زوج فحسنا يفعل. ومن لا يزوج يفعل أحسن[٤٤].

هذا ومثل هذا كثير.

هذه هي تعاليم المسيحية، المنقولة منهم تجاه الزواج، ومن هذه التعاليم تأثر وليّ من أولياء المسيحية اوريغن (ORIGEN) الذي يعدونه أحد القديسين، العائش ما بين ١٨٥ و٢٥٤، وجب ذكره[٤٥].

والجدير بالذكر أن أحد المتصوفة أتى بمثل هذا العمل، وفعل فعلته فيه كما ذكر الشعراني أن عبد الرحمن المجذوب :

---

(٤١) الآية ١٢ انجيل متى من العهد الجديد.

(٤٢) رسالة بولس فى رسالته إلى أهل كورنتوس من العهد الجديد الأصحاح السابع الآية ١.

(٤٣) أيضا الآية ٨.

(٤٤) الأصحاح السابع الآية ٣١ إلى ٣٩.

(٤٥) Oxford Historyof Christian Church P. 992 Londun, 1958.

«كان رضى الله عنه من الأولياء الأكابر، وكان سيدى على الخواص رضى الله عنه يقول : ما رأيت قط أحدا من أرباب الأحوال دخل مصر إلا ونقص حاله إلا الشيخ عبد الرحمن المجذوب، وكان مقطوع الذكر قطعه بنفسه أوائل جذبه»[٤٦].

وصوفى هندى آخر أيضا فعل ذلك[٤٧].

وكتب هينس (HANS) «أن المسيحيين القدامى كانوا يعدون ترك الزواج من الأمور الواجبة والمحببة إلى الله، والمقربة إلى ملكوته»[٤٨].

ومن خصائص المسيحية وتعاليمها ترك الدنيا، والتجرد عن المال، والتجوع، وتعرى الأجساد والأعراض عن زينة الحياة، المباحة، وتحريم الطيبات باسم الانقطاع إلى الآخرة، ورهبانية ابتدعوها، وتعذيب النفس.

فلقد ورد في الأناجيل عن المسيح أنه قال :

«لا تكنزوا كنوزا على الأرض، حيث يفسد السوس والصدأ، وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ، وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا»[٤٩].

ونقل عنه أيضا أنه قال :

« لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال. لذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون. ولا لأجسامكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس. أنظروا إلى طيور السماء أنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن، وأبوكم السماوى يقوتها. ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة، ولماذا تهتمون باللباس، تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو لا تتعب ولا تغزل، ولكن أقول لكم : إنه ولا سليمان في كل مجده كان يلبس كواحدة منها، فإن كان عشب الحقل الذي يوجد اليوم ويطرح غدا في التنور يلبسه الله هكذا، أفليس بالحرى جدا يلبسكم أنتم قليلى

---

(٤٦) انظر طبقات الشعرانى ج ٢ ص ١٤٢ .

(٤٧) انظر تذكرة أولياء بر صغير لميرزه محمد اختر الدهلوى ج٣ ص٣٣ .

(٤٨) Bookings of The Christian Churchs P. 135 Londun, 1955.

(٤٩) انجيل متى الأصحاح السادس ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .

الإيمان، فلا تهتموا قائلين : ماذا نأكل، أو ماذا نشرب، أو ماذا نلبس، فإن هذه كلها تطلبها الأمم.

لأن أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها، لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم.

فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شره»(٥٠).

وورد في هذا الأنجيل أيضا «أن شابا تقدم إلى المسيح وقال له : أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل به لتكون لي الحياة الأبدية ؟.

فأجابه المسيح ببعض الأجوبة ثم قال له :

إن أردت أن تكون كاملا فأذهب وبع أملاكك، وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا، لأنه كان ذا أموال كثيرة.

فقال يسوع لتلاميذه : الحق أقول لكم، إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السماوات، وأقول لكم أيضا : إن مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله»(٥١).

وقال أيضا :

«وكل من ترك بيوتا أو اخوة أو أخوات أو أبا أو أما أو امرأة أو أولاداً أو حقولا من أجل اسمي يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية»(٥٢).

ونقل عنه أيضا أنه قال :

« لا تكنزوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا في مناطقكم، ولا مزودا للطريق، ولا ثوبين، ولا أحذية، ولا عصا»(٥٣).

وليس هذا فحسب، بل نقل عنه لوقا في انجيله أنه جاءه جموع كثيرة سائرين معه، فالتفت إليهم وقال :

«إن كان أحد يأتي إلي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته واخوانه حتى

---

(٥٠) انجيل متى الأصحاح السادس الآية ٢٤ إلى آخر الأصحاح.
(٥١) الأصحاح التاسع عشر الآية ١٦ إلى ٢٤.
(٥٢) أيضا الآية ٢٩.
(٥٣) الأصحاح العاشر الآية ٩، ١٠.

نفسه أيضا فلا يقدر أن يكون لي تلميذا»(٥٤).

وقال أيضـــا :

«فكذلك كل واحد منكم لا يترك جميع أمواله لا يقدر أن يكون لي تلميذا»(٥٥).

وبمثل ذلك نقل متّى في انجيله :

«لما رأى يسوع جموعا كثيرة حوله أمر بالذهاب إلى العبر، فتقدم كاتب وقال له : يامعلم، أتبعك أينما تمضى. فقال له يسوع : للثعالب أوجرة، ولطيور السماء أوكار. وأما ابن الإنسان فليس له أين يسند رأسه. وقال له آخر من تلاميذه : ياسيد، ائذن لي أن أمضى أولا وأدفن أبي. فقال له يسوع : اتبعنى، ودع الموتى يدفنون موتاهم»(٥٦).

هذا ومثل هذا كثير في الأناجيل وأعمال الرسل وغيرها من الكتب المسيحية، وعلى هذه التعاليم أسسوا نظام الرهبنة، أي التجرد عن علائق الدنيا ومتطلباتها وحاجاتها.

وزادوا عليها تعذيب النفس، وتحمل المشاق والالآم، تعمقا في التجرد، ومغالاة في تجنب الدنيا، واحتقارا لزخارفها، كما أن هنالك أسبابا أخرى لاختيار الرهبنة، فقد ذكر علماء المسيحية الكثير ون وكتابها وباحثوها.

وجمع هذه الأقاويل والمقولات ول ديورانت في موسوعته الكبر ى (قصة الحضارة)، فيقول : «لما أن أصبحت الكنيسة منظمة تحكم الملايين من بنى الإنسان، ولم تعد كما كانت جماعة من المتعبدين الخاشعين، أخذت تنظر إلى الإنسان وما فيه من ضعف نظرة أكثر عطفاً من نظرتها السابقة، ولا ترى ضيراً من أن يستمتع الناس بملاذ الحياة الدنيا، وأن تشاركهم أحياناً في هذا الاستمتاع، غير أن أقلية من المسيحيين كانت ترى في النزول إلى هذا الدرك خيانة للمسيح، واعتزمت أن تجد مكانها في السماء عن طريق الفقر، والعفة، والصلاة، فاعتزلت العالم اعتزالا تاماً. ولربما كان مبشرو أشوكا Ashoka (حوالى ٢٥٠ ق. م) قد جاءوا إليه بنظرية البوذية

---

(٥٤) انجيل لوقا الأصحاح الرابع عشر الآية ٢٦، ٢٧، ٢٨.

(٥٥) أيضا الآية ٣٣.

(٥٦) انجيل متّى الأصحاح الثامن الآية ١٨ إلى ٢٣

وقوانينها الأخلاقية، ولربما كان النساك الذين وجدوا في العالم قبل المسيحية أمثال سرابيس Serapis في مصر أو جماعات الإسينين في بلاد اليهود قد نقلوا إلى أنطونيوس وباخوم المثل العليا للحياة الدينية الصارمة وأساليب هذه الحياة. وكان الكثيرون من الناس يرون في الرهبنة ملاذاً من الفوضى والحرب اللذين أعقبا غارات المتبربرين؛ فلم يكن في الدير ولا في الصومعة الصحراوية ضرائب، أو خدمة عسكرية، أو منازعات حربية، أو كدح ممل. ولم يكن يطلب إلى الراهب ما يطلب إلى القسيس من مراسم قبل رسامته، وكان يوقن أنه سوف يحظى بالسعادة الأبدية بعد سنين قليلة من حياة السلام.

ويكاد مناخ مصر أن يغرى الناس بحياة الأديرة، ولهذا غصت بالرهبان النساك الفرادى والمتجمعين في الأديرة يعيشون في عزلة كما كان يعيش أنطونيوس، أو جماعات كما كان يعيش باخوم في تابن Tabenne وأنشئت الأديرة للرجال والنساء على طول ضفتي النيل، وكان بعضها يحتوى نحو ثلثمائة من الرهبان والراهبات. وكان أنطونيوس (٢٥١ - ٣٥٦) أشهر النساك الفرادى، وقد أخذ ينتقل من عزلة حتى استقر به المقام على جبل القلزم القريب من شاطىء البحر الأحمر. وعرف مكانه المعجبون به فحذوا حذوه في تعبده ونسكه، وبنوا صوامعهم في أقرب مكان منه سمح لهم به، حتى امتلأت الصحراء قبل موته بأبنائه الروحيين. وقلما كان يغتسل، وطالت حياته حتى بلغ مائة وخمساً من السنين، ورفض دعوة وجهها إليه قسطنطين، ولكنه سافر إلى الاسكندرية في سن التسعين ليؤيد أثناسيوس ضد اتباع أريوس، وكان يليه في شهرته باخوم الذي أنشأ في عام ٣٢٥ تسعة أديرة للرجال وديراً واحداً للنساء. وكان سبعة آلاف من أتباعه الرهبان يجتمعون أحياناً ليحتفلوا بيوم من الأيام المقدسة، وكان أولئك الرهبان المجتمعون يعملون ويصلون، ويركبون القوارب في النيل من حين إلى حين ليذهبوا إلى الاسكندرية حيث يبيعون ما لديهم من البضائع ويشترون حاجياتهم ويشتركون في المعارك الكنسية - السياسية.

ونشأت بين النساك الفرادى منافسة قوية في بطولة النسك يتحدث عنها دوشين Abbe Duchesne بقوله إن مكاريوس الاسكندرى «لم يكن يسمع بعمل من أعمال الزهد إلا حاول أن يأتى بأعظم منه»، فإذا امتنع غيره من الرهبان عن أكل الطعام المطبوخ في الصوم الكبير امتنع هو عن أكله سبع سنين، وإذا عاقب بعضهم أنفسهم بالامتناع عن النوم شوهد مكاريوس وهو «يبذل جهد المستميت لكى يظل مستيقظاً عشرين ليلة متتابعة»، وحدث مرة في صوم كبير أن ظل واقفاً طوال هذا الصوم ليلا

ونهاراً لا يذوق الطعام إلا مرة واحدة في الأسبوع، ولم يكن طعامه هذا أكثر من بعض أوراق الكرنب، ولم ينقطع خلال هذه المدة عن ممارسة صناعته التي اختص بها وهي صناعة السلال. ولبث ستة أشهر ينام في مستنقع، ويعرض جسمه العريان للذباب السام. ومن الرهبان من أوفوا على الغاية في أعمال العزلة، من ذلك سرابيون Serapion الذي كان يعيش في كهف في قاع هاوية لم يجرؤ على النزول إليها إلا عدد قليل من الحجاج. ولما وصل جيروم وبولا إلى صومعته هذه وجدوا فيها رجلا لا يكاد يزيد جسمه على بضعة عظام وليس عليه إلا خرقة تستر حقويه، ويغطي الشعر وجهه وكتفيه، ولا تكاد صومعته تتسع لفراشه المكون من لوح من الخشب وبعض أوراق الشجر. ومع هذا فإن هذا الرجل قد عاش من قبل بين أشراف رومة. ومن النساك من كانوا لا يرقدون قط أثناء نومهم ومنهم من كان يداوم على ذلك أربعين عاماً مثل بساريون Bessarion أو خمسين عاماً مثل باخوم. ومنهم من تخصصوا في الصمت وظلوا عددا كبيراً من السنين لا تنفرج شفاههم عن كلمة واحدة. ومنهم من كانوا يحملون معهم أوزاناً ثقالا أينما ذهبوا. ومنهم من كانوا يشدون أعضاءهم بأطواق أو قيود أو سلاسل، ومنهم من كانوا يفخرون بعدد السنين التي لم ينظروا فيها إلى وجه امرأة. وكان النساك المنفردون جميعهم تقريباً يعيشون على قدر قليل من الطعام. ومنهم من عمروا طويلا. ويحدثنا جيروم عن رهبان لم يطعموا شيئاً غير التين وخبز الشعير، ولما مرض مكاريوس جاءه بعضهم بعنب فلم تطاوعه نفسه على التمتع بهذا الترف، وبعث به إلى ناسك آخر، وأرسله هذا إلى ثالث حتى طاف العنب جميع الصحراء (كما يؤكد لنا روفينس)، وعاد مرة أخرى كاملا إلى مكاريوس. وكان الحجاج، الذين جاءوا من جميع أنحاء العالم المسيحى لشاهدوا رهبان الشرق، يعزون إلى أولئك الرهبان معجزات لا تقل في غرابتها عن معجزات المسيح، فكانوا - كما يقولون - يشفون الأمراض ويطردون الشياطين باللمس أو بالنطق بكلمة، وكانوا يروضون الأفاعى أو الآساد بنظرة أو دعوة، ويعبرون النيل على ظهور التماسيح، وقد أصبحت مخلفات النساك أثمن ما تمتلكه الكنائس المسيحية، ولا تزال مدخرة فيها حتى اليوم.

وكان رئيس الدير يطلب إلى الرهبان أن يطيعوه طاعة عمياء، ويمتحن الرهبان الجدد بأوامر مستحيلة التنفيذ يلقيها عليهم، وتقول إحدى القصص إن واحداً من أولئك الرؤساء أمر راهباً جديداً أن يقفز في نار مضطرمة فصدع الراهب الجديد بالأمر، فانشقت النار حتى خرج منها بسلام. وأمر راهب جديد آخر أن يغرس عصا

رئيسه في الأرض ويسقيها حتى تخرج أزهاراً، فلبث الراهب عدة سنين يذهب إلى نهر النيل على بعد ميلين من الدير يحمل منه الماء ليصبه على العصا، حتى رحمه الله في السنة الثالثة فأزهرت. ويقول جيروم إن الرهبان كانوا يأمرون بالعمل «لئلا تضلهم الأوهام الخطرة». فمنهم من كان يحرث الأرض، ومنهم من كان يعنى بالحدائق أو ينسج الحصر أو السلال، أو يصنع أحذية من الخشب، أو ينسخ المخطوطات. وقد حفظت لنا أقلامهم كثيراً من الكتب القديمة. على أن كثيرين من الرهبان المصريين كانوا أميين يحتقرون العلوم الدنيوية ويرون أنها غرور باطل. ومنهم من كان يرى أن النظافة لا تتفق مع الإيمان، وقد أبت العذراء سلفيا أن تغسل أي جزء من جسدها عدا أصابعها، وكان في أحد الأديرة النسائية ١٣٠ راهبة لم تستحم واحدة منهن قط أو تغسل قدميها، لكن الرهبان أنسوا إلى الماء حوالى آخر القرن الرابع، وسخر الأب اسكندر من هذا الانحطاط فأخذ يحن إلى تلك الأيام التي لم يكن فيها الرهبان «يغسلون وجوههم قط».

وكان الشرق الأدنى ينافس مصر في عدد رهبانها وراهباتها وعجائب فعالهم. فكانت أنطاكية وبيت المقدس خليتين مليئتين بالصوامع والرهبان والراهبات، وكانت صحراء سوريا غاصة بالنساك، منهم من كان يشد نفسه بالسلاسل إلى صخرة ثابتة لا تتحرك كما يفعل فقراء الهنود، ومنهم من كان يحتقر هذا النوع المستقر من المساكن، فيقضى حياته في الطواف فوق الجبال يطعم العشب البرى. ويروى لنا المؤرخون أن سمعان العمودى Simeon Stylites (٣٩٠؟ -٤٥٩) كان لا يذوق الطعام طوال الصوم الكبير الذي يدوم أربعين يوماً. وقد أصر في عام من الأعوام أثناء هذا الصوم كله على أن يوضع في حظيرة وليس معه إلا القليل من الخبز والماء. وأخرج من بين الجدران في يوم عيد الفصح فوجد أنه لم يمس الخبز أو الماء. وبنى سمعان لنفسه في عام ٤٢٢ عموداً عند قلعة سمعان في شمالى سوريا وعاش فوقه. ثم رأى أن هذا اعتدال في الحياة يجلله العار فأخذ يزيد من ارتفاع العمد التي يعيش فوقها حتى جعل مسكنه الدائم فوق عمود يبلغ ارتفاعه ستين قدماً ولم يكن محيطه في أعلاه يزيد على ثلاث أقدام، وكان حول قمته سور يمنع القديس من السقوط على الأرض حين ينام. وعاش سمعان على هذه البقعة الصغيرة ثلاثين عاماً متوالية معرضاً للمطر والشمس والبرد. وكان اتباعه يصعدون إليه بالطعام وينقلون فضلاته على سلم يصل إلى أعلى العمود، وقد شد نفسه على هذا العمود بحبل حز في جسمه، فتعفن حوله، ونتن وكثرت فيه الديدان، فكان يلتقط الدود الذي يتساقط من جروحه ويعيده إليها

ويقول : «كلى مما أعطاك الله !» . وكان يلقى من منبره العالى مواعظ على الجماهير التي تحضر لمشاهدته، وكثيراً ما هدى المتبربرين، وعالج المرضى، واشترك في السياسة الكنسية، وجعل المرابين يستحون فينقصون فوائد ما يقرضون من المال إلى ستة في المائة بدل اثنى عشر. وكانت تقواه سبباً في إيجاد طريقة النسك فوق الأعمدة، وهي الطريقة التي دامت اثنى عشر قرناً، ولا تزال باقية حتى اليوم بصورة دنيوية خالصة»(٥٧) .

ومثل ذلك ذكر هرلبت في كتابه(٥٨) .

ودى سى سيندرول(٥٩) .

وستر زى غواسكى(٦٠) .

وبروكوبيوس(٦١) .

وونكل مين(٦٢) .

فجاء الإسلام فهذب هذه التعاليم ونقحها، وحذف منها الغلووالتطرف، ومنع الناس عن التشديد في الدين، وتعذيب النفس، وعرفهم الحنيفية السمحة البيضاء، النزيهة عن الانغماس في الدنيا والجرى وراء ملذاتها وشهواتها، كما راعى جانب الطبيعة والفطرة، وأباح الطيبات من الرزق والحلال من المال، والتمتع بالجائز من الدنيا، فوضع عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، وأمرهم بالقصد والاعتدال بين التجرد المحض والتزهد الصرف، وبين الاسراف المطلق والتقتير الفاحش، فقال جل وعلا في كتابه الذي أنزله على سيد البشر صلوات الله وسلامه عليه :

﴿يابنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي

---

(٥٧) قصة الحضارة لول ديورانت ترجمة عربية لمحمد بدران ج١٢ ص١١٩ إلى ١٢٣ ط الادارة الثقافية فى جامعة الدول العربية القاهرة ١٩٦٤م.

(٥٨) The Story Of The Christian Church P8 89, 1933

(٥٩) Ashort History Of Our Religion Londun, 1922.

(٦٠) Origin Christian Church Art, 4-6 Oxford,1933.

(٦١) Buildings, Loeb. Lib i, 10.

(٦٢) History Of Ancient Art, I, 350-1, Finlay, 195.

للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾[٦٣] .

وقال : ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾[٦٤] .

وقال : ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا﴾[٦٥] .

وقال : ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾[٦٦] .

وقال : ﴿والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين . والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وتقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون﴾[٦٧] .

وقال : ﴿والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم﴾[٦٨] .

وقال : ﴿وإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾[٦٩] .

وجعل المال قواما للإنسان حيث قال :

﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾[٧٠] .

---

(٦٣) سورة الأعراف الآية ٣١ ، ٣٢

(٦٤) سورة القصص الآية ٧٧ .

(٦٥) سورة البقرة الآية ٢٩ .

(٦٦) سورة النحل الآية ١٤ .

(٦٧) سورة النحل الآية ٨٠ ، ٨١ .

(٦٨) سورة النحل الآية ٥ إلى ٧ .

(٦٩) سورة الجمعة الآية ١٠ .

(٧٠) سورة النساء الآية ٥ .

وقـــال : ﴿وأحل الله البيع وحرم الربا﴾[٧١] .

و ﴿والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾[٧٢] .

وأمر المؤمنين أن يتوجهوا إليه بطلب الدنيا وحسناتها مع الآخرة وحسناتها قائلين :

﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار﴾[٧٣] .

كما أمر من اجتمع عنده مال الدنيا ورزقها أن يخرج منها حقا للسائل والمحروم زكاة وصدقة ، وأن يعمروا مساجد الله ، وينفقوا على ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، فقال تعالى :

﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾[٧٤] .

وقـــال : ﴿كلوا من ثمره إذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده﴾[٧٥] .

وقـــال : ﴿وآت ذا القــربى حقـه والمسكـين وابن السبيـل ذلـك خير للذين يريدون وجه الله﴾[٧٦] .

وقال مع ذلك : ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾[٧٧] .

كما قال : ﴿ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[٧٨] .

فهذا ما قد ورد في كتاب الله ، وما أكثره في هذا المعنى .

وأمـا سنـة رسـول الله ﷺ ، الأصـل الثاني للشريعة الإسلامية فلم يرد فيها أن صاحبهـا ﷺ قال لمن أراد أن يتبعـه : بع واتبعنى ، بل قال لمن كان يريـد أن يتصـدق بأكثر ماله ـ وهو سعد بن أبي وقاص ـ وكان مريضا في حجة الوداع فعاوده الرسول ﷺ

---

(٧١) سورة البقرة الآية ٢٧٥ .

(٧٢) سورة البقرة الآية ٢١٢ .

(٧٣) سورة البقرة الآية ٢٠١ .

(٧٤) سورة الذاريات الآية ١٩ .

(٧٥) سورة الأنعام الآية ١٤١ .

(٧٦) سورة الروم الآية ٣٨ .

(٧٧) سورة الاسراء الآية ٢٧ .

(٧٨) سورة الأنعام الآية ١٤١ .

وكان عازما على الصدقة بثلثى ماله، وفي رواية أخرى : بماله كله، فسأله الرسول ﷺ عما ترك لولده ـ وفي رواية أنه لم يكن له إلا بنت ـ، فقال : الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس(٧٩).

وكذلك نهى كعب بن مالك عن التصدق بجميع ماله كما ورد في الصحيحين أن عبيد الله بن كعب بن مالك قال :

«سمعت كعب بن مالك يحدث بحديث توبته، قال : فقلت : يارسول الله، إن من توبتى أن أنخلع من مالى صدقة إلى الله عز وجل وإلى رسوله ﷺ فقال : أمسك بعض مالك فهو خير لك»(٨٠).

وعن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال :

«نعم المال الصالح للرجل الصالح»(٨١).

وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

«لا حسد إلا في اثنين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها ويعلمها»(٨٢).

وفي الصحيحين أيضا عن أم سليم أنها قالت : «يارسول الله، خادمك أنس ادع الله له ـ فدعا له رسول الله عليه الصلاة والسلام ـ وفيها دعا له أن يكثر ماله، وإليك النص : اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيهما»(٨٣).

وكان ﷺ يردد كثيرا : «ما نفعنى مال كمال أبي بكر»(٨٤).

و «إن من أمنَّ الناس على في ماله وصحبته أبوبكر»(٨٥).

كما أمر أم هانىء باتخاذ الغنم حيث قال :

« اتخذى غنما، فإن فيها بركة » (٨٦).

---

(٧٩) رواه البخارى ومسلم والنسائى وأبو داود وابن ماجه.

(٨٠) متفق عليه.

(٨١) رواه أحمد واسناده صحيح.

(٨٢) متفق عليه.

(٨٣) رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(٨٤) رواه أحمد وابن ماجه.

(٨٥) رواه مسلم فى صحيحه.

(٨٦) رواه البيهقى وابن ماجه واسناده صحيح ورجاله ثقات.

وادخر رسول الله ﷺ لأهله قوت سنة كما ورد في الصحاح، واللفظ لمسلم عن عمر أنه قال :

«كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فكانت للنبي ﷺ خاصة، فكان ينفق على أهله نفقة سنة، وما بقى يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله ـ وفي رواية ـ كان يحبس منه قوت أهله لسنة »(٨٧).

وبيّن رسول الله ﷺ أحكام الزكاة والصدقات والانفاق في سبيل الله، ولم تكن هذه الأحكام إلا لمن يملكه، ولو لم يكن ما كان لبيانها غرض ولا فائدة .

فهذه هي تعاليم الكتاب والسنة، وفي ضوء هذه نرى الصوفية والمتقدمين منهم بالأخص والمتأخرين أيضا بأيتهما يتمسكون ؟

لكى يتضح الأمر عن مرجع تصوفهم ومعول أمرهم .

فذكر المحاسبي المتوفي **٢٤٣هـ** عن صوفى قديم آخر إبراهيم بن أدهم أنه قال :

إن كنت تحب أن تكون لله وليا، وهو لك محبا فدع الدنيا والآخرة، ولا ترغبن فيهما(٨٨) .

ونقل السهروردى والسراج الطوسى والقشيرى عن السرى السقطى المتوفى سنة **٢٥١هـ** أنه قال :

«لا يكن معك شيء تعطى منه أحد»(٨٩) .

وذكر القشيرى عن واحد آخر من الصوفية الأوائل داود الطائى المتوفى **١٦٥هـ** أنه قال :

«صم عن الدنيا، واجعل فطرك الموت، وفر من الناس كفرارك من السبع »(٩٠) .

وسيد الطائفة الجنيد البغدادى يقول :

---

(٨٧) رواه مسلم وأبو داود والنسائى وغيرهم، واللفظ لمسلم .

(٨٨) المحبة للمحاسبى نقلا عن ملحق تاريخى فى آخر كتاب ختم الأولياء بتحقيق عثمان اسماعيل ط بيروت .

(٨٩) عوارف المعارف للسهروردى ص٩٢، اللمع للطوسى ص٢٦٢، الرسالة القشيرية ج١ ص٧١ .

(٩٠) الرسالة القشيرية لأبى القاسم القشيرى ج١ ص٨٤ .

«أحب للمريد المبتدىء أن لا يشغل قلبه بالتكسب، وإلا تغير حاله»(٩١).

ويقول أيضــــا :

«مـا أخـذنـا التصـوف عن القيـل والقـال، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات»(٩٢).

ويبين ابن عجيبة الحسنى حالة أهل التصوف في كتابه (ايقاظ الهمم) :

«وكـان بعضهم إذا أصبح عنده شيء أصبح حزينا، وإذا لم يصبح عنده شيء أصبح فرحا مسرورا»(٩٣).

وقال أيضــــا :

«الفقر أساس التصوف، وبه قوامه»(٩٤).

وروى مثل ذلك عن أبي محمد رويم المتوفى ٣٠٣هـ أنه قال :

«مبنى التصوف على الفقر»(٩٥).

نعم، الفقر الذي تعوذ منه سيد الخلائق المدعم بالوحى، والمعصوم بعصمة الله وقال : «اللهم اني أعوذ بك من الفقر»(٩٦).

فجعلوا ذلك الفقر أساس التصوف وقوامه، وأقاموا بناءه عليه .

ونقل الطوسى عن الجنيد أنه سئل عن الزهد فقال :

«الزهد هو تخلى الأيدى من الأملاك»(٩٧).

وبمثل ذلك قال رويم بن أحمد الصوفى المتوفى ٣٠٣هـ حينما سئل عن الزهد ما هو؟. فقال : «هو ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا»(٩٨).

---

(٩١) قوت القلوب لأبى طالب المكى ج١ ص٢٦٧، أيضا غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ص٢٠٨.

(٩٢) الرسالة القشيرية ج١ ص١١٧ .

(٩٣) ايقاظ الهمم لابن عجيبة الحسنى ص٢١٣ الطبعة الثالثة مصطفى البابى الحلبى ١٤٠٢هـ.

(٩٤) أيضــــا .

(٩٥) اصطلاحات الصوفية لكمال الدين عبد الرزاق القاشانى من صوفية القرن الثامن الهجرى ص٧٦ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر.

(٩٦) رواه النسائى .

(٩٧) اللمع للطوسى ص٧٢، أيضا مناقب الصوفية لقطب الدين المروزى ص٥٥ ط طهران ١٣٦٢ هجرى قمرى.

(٩٨) اللمع للطوسى ص٧٢ .

وذكر الشعرانى عن ابن عربى أنه قال :

«من أراد فهم المعانى الغامضة من كلام الله عز وجل وكلام رسوله وأوليائه فليزهد في الدنيا حتى يصير ينقبض خاطره من دخولها، ويفرح لزوالها»(٩٩).

وينقل أيضا عن إبراهيم المتبولى أنه قال :

«كل فقير لا يحصل له جوع ولا عرى فهو من أبناء الدنيا»(١٠٠).

وذكر الصوفي عماد الدين الأموى في كتابه (حياة القلوب) أن رجلا دخل على بعض الصوفية يتكلم في الزهد وعنده قميص معلق وعليه آخر، فقال :

ياشيخ، أما تستحى أن تتكلم في الزهد ولك قميصان(١٠١).

وزجر السرى السقطى رجلا كان يملك عشرة دراهم وقال :

أنت تقعد مع الفقراء ومعك عشرة دراهم(١٠٢)

وذكر الكلاباذى عن أحمد بن السمين أنه قال :

كنت أمشى في طريق مكة، فإذا أنا برجل يصيح : أغثنى يارجل، الله، الله. قلت مالك، مالك ؟

خذ منى هذه الدراهم، فإنى ما أقدر أن أذكر الله وهي معى، فأخذتها منه، فصاح : لبيك اللهم لبيك، وكانت أربعة عشر درهما(١٠٣).

وقال سهل بن عبد الله التسترى :

اجتمع الخير كله في هذه الأربع خصال، وبها صار الأبدال أبدالا : اخماص البطون، والصمت والخلوة، والسهر(١٠٤).

وينقل الهجويرى عن أبي بكر الشبلى أن واحدا من علماء الظاهر سأله على سبيل التجربة عن الزكاة قائلا : «ما الذي يجب أن يعطى من الزكاة؟.

قال : حين يكون البخل موجودا ويحصل المال فيجب أن يعطى خمسة دراهم

---

(٩٩) اليواقيت والجواهر للشعرانى ج١ ص٢٦ ط مصطفى البابى ١٣٧٨هـ.

(١٠٠) الأخلاق المتبولية للشعرانى ج٢ ص٩٤ تحقيق منيع عبد الحليم محمود ط مطبعة حسان ـ القاهرة.

(١٠١) حياة القلوب فى كيفية الوصول إلى المحبوب لعماد الدين الأموى ج٢ ص١٢٢ على هامش قوت القلوب.

(١٠٢) طبقات الأولياء لابن الملقن المتوفى ٨٠٤هـ نشر مكتبة الخانجى القاهرة ١٣٩٣هـ.

(١٠٣) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ص١٨٥ ط القاهرة ١٤٠٠هـ.

(١٠٤) غيث المواهب العلية للنفزى الرندى المتوفى ٧٩٢هـ ص٩٢، ٩٣ ط القاهرة.

عن كل مائتى درهم، ونصف دينار عن كل عشرين دينارا، هذا في مذهبك.

أما في مذهبي فيجب أن لا تملك شيئا حتى تتخلص من مشغلة الزكاة»[١٠٥].

وقال الهجويرى:

«السكون إلى مألوفات الطبع يقطع صاحبها عن بلوغ درجات الحقائق[١٠٦].

وينقلون عن الرفاعى أحمد بن أبي الحسين صاحب الطريقة الرفاعية أنه كان يقول:

«أكره للفقراء دخول الحمام، وأحب لجميع أصحابي الجوع والعرى والفقر والذل والمسكنة، وأفرح لهم إذا نزل بهم ذلك»[١٠٧].

ونقل أبو المظفر أن أبابكر الوراق قال:

«الزهد مركب من الحروف الثلاثة: الزاء، والهاء، والدال، فالزاى ترك الزينة، والهاء ترك الهوى، والدال ترك الدنيا»[١٠٨].

ونقل أبو طالب المكى عن سفيان أنه قال:

«الصائم إذا اهتم في أول النهار بعشائه كتب عليه خطيئة، وكان سهل (التسترى) يقول: ان ذلك ينقص من صومه»[١٠٩].

ونقل عن حذيفة المرعشى أنه قال:

«منذ أربعين سنة لم أملك إلا قميصا واحدا»[١١٠].

وذكر الكلاباذى في تعرفه عن أبي الحسن محمد بن أحمد الفارسى أنه قال:

«من أركان التصوف ترك الاكتساب وتحريم الادخار»[١١١].

ونقل نجم الدين الكبرى المتوفى ٦١٨هـ: التصوف هو نبذ الدنيا كلها[١١٢].

---

(١٠٥) كشف المحجوب للهجويرى ص٥٥٨.

(١٠٦) نفس المصدر ٣٦١.

(١٠٧) النفحة العلية فى أوراد الشاذلية لعبد القادر زكى ص٢٦٣ ط مكتبة المثنى القاهرة، أيضا الأنوار القدسية للشعرانى ج١ ص١٣٢ ط دار احياء التراث العربى بغداد ١٩٨٤م.

(١٠٨) انظر مناقب الصوفية (فارسى) لأبى المظفر المروزى ص٥٥ باهتمام محمد تقى وايرج افشار ط إيران.

(١٠٩) قوت القلوب لأبى طالب المكى ج٢ ص٩.

(١١٠) أيضا ص٢١.

(١١١) التعرف لمذهب أهل التصوف ص١٠٨ ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة.

(١١٢) فواتح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبرى ص٥٩.

ويقول الهروى عبد الله الأنصارى المتوفى ٤٨١هـ :
«الزهد أصله تعذيب الظاهر بترك الدنيا»[١١٣].

وينقل ابن الملقن عن أستاذ الجنيد أنه قال :
«علامة الفقير الصادق أن يفتقر بعد الغنى، وينحط بعد الشهرة[١١٤].

وينقل السلمى عن سمنون المحب ـ وهو من أصحاب السرى السقطى ـ أنه سئل عن الفقير الصادق فقال :
«الذي يأنس بالعدم كما يأنس الجاهل بالغنى، ويستوحش من الغنى كما يستوحش الجاهل من الفقر[١١٥].

وذكروا عن أبي يزيد البسطامى أنه سئل : بأي شيء نلت هذه المعرفة ؟
فقال : «ببطن جائع وبدن عار»[١١٦].

وأخيرا ذكر الكلاباذى عن الصوفية فقال :

«انهم قوم قد تركوا الدنيا فخرجوا عن الأوطان، وهجروا الأخدان، وساحوا في البلاد، وأجاعوا الأكباد، وأعروا الأجساد»[١١٧].

مع اعترافهم بأن هذه هي المسيحية كما نص على ذلك أبو طالب المكى حيث قال :
روينا عن عيسى عليه السلام أنه قال : «أجيعوا أكبادكم، وأعروا أجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل»[١١٨].

فالنصوص في هذا المعنى أكثر من أن تعد وتحصى، وأن يسعها كتاب فهيهات هيهات أن يسعها باب أو جزء من الباب، وكل هذه النصوص تنطق صراحة عن مصدرها الأصلى ومرجعها الحقيقى، ولا علاقة لها بتعاليم الإسلام وإرشاداته، بل انها مخالفة تماما لتلك، ولكى يسهل على القراء والباحثين المقارنة ذكرنا ما ورد في القرآن والسنة في هذا الخصوص، كما أوردنا قبل ذلك توجيهات مسيحية وتعاليم

---

(١١٣) منازل السائرين مع العلل والمقامات ص٢٩٦ ط ايران ١٣٦١ هجرى قمرى.
(١١٤) طبقات الأولياء لابن الملقن المتوفى ٨٠٤هـ ص١٥٢ ط مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٧٣م.
(١١٥) طبقات السلمى ص ٤٧ .
(١١٦) قوت القلوب ص١٦٨، أيضا الرسالة للقشيرى ص٨٨.
(١١٧) التعرف للكلاباذى ص ٢٩ .
(١١٨) انظر قوت القلوب لأبى طالب المكى ج٢ ص١٦٧.

رهبانيـة وعلى ذلـك قال C.H. BECKER وآسين بلاثيوس، ونيكلسون بأن ترك الدنيا، ومعنى التوكل جاء في التصوف من المسيحية .

ونص فون كريمر على أن الزهد الصوفى نشأ بتأثير من الزهد المسيحى(١١٩) .

وقال جولد زيهر :

«إن مدح الفقر وإيثاره على الغنى كان من العناصر النصرانية»(١٢٠) .

وأقـر بذلـك الكـاتب الايـرانى الكبـير الدكتور قاسم غنى في كتابه «تاريخ التصوف في الإسلام»(١٢١) .

---

(١١٩) انظـر لذلـك كتـاب فون كريمـر تاريـخ الأفكـار الـواردة فى الاسم نقـلا عن مقدمة الكتاب فى التصوف الاسـلامى وتـاريخـه للدكتـور أبى العلاء العفيفى صهـ، و. أيضـا الفكر العربى ومكانته فى التاريخ للمستشرق أوليرى ترجمة تمام حسان ص١٩٤، ١٩٥ ط القاهرة.

(١٢٠) انظـر كتـاب التصـوف الاسـلامى منهجـا وسلوكا للدكتور عبد الرحمن عميره ص٣٣ ط مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة، وكتاب مدخل إلى التصوف الاسلامى للدكتور التفتازانى ص٢٨ .

(١٢١) انظر ص١٠٠ ترجمة عربية .

الزاوية والملبس

وأما التزام الصوفية لبس الصوف لكونه شعارا وعلامة لهم فأيضا مأخوذ من رهبنة المسيحية لأنه كان زيهم الخاص بهم كما أقر بذلك الصوفى المشهور في طبقاته عن أبي العالية أنه كان «يكره للرجل زى الرهبان من الصوف، ويقول : زينة المسلمين التجمل بلباسهم»(١٢٢).

ومثل ذلك نقل ابن عبد ربه في (العقد الفريد) عن حماد بن سلمة أنه قال لفرقد السنجى حينما رآه لابسا الصوف :

«دع عنك هذه النصرانية»(١٢٣).

وأورد ابن الجوزى مثل هذه الرواية بسنده حيث قال :

«أخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد، حدثنا حمد بن أحمد الحداد، حدثنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا أبو حامد بن جبلة، حدثنا حمد بن إسحاق، حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث، حدثنا هارون بن معروف، عن ضمرة، قال :

سمعت رجلا يقول : قدم حماد بن سلمة البصرة، فجاءه فرقد السبخى وعليه ثوب صوف، فقال له حماد : ضع عنك نصرانيتك هذه، فلقد رأيتنا ننتظر إبراهيم - يعنى النخعى - فيخرج علينا وعليه معصفرة»(١٢٤).

وأورد أيضا رواية أخرى مسندة بطريق البخاري رحمة الله عليه قال :

أخبرنا محمد بن ناصر وعمر بن ظفر، قالا : حدثنا محمد بن الحسن الباقلاوى، حدثنا القاضي أبو العلاء الواسطى، حدثنا أبو نصر أحمد بن محمد السازكى، حدثنا أبو الخير أحمد بن حمد البزار، حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى، حدثنا على بن حجر، حدثنا صالح بن عمر الواسطى عن أبي خالد، قال :

جاء عبد الكريم أبو أمية إلى أبي العالية وعليه ثياب صوف، فقال له أبو العالية : «إنما هذه ثياب الرهبان، إن المسلمين إذا تزوروا تجملوا»(١٢٥).

---

(١٢٢) طبقات الشعرانى ج١ ص٣٥.

(١٢٣) العقد الفريد لابن عبد ربّه ج٣ ص٣٧٨ ط القاهرة ١٢٩٣هـ.

(١٢٤) تلبيس ابليس لابن الجوزى المتوفى ٥٩٦هـ ص٢١٩ ط دار الوعى المربى بيروت.

(١٢٥) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص٢١٩، ٢٢٠.

ونقل الشعراني أيضا عن سهل التستري حكاية باطلة غريبة تدل على أن الصوف كان لباس أصحاب المسيح، وهذا هو نصها : أن سهل بن عبد الله التستري كان يقول :

«اجتمعت بشخص من أصحاب المسيح عليه السلام في ديار قوم عاد فسلمت عليه، فرد على السلام، فرأيت عليه جبة من صوف فيها طراوة، فقال لي : إن لها على من أيام المسيح، فتعجبت من ذلك .

فقال : ياسهل ان الأبدان لا تخلق الثياب، إنما يخلقها رائحة الذنوب، ومطاعم السحت، فقلت له : فكم لهذه الجبة عليك ؟

فقال : لها على سبعمائة سنة»[١٢٦] .

وذكر السهروردى أيضا أنه كان الصوف لباس عيسى عليه السلام فقال :

«كان عيسى عليه السلام يلبس الصوف، ويأكل من الشجرة، ويبيت حيث أمسى»[١٢٧] .

ومثل ذلك ذكر الكلاباذى[١٢٨] .

«وعلى ذلك قال نولدكه ونيكلسون وماسينيون إن التصوف الإسلامى أخذ لبسة الصوف من الرهبان النصارى» .

وزاد نيكلسون أشياء في مقالاته العديدة التي نشرت في دوائر المعارف، وجمعت بعضها باسم (الدراسات في التصوف الإسلامى وتاريخه) منها ما قاله تحت عنوان : الزهد في الإسلام :

«كان عرب الجاهلية على حظ قليل من التفكير الدينى، وكان تفكيرهم في هذه الناحية مضطرباً غامضاً. وقد شغلهم انهماكهم في متع الحياة ومتاعبها عن التفكير في حياة أخروية، ولم يخطر ببالهم أن يعدوا أنفسهم لحياة روحية وراء حدود القبر . وقد غرست المسيحية ـ لا الكنيسة المسيحية، بل المسيحية غير التقليدية وغير المنظمة ـ بذور الزهد في بلاد العرب قبل البعثة المحمدية، وظل أثرها يعمل عمله في تطور الزهد في الإمبراطورية الإسلامية في عصورها الأولى . ونحن نعلم أن المسيحية

---

(١٢٦) الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص٧٨ .
(١٢٧) عوارف المعارف للسهروردى ص٥٩ باب فى ذكر تسميتهم بهذا الاسم ط دار الكتاب العربى .
(١٢٨) التعرف لمذهب أهل التصوف لأبى بكر محمد الكلاباذى ص٣١ .

كانت منتشرة قبل الإسلام بين قبائل شمالي الجزيرة العربية، وأن كثيراً من العرب كانوا على شيء من العلم ـ مهما كان قليلا وسطحيا ـ بعقائد الديانة المسيحية وطقوسها. بل إن الإشارات التي وردت في الشعر الجاهلي عن رهبان المسيحيين لتدل على أن عرب البادية كانوا يجلون هؤلاء الرهبان ويعظمونهم، وكانوا يهتدون بأنوارهم المنبعثة من صوامعهم في ظلام الليل وهم يسيرون في الصحراء. فضرب هؤلاء الرهبان وغيرهم من الزهاد الهائمين على وجوههم، مثلا للعرب الوثنيين في الزهد، وحركوا في نفوس بعضهم، وهم المعروفون بالحنفاء، ميلاً إلى النفور من الأوثان ورفض عبادتها. فدان هؤلاء بعقيدة التوحيد، واصطنع بعضهم الزهد ومجاهدة النفس، ولبسوا الصوف وحرموا على أنفسهم بعض أنواع الطعام»(١٢٩).

وقال أيضـــــا:

«كانت الثياب المصنوعة من خشن الصوف علامة على الزهد قبل الإسلام، وفي هذا حاكى العرب رهبان المسيحيين. وقد شاع استعمال هذا النوع من الثياب بين زهاد المسلمين الأوائل، ومنه اشتق اسم الصوفية الذي استعمل قبل نهاية القرن الثاني الهجري. على أن اسما آخر أطلق على هؤلاء الزهاد وإن كان أقل شيوعا من اسم الصوفي، وهو (مسوحى) نسبة إلى مسوح جمع مسح وهو اللباس من الشعر.

وقد جرت العادة بأن يلبس الزهاد، رجالا كانوا أو نساء، جبة أو مدرعة من الصوف وأن تلبس المرأة أحيانا غطاء على الرأس من القماش نفسه، وهذا الغطاء هو المعروف بالخمار.

وقد استنكر سفيان الثورى المتوفى سنة ١٦١هـ لبس الصوف، وعدّه بدعة، واستنكره كذلك غيره من المسلمين لأنهم اعتبروه رمزا للمسيحية وعلامة على الرياء»(١٣٠).

وقال أيضا تحت عنوان التصوف باحثا عن كلمة الصوفى نقلا عن نولدكه:

«إن المسلمين في القرنين الأولين للإسلام كانوا يلبسون الصوف، وبخاصة من سلك منهم طريق الزهد، وأنهم كانوا يقولون: لبس فلان الصوف: بمعنى تزهد ورغب عن الدنيا.

---

(١٢٩) دراسات فى التصوف الاسلامى.وتاريخه لنيكلسون ترجمة أبى العلاء العفيفى ص٤٢، ٤٣.
(١٣٠) نفس المصدر ص٤٨.

فلما انتقل الـزهـد إلى التصـوف قالـوا : لبس فلان الصوف بمعنى : أصبح صوفيـا . وكـذلـك الحال في اللغة الفارسية : فإن قولهم (بشمينا بوش) معناه : يلبس لباس الصوف .

وقـد أخـذ زهـاد المسلمـين الأوائـل عادة لبس الصـوف عن رهبـان المسيحيين ونساكهم ، يدل على ذلك أن حماد بن أبي سليمان قدم البصرة ، فجاءه فرقد السنجى وعليه ثياب صوف ، فقال له حماد : ضع عنك نصرانيتك هذه .

وقـد أطلقـوا على هذه الثيـاب (زى الـرهبان) ، واستشهدوا بحديث معناه أن النبي ﷺ قال : ان عيسى كان يلبس ثياب الصوف»[١٣١] .

وقال جولدزيهر :

«وقـد حاكى هؤلاء الـزهـاد المسلمـون وعبـادهم نسـاك النصارى ورهبانهم ، فارتدوا الصوف الخشن»[١٣٢] .

هذا وبمثل ذلك قال الدكتور قاسم غنى :

«إن ارتداء الملابس الصوفية أو التصوف الذي نشأ عنه كلمة الصوفية كما تقدم كان من عادات الـرهبـان المسيحيـين ، ثم صار فيـهـا بعـد شعارا للزهد عند الصوفية . والدلق الذي ورد ذكره في أشعار الصوفية وكتبهم استعمل في معنى لباس الصوفية في كل مكـان . أي الخـرقـة التي كانـوا يرتدونها فوق جميع الملابس والظاهر أنها كانت من صوف . والدلق اما أن يكون من قطعة واحدة أو مرقعا ، ويسمى بالدلق المرقع في هذه الحـال ، وإذا كان من ألـوان مختلفـة يسمى حينئـذ «الدلق الملمع» والدلق عند صوفية الإسـلام سواء كان لونـه أزرق أو كان أسـود يسمى دائـماً : «بـالدلق الأزرق» وخرقة الرهبان التي كانت على ما يظهر بيضاء في بادىء الأمر صارت بعد ذلك سوداء وزمرة «السـوكـواران» أي المفجوعون ، الذين يتكلم عنهم الفردوسى في الشاهنامة ليسوا إلا أسـاقفـة المنـاظـرة المسيحيين ممن لجأوا إلى ايران في القرن الثالث الميلادى وهم الذين كانـوا يلبسـون ملابس الصـوف الخشنـة على أجسـامهم كى يكـون ذلـك نوعـا من التقشف واالاخشـشـان ، فكـان إصطـلاح «صـوفى» و«صـوفيـة» الـذي هوبالفارسية

---

(١٣١) نفس المصدر ص٦٧ ، ٦٨ .

(١٣٢) المجلة الآسيويـة الملكيـة ١٨٩١ ص١٥٣ نقـلا عن نشأة الفلسفـة الصوفية للدكتور عرفان عبد الحميد ص١١١ ط المكتب الاسلامى بيروت ١٩٧٤م .

«بشمينه بوش» أي لابس الصوف» وكان يطلق على رجال المسيحيين ونسائهم»(١٣٣) .

ولابأس من إيراد تعليقة ذكرت تحت هذه العبارة :

«ويقول ياقوت في كتاب (معجم البلدان) في حواشى «دير العذارى» : وقال أبو الفرج : ودير العذارى بسر من رأى إلى الآن موجود يسكنه الرواهب. وحدث الجاحظ في كتاب «المعلمين» قال : حدثنى ابن الفرج الثعلبى : أن فتيانا من بنى ملاص من ثعلبة أرادوا القطع على مال يمر بهم قرب دير العذارى فجاءهم من أخبرهم أن السلطان قد علم بهم وأن الخيل قد اقبلت تريدهم، فاستخفوا في دير العذارى، فلما صاروا فيه سمعوا وقع حوافر الخيل التي تطلبهم راجعة، فأمنوا ثم قال بعضهم لبعض : ما الذي يمنعكم أن تأخذوا بالقس فتشدوا وثاقه ثم يخلو كل واحد منكم بواحدة من هذه الأبكار، فإذا طلع الفجر تفرقنا في البلاد، وكنا جماعة بعدد الأبكار اللواتى كن أبكارا في حسابنا. ففعلنا ما اجتمعنا عليه، فوجدناهن جميعا ثيبات قد فرغ منهن القس قبلنا. . . فقال بعضنا :

ودير العذارى فضوح لهن — وعند القسوس حديث عجيب
خلونا بعشرين صوفيـة — نيك الرواهب أمر غريب
إذا هن يرهزن رهز الظراف — وباب المدينة فج رحيب

ويبدو من تعبير «الصوفية» في هذا الشعر أن المقصود منه الراهبات المسيحيات»(١٣٤) .

ولذلك خالف علماء الأمة وفقهاؤها لبسه .

فلقد نقل الإمام ابن تيمية عن أبي الشيخ الأصبهانى عن اسناده أن ابن سيرين بلغه أن قوما يفضلون لباس الصوف، فقال :

«إن قوما يتخيرون الصوف يقولون إنهم متشبهون بعيسى بن مريم، وهدى نبينا أحب إلينا، وكان النبي ﷺ يلبس القطن وغيره»(١٣٥) .

(١٣٣) تاريخ التصوف فى الاسلام لقاسم غنى ترجمة عربية لصادق نشأت ص١٠١١٠ ، ١٠٢٠١ ط مكتبة النهضة القاهرة ١٩٧٠م .
(١٣٤) أيضا تعليقة رقم ٢ ص١٠٢ .
(١٣٥) الصوفية والفقراء لشيخ الاسلام ابن تيمية ص٧ ط دار الفتح القاهرة ١٩٨٤م .

كما نقل ابن الجوزى عن أحمد بن أبي الجوارى أنه قال : قال لي سليمان بن أبي سليمان : «أي شيء أرادوا بلباس الصوف ؟

قلت : التواضـــــع .

قال : ما يتكبر أحدهم إلا إذا لبس الصوف .

ونقل عن سفيان الثورى أنه قال لرجل عليه صوف : لباسك هذا بدعة .

كما روى عن الحسن بن الربيع أنه قال :

سمعت عبـد الله بن المبـارك يقول لرجل رأى عليه صوفا مشهورا : أكره هذا، أكره هذا .

وروى عن بشر بن الحارث أنه سئل عن لبس الصوف .

فشق عليـه، وتبـين الكراهة في وجهه، ثم قال : لبس الخز والمعصفر أحب إلي من لبس الصوف في الأمصار .

وروى عن أبي سليمان الدارانى أنه قال لرجل لبس الصوف : انك قد أظهرت آلة الزاهدين، فماذا أورثك هذا الصوف ؟

كما روى عن النضر بن شميل أنه قال لبعض الصوفية :

تبيع جبتك الصوف ؟

فقال : إذا باع الصياد شبكته بأي شيء يصطاد»[١٣٦] .

هذا ونقل غيره عن غيره مثل هذا .

هذا من ناحية الملابس .

وأما اتخاذهم الخانقاوات والتكايا والزوايا، وانعزالهم عن الدنيا، فلم تكن إلا مأخوذة من الرهبنة المسيحية أيضا كما ذكرنا فيما مر نقلا عن الجامى في نفحاته أن أول خانقاه بنيت هي التي بناها أمير مسيحى من الرملة في الشام[١٣٧] .

وهي تشبـه تمامـا أديـرة الرهبان النصارى ذات الأسوار العالية البعيدة عن عالم النـاس والعمـران، نتيجـة للهـروب من عالم الترف المادى إلى عالم الترف الروحى، ومن هذه الأديـرة تطـورت كثـير من الأفكـار الايجـابيـة، خرج بها رهبان لفتح حقول جديدة على مبادىء من الطهارة والفقر والخضوع .

---

(١٣٦) انظر تلبيس ابليس لابن الجوزى ص٢٢١، ٢٢٢ .

(١٣٧) انظر نفحات الأنس للجامى (فارسى) .

«أمـا الطهـارة فكـان معنـاها ليس تطهير الجسد بالصوم، بل كانت تعنى فوق ذلك قطع علاقات محبة الأب أو الأم أو الابن أو الأخت حتى يكون الراهب أقدر على خدمة البشر، وتصبح المحبة هنا ديانة إنسانية شاملة .

أمـا الفقـر فكـان يعنى التحرر المطلق من قيود الأشياء، ورفض المصالح المادية من أجل خدمة الإنسان، وكان الخضوع يعنى الاستسلام الكامل لإرادة الله للقيام بالواجبات»[١٣٨] .

ولقـد صرح الـدكتـور قاسم غنى أن المسيحيـة : «استطاعت أن تعلم صوفية المسلمـين آدابـا وعـادات كثـيرة عن طريق زمـرة المتقشفـين وفرق الرهبان المتجولين، ولاسيـما الجـماعـات السـوريـة المتجـولة في كل مكان ممن كانوا على الأغلب من فرق النصـارى النسطـوريـين، في حين أن تأثير كنائس المسيحية في المسلمين كان في نطاق محدود جدا .

وأن الحياة في الصوامع والخانقاوات كانت أيضا مقتبسة من المسيحية إلى حد كبير»[١٣٩] .

وبمثل ذلك قال نيكلسون، المستشرق الانجليزى الكبير الذي عرف باختصاصه في الدراسات عن التصوف، حيث يذكر تحت تطور الزهد في العصور الوسطى :

«لم يخرج الصـوفيـة كثيرا على الحديث القائل : لا رهبانية في الإسلام إلا بعد مضى عدة قرون ـ إلى أن يقول ـ: وإننا لا نعلم إلا القليل عن نظام الزهد الرهبانى ونشأتـه في العصـور الإسـلاميـة الأولى، ويقـال : أن أول خانقـاه أسست لمتصـوفـة المسلمـين كانت برملة في فلسطـين قبـل نهاية المائة الثامنة الميلادية على ما يظهر، وأن مؤسسهـا كان راهبـا مسيحيـا . . . وقـد ذكر الصوفية بعض الأحاديث المدخولة على النبي، التي تشـير لابـاحـة العـزوبة لجميع المسلمين بعد المائتين من الهجرة . . . فقد ظهـر نظـام الـرهبنة في الإسلام حوالى هذا التاريخ تقريبا . نعم لم يعم الزهد في العالم الإسـلامى، ولم تظهـر فيـه الـربـط والـزوايا المنظمة إلا في عصر متأخر، لأن القارىء للكتب التي ألفت في التصـوف حتى منتصف القـرن الخـامس الهجـرى، مثـل قوت القلوب لأبي طالب المكى، وحلية الأولياء لأبي نعيم، والرسالة للقشيرى، قلما يجد

---

(١٣٨) الفلسفة الصوفية فى الاسلام للدكتور عبد القادر محمود ص٣٩ ط دار الفكر العربى القاهرة .

(١٣٩) تاريخ التصوف فى الإسلام للدكتور قاسم غنى ترجمة عربية ص١٠٣ .

فيها إشارة إلى هذا الربط والزوايا، ومع ذلك نجد أن كبار الصوفية من رجال القرنين الثالث والرابع قد اجتمع حولهم المريدون ليأخذوا عنهم الطريق ويتأدبوا بآدابه. ومن الطبيعى أن هؤلاء المريدين أقاموا في بيوت دينية من نوع ما، كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا. ويذكر المقريزى أن الخانقاوات وجدت في الإسلام في القرن الخامس الهجرى المقابل للقرن الحادى عشر الميلادى. وإذا سلمنا بقول المقريزى فعلى معنى أن خانقاوات الصوفية التى كان يجتمع فيها المريدون تحت إشراف مشايخهم، لم تكثر وتنتشر في بلاد المملكة الإسلامية إلا في هذا التاريخ، وهذا يتفق مع ما ورد في كتاب آثار البلاد للقزوينى حيث يقول إن أبا سعيد بن أبي الخير (المتوفى سنة **١٠٤٩**م لا حوالى **٨١٥** كما يقول دى ساسى خطأ - ولا كما يقول دوزى وفون كريمر نقلا عن دى ساسى) يذكر عنه أنه مؤسس نظام الرهبنة في التصوف الإسلامى وأول واضع لقواعده وقوانينه. وبعد ذلك بمائتى سنة - أي بين **٤٥٠**، **٦٥٠** - زيد في نظام الرهبنة وانتشر هذا النظام على أيدى رجال الطرق، كالعدوية والقادرية والرفاعية وغير ذلك من الطرق التي توالى ظهورها سريعاً»(١٤٠).

هذا بالنظر إلى أنه لا يوجد في تعاليم القرآن والسنة رسم ولا أثر لهذه التكايا والزوايا والخانقاوات والربط، بل أمر المسلمين ببناء المسجد للعبادة، كما أمروا بتعمير بيوتهم بقراءة القرآن فيها والعبادة.

وأما بناء الأمكنة الخاصة للتعبد والذكر والأوراد فليس إلا تقليلا لشأن المساجد، وصرف الناس عنها، واعطاء التكايا والزوايا والربط مكانتها وشأنها، وفي هذا مخالفة لأوامر الله وتعاليم رسوله صلوات الله وسلامه عليه. وعلى ذلك قال ابن الجوزى:

«أما بناء الأربطة فإن قوما من المتعبدين الماضين اتخذوها للانفراد بالتعبد، وهؤلاء إذا صح قصدهم فهم على الخطأ من ستة أوجه:

أحدها: إنهم ابتدعوا هذا البناء وإنما بنيان أهل الإسلام المساجد.

والثاني: انهم جعلوا للمساجد نظيرا يقلل جمعها.

والثالث: انهم أفاتوا أنفسهم نقل الخطى إلى المساجد.

والرابع: انهم تشبهوا بالنصارى بانفرادهم في الأديرة.

---

(١٤٠) فى التصوف الاسلامى وتاريخه لنيكلسون ترجمة عربية للدكتور أبى العلاء العفيفى ص٥٦، ٥٧، ٥٨.

والخامس : انهم تعزبوا وهم شباب وأكثرهم محتاج إلى النكاح .

والسادس : انهم جعلوا لأنفسهم علما ينطق بأنهم زهاد فيوجب ذلك زيارتهم والتبرك بهم . وإن كان قصدهم غير صحيح فإنهم قد بنوا دكاكين للكوبة ومناخا للبطالة وأعلاما لإظهار الزهد .

وقد رأينا جمهور المتأخرين منهم مستريحين في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص يطلبون الدنيا من كل ظالم ولا يتورعون من عطاء ماكس . وأكثر أربطتهم قد بناها الظلمة ، ووقفوا عليها الأموال الخبيثة . وقد لبس عليهم ابليس ان ما يصل إليكم رزقكم فأسقطوا عن أنفسكم كلفة الورع . فهمتهم دوران المطبخ والطعام والماء المبرد . فأين جوع بشر ، وأين ورع سرى ، وأين جد الجنيد . وهؤلاء أكثر زمانهم ينقضى في التفكه بالحديث أو زيارة أبناء الدنيا ، فإذا أفلح أحدهم أدخل رأسه في زرمانقته فغلبت عليه السوداء ، فيقول : حدثنى قلبى عن ربى . ولقد بلغنى أن رجلا قرأ القرآن في رباط فمنعوه ، وان قوما قرأوا الحديث في رباط ، فقالوا لهم : ليس هذا موضعه»[١٤١] .

هذا وقد أورد ابن الجوزي حديثا بسنده إلى رسول الله ﷺ عن أبي عمامة أنه قال :

خرجنا مع رسول الله ﷺ في سرية من سراياه ، قال : فمر رجل بغار فيه شيء من ماء ، قال : فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار فيقوته ما كان فيه ، وفيه شيء من ماء ، ويصيب ما حوله من البقل ، ويتخلى عن الدنيا . ثم قال : لو أنى أتيت نبي الله ﷺ فذكرت ذلك له ، فإن أذن لي فعلت ، وإلا لم أفعل ، فأتاه فقال : يانبي الله ، اني مررت بغار فيه ما يقوتنى من الماء والبقل فحدثتنى نفسي بأن أقيم فيه وأتخلى من الدنيا .

قال : فقال نبي الله ﷺ :

«اني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكننى بعثت بالحنيفية السمحة ، والذي نفس محمد بيده ، لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها»[١٤٢] .

وأما استماعهم إلى نصائح الرهبان ودروسهم ومواعظهم ، وانصاتهم لهم

---

(١٤١) تلبيس ابليس لابن الجوزى الباب العاشر ص١٩٥ ، ١٩٦ .
(١٤٢) أيضا ص٣٢٤ .

وتلمـذهم عليهم، وتمجيـدهم إيـاهم، والثنـاء عليهم فمنقـول عنهم بكثـرة، فإن إبراهيم بن أدهم ـ وهو من أوائل الصوفية ـ صرح بذلك حيث قال :

«تعلمت المعرفة من راهب يقال له : سمعان، دخلت عليه في صومعته فقلت له : ياسمعان، منذ كم أنت في صومعتك هذه؟ .

قال : منذ سبعين سنة .

قلت : ما طعامك ؟

قال : ياحنيفى وما دعاك إلى هذا ؟

قلت : أحببت أن أعلم .

قال : في ليلة حمصة. قلت : فمن الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة ؟

قال : ترى الذين بحذائك؟ قلت : نعم، قال : إنهم يأتوننى في كل سنة يوما واحـدا فيـزينـون صومعتى، ويطوفون حولها، يعظموننى بذلك، وكلما تثاقلت نفسي عن العبادة ذكرتها تلك الساعة، فأنا أحتمل جهد سنة لعزّ ساعة، فاحتمل ياحنيفى جهد ساعة لعزّ الأبد، فوقر في قلبى المعرفة، فقال : أزيدك ؟

قلت : نعم، قال : انزل عن الصومعة، فنزلت فأدلى إليّ ركوة فيها عشرون حمصة .

فقـال لي : أدخـل الـدير فقد رأوا ما أدليت إليك، فلما دخلت الدير اجتمعت النصارى، فقالوا : ياحنيفى، ما الذي أدلى إليك الشيخ ؟

قلت : من قوتـه، قالـوا : ومـا تصنـع به ؟ نحن أحق به. ساوم، قلت : عشـرين دينـارا، فأعطـونى عشرين دينارا، فرجعت إلى الشيخ، فقال : أخطأت لو ساومتهم عشرين ألفا لأعطوك، هذا عز من لا يعبده، فانظر كيف تكون بعز من تعبده ياحنيفى، أقبل على ربك»(١٤٣).

ونقل الهجويرى عن صوفي قديم آخر، وهو : إبراهيم الخواص أنه قال :

«سمعت ذات مرة أن بـلاد الـروم راهبـا مقيـما بالـدير منذ سبعين سنة بحكم الـرهبـانيـة، فقلت : واعجبـا! شرط الـرهبـانية أربعون سنة. بأي شرف أخلد هذا الـرجـل إلى الـديـر سبعـين سنة؟ وقصدته، فلما اقتربت من ديره فتح كوة وقال لي :

(١٤٣) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص١٧٠، ١٧١ .

يا إبراهيم ! عرفت لأى أمر جئت . أنا لم أقم هنا رهبانية في هذه السبعين عاما ، بل لأن لي كلبا هائجا ، فأقمت هنا أحرسه واكفى الخلق شره ، والا فلست أنا هذا (الذي تظن) . فلما سمعت منه هذا الكلام قلت : ياآلهى تعاليت! أنت قادر على أن تهدى العبد طريق الصواب في عين الضلالة ، وتكرمه بالصراط المستقيم . فقال لي : يا إبراهيم ! الام تطلب الناس؟ إمض وأطلب نفسك ، وإذا وجدتها فاحرسها ، لأن الهوى يرتدى ثوب الالهية كل يوم على ثلثمائة وستين لونا ، ويدعو العبد إلى الضلالة»(١٤٤) .

وذكر الشعرانى أن بعض أسلاف الصوفية حاولوا تقرير مذهب رهبان النصارى ، وكونهم على الحق والصواب ، ومن قبل رسول الله الناطق بالوحى صلوات الله وسلامه عليه ـ كذبا وزورا ـ : «أن قوله ﷺ : دعوا الرهبان وما انقطعوا إليه ، تقرير لهم على ما هم عليه من حيث عموم رسالته ﷺ كما قرر أهل الكتاب على سكنى دار الإسلام بالجزية .

قالوا : وهي مسألة خفية جليلة في عموم رسالته ﷺ . لا يتنبه لها إلا الغواصون على الدقائق»(١٤٥) .

هذا ولقد ذكر في طبقاته عن صوفى آخر ـ وهو إبراهيم بن عصيفير ـ الذي يقول عنه : «كان كثير الكشف ، وله وقائع مشهورة ، وظهرت له الكرامات وهو صغير ، وكان يأتى البلد وهو راكب الذئب أو الضبع ، وكان يمشى على الماء لا يحتاج إلى مركب ، وكان بوله كاللبن الحليب أبيض ، . . . وما ضبطت عليه كشفا أخرم فيه . يكتب عن هذا الصوفى الذي بلغ أقصى درجات الولاية :

«كان أكثر نومه في الكنيسة ، ويقول : النصارى لا يسرقون النعال في الكنيسة بخلاف المسلمين ، وكان رضى الله عنه يقول : أنا ما عندى من صوم حقيقة إلا من لا يأكل لحم الضأن أيام الصوم كالنصارى ، وأما المسلمون الذين يأكلون لحم الضأن والدجاج أيام الصوم فصومهم عندى باطل»(١٤٦) .

وكذلك وجد مدح الرهبان النصارى في كتب صوفية كثيرة مثل ما ذكر الأصبهانى في حليته عن عبد الله بن الفرج أنه قال له رجل :

---

(١٤٤) كشف المحجوب للهجويرى ترجمة عربية ص٤٣٩ ط دار النهضة العربية بيروت .

(١٤٥) الجواهر والدرر للشعرانى ص٢٣٧ بهامش الابريز للدباغ ط مصر .

(١٤٦) الطبقات الكبرى للشعرانى ج٢ ص١٤٠ .

«ياأبا محمد، هؤلاء الرهبان يتكلمون بالحكمة وهم أهل كفر وضلالة، فمم ذلك ؟

قال : ميراث الجوع، متعت بك»(١٤٧).

وأيضا ذكر عن إبراهيم بن الجنيد أنه قال :

وجدت هذه الأبيات على ظهر كتاب لمحمد بن الحسين البرجلاني :

«مواعظ رهبان وذكر فعالهم وأخبار صدق عن نفوس كوافر
مواعظ تشفينا فنحن نحوزها وإن كانت الأنباء عن كل كافر
مواعظ بر تورث النفس عبرة وتتركها ولهاء حول المقابر
مواعظ أنّى تسأم النفس ذكرها تهيج أحزانا من القلب ثائر»(١٤٨).

ومثل ذلك ما نقله أبو طالب المكى عن عيسى عليه السلام أنه قال :

«المحب لله يحب النصب. وروى عنه أنه مر على طائفة من العباد قد احترقوا من العبادة كأنهم الشنان البالية، فقال : ما أنتم ؟

فقالوا : نحن عباد. قال : لأي شيء تعبدتم ؟

قالوا : خوفنا الله من النار فخفنا منها، فقال : حق على الله أن يؤمنكم ماخفتم.

ثم جاوزهم فمر بآخرين أشد عبادة منهم، فقال : لأي شيء تعبدتم ؟

قالوا : شوقنا الله إلى الجنان وما أعد فيها لأوليائه، فنحن نرجو ذلك، فقال : حق على الله أن يعطيكم ما رجوتم.

ثم جاوزهم، فمر بآخرين يتعبدون، فقال : ما أنتم ؟

قالوا : نحن المحبون لله لم نعبده خوفا من نار، ولا شوقا إلى جنة ولكن حبا له وتعظيما لجلاله، فقال : أنتم أولياء الله حقا، معكم أمرت أن أقيم، فأقام بين أظهرهم وفي لفظ آخر قال للأولين : مخلوقا خفتم، ومخلوقا أحببتم. وقال لهؤلاء : أنتم المقربون»(١٤٩).

---

(١٤٧) حلية الأولياء للأصبهانى ج١٠ ص١٥١ الطبعة الثالثة دار الكتاب العربى بيروت لبنان ١٩٨٠م.
(١٤٨) أيضـــا .
(١٤٩) قوت القلوب لأبى طالب المكى ج٢ ص٥٦ .

«ويستخلص من هذا أن الصوفية المسلمين لم يجدوا حرجا في الاستماع إلى مواعظ الرهبان وأخبار رياضاتهم الروحية والاستفادة منها، رغم أنها صادرة عن نصارى، ونحن نجد فعلا كثيرا من أخبار رياضات الرهبان وأقوالهم في ثنايا كتب الصوفية المسلمين وطبقات الصوفية»(١٥٠).

وقبل هذا كتب الدكتور البدوى في هذا الكتاب الذي اقتبسنا منه الأسطر الأخيرة، والذي دافع فيه عن التصوف دفاعا شديدا، وحاول فيه محاولة فاشلة لأثبات أصول التصوف ومصادره في الإسلام، ومن تعاليمه، كتب فيه :

«الاختلاط بين المسلمين والنصارى العرب في الحيرة والكوفة ودمشق ونجران، وخصوصا في مضارب القبائل العربية التي انتشرت فيها المسيحية قبل الإسلام وبعده : بنو تغلب، قضاعة، تنوخ، وتتحدث بعض الأحبار عن أن بعض الصوفية المسلمين الأوائل كانوا يستشيرون بعض الرهبان النصارى في أمور الدين : كما يروى عبد الواحد بن زيد، والعتابى، وأبي سليمان الدارانى»(١٥١).

وهذه هي الأشياء التي جعلت نيكلسون الانجليزى، وفون كريمر الألمانى، وجولدزيهر النمساوى يضطرون إلى أن يقولوا، واللفظ للأول :

«ويجب ألا ننسى في هذا المقام أثر المسيحية في الزهد الإسلامى في العصر المبكر فإن الأمر لم يقتصر على اللباس وعهود الصمت وكثير من آداب طريق الزهد التي يمكن ردها إلى أصل مسيحى، بل إننا نجد في أقدم كتب تراجم الصوفية ـ إلى جانب الحكايات العديدة التي تمثل الراهب المسيحى يلقى المواعظ من صومعته أو عموده على زهاد المسلمين السائحين في الصحراء ـ أدلة قاطعة على أن مذاهب هؤلاء الزهاد كانت إلى حد كبير مستندة إلى تعاليم وتقاليد يهودية ومسيحية. ومن ذلك آيات كثيرة من التوراة والإنجيل مذكورة بين الأقوال المنسوبة إلى أولياء المسلمين، وأن القصص الإنجيلية التي كان يقصها رهبان المسيحيين على طريقتهم الخاصة كان يتلهف على قراءتها المسلمون : مثال ذلك المجموعة المعروفة باسم الاسرائيليات التي يقال إن وهب بن منبه (المتوفى سنة ٦٢٨م) قد جمعها، وكتاب

(١٥٠) تاريخ التصوف الاسلامى للدكتور عبد الرحمن بدوى ص٣٥ ط وكالة المطبوعات بالكويت ١٩٧٨م.
(١٥١) أيضا ص ٣٣، ٣٤.

قصص الأنبياء الذي كتبه الثعالبى (المتوفي سنة ١٠٣٦م)، وهذا الأخير لا يزال موجوداً»(١٥٢).

وأمـا قضيـة المصطلحـات التي روجوها بين الناس، واستعملوها فيما بينهم فلا يشـك أحـد في كونهـا أجنبيـة في الإسلام ولغة الإسلام العربية، ومقتبسة مأخوذة من المسيحيـة بحـروفها وألفاظها، معانيها ومدلولاتها مثل : «ناموس، رحموت، رهبوت، لاهـوت، جبروت، ربـانى، روحـانى، نفسـانى، جثمانى، شعشعانى، وحدانية، فردانية، رهبانية، عبودية، ربوبية، ألوهية، كيفوفية»(١٥٣).

والجـديـر بالذكر، ومن الأشياء اللافتة للأنظار أن كل من حاول تبرئة التصوف عن كونـه مأخـوذا ومقتبسـا من الـرهبنـة المسيحيـة لم يسعه الانكار عن كون المسيحية احـدى مصـادر التصـوف، وأنـه استفـاد منها، ولو أنهم أصروا مع ذلك كونه إسلاميا بحتـا، معـارضـين مع ما قالـوه، ومنـاقضـين مع ما أثبتـوه، مقرين عليهم بالتعارض الفكـرى، والتضـارب القـولى، وانكـار ما هو ثابت لا يمكن رده ولا انكـاره، فيقول واحـد من هؤلاء ـ ولاحـظ الـزحـزحـة الفكـريـة، والتنـاقض الشـديد، والتعارض الغريب، والعجز الظاهر عن الدفاع، وضعف القوة وقلة الحيلة، مع الانكار والإقرار في وقت واحد، لاحظ واقرأ واستمع ـ فيقول أحد الكتاب ـ وهو دكتور في العلوم ـ ردا على من يجعل النصرانية احدى مصادر التصوف :

«لم يقتصر الكلام في المصادر الصوفية على المصدر الفارسى أو الهندى بل ذهب فريق آخـر من البـاحثـين إلى أن ثمـة عنـاصر أخرى روحية يمكـن أن ترد أصولها إلى أصول نصرانية.

ويؤيد هذا الفريق مذهبه بما كان يوجد من صلات بين العرب والنصارى سواء في الجـاهليـة أو في الإسـلام، وبـما يلاحـظ من أوجـه الشبـه الكثيرة بين حياة الزهاد والصـوفيـة وتعـاليمهم وفنونهم في الرياضة والخلوة والتعبد. وبين ما يقابل هذا كله في حياة المسيح وأقواله وأحوال الرهبان والقسيسين وطرقهم في العبادة واللباس.

ومن البـاحثين والمؤيدين : لهذا الاتجاه «فون كريمر، وجولدزيهر، ونيكولسون وفلسنك وآسين وبلاسيوس، وأندريه وأوليرى.

---

(١٥٢) فى التصوف الاسـلامى وتـاريخـه ص٤٧، أيضا تاريخ الأفكار الواردة فى الاسلام لفون كريمر ص٥٢، أيضا المجلة الملكية الآسيوية مقال جولدزيهر.

(١٥٣) تاريخ التصوف الاسلامى للبدوى ص٣٣٣.

ويرى : «فون كريمر» : أن التصوف الإسلامى والأقوال المأثورة عن الصوفية على أنهما ثمرات نمت وترعرعت ونضجت في بلاد العرب تحت تأثير جاهلى ، حيث كان كثير من العرب الجاهليين نصارى، وكان كثير من هؤلاء النصارى قسيسين ورهباناً .

وجولد زيهر : يستند إلى ما تقرره النصرانية من إيثار الفقر والفقراء على الغنى والأغنياء ، فيزعم أن ما ورد في الحديث النبوى من هذا المعنى مستمد من النصرانية ، ويعنى هذا أن يترتب عليه أن الفقر والتخشن في الحياة إنما يرجع إلى أصل نصرانى ، ويضيف عليه نيكولسون أيضاً . ما يصطنعه الصوفية من صمت وذكر فيزعم أنه مأخوذ من النصرانية .

هذا من حيث : إن التصوف زهد وطريقة في العبادة والرياضة واللباس .

أما فيما يتعلق بها من حيث هي مذاهب تصور منازع أصحابها الفلسفية واتجاهاتهم الروحية والفلسفية معاً : فإن هناك طائفة من القصص والأقوال التي تروى عن المسيح مما ورد في كتب الصوفية أنفسهم ، ويمكن أن يؤخذ على أنه مصدر لبعض المذاهب الصوفية الإسلامية . . .

على أننا لا ننكر ولا أحد يستطيع أن ينكر ما يوجد من أوجه الشبه بين حياة الزهاد ولباسهم وبعض تعاليم الصوفية وطرقهم في العبادة ومذاهبهم في الحب الإلهى ، وبين حياة الرهبان ولباسهم ، وبعض ما أثر عن المسيح وحوارييه من أقوال في المحبة وغيرها من شئون الحياة الروحية .

فإننا لا نستطيع مع ذلك نجزم بأن مصدر التصوف والحياة الروحية في الإسلام إنما هو نصرانى صرف .

فصحيح أيضا أنه كان ممن مال إلى الرهبنة من العرب من يبنى الأديرة ـ فقد روى عن حنظلة الطائى أنه فارق قومه وتنسك ، وبنى ديراً بالقرب من شاطىء الفرات حيث ترهب فيه حتى مات ، وكذلك قيل عن قس بن ساعدة كان يتقفر القفار، ولا تكنه دار، يتحسس بعض الطعام ، ويأنس بالوحوش والهوام .

وصحيح أنه يروى عن أمية بن أبي الصلت أنه ليس بالمنسوخ تعبداً وأن لكل من قس وأمية نثرا وشعراً طبعاً بطابع دينى ، وأصطبغا بصبغة الزهد في الدنيا والنظر في الكون ، وصحيح بعد هذا كله ، وفوق هذا كله ، أن القسس والرهبان كانوا ينبثون هنا

وهنـاك في أسـواق العـرب يعظـون ويبشـرون ويتحدثون عن البعث والحساب والجنة والنـار كما يدل على ذلـك كثـير من آيـات القـرآن الكريـم التي تتحدث عنهم وتحكى أقوالهم وتفند مذاهبهم .

وتصور إلى أي حد كانت تعاليمهم بين العرب، فهذا كله صحيح لا شبهة فيه ولا غبار عليه ولكن الذي ليس بصحيح هو أن نجعل منه أساساً يبنى عليه القول بأنه وحده مصدر التصوف الإسلامى .

ولكن هناك تساءلا وهو لماذا يقصر الباحثون أنظارهم على حياة المسيح وأقواله والرهبان وأحوالهم حين يحاولون ربط الصوفية بالمصادر النصرانية ولم لا يجوز أن يكون هذا التصوف أيضاً كان مسايرة لطبيعة الحياة العربية الجاهلية .

وقـد كانت وقتئـذ حيـاة خشنـة لا حظ لها من ترف، ولا أثر فيها لنعومة بحيث يمكن أن يقـال : إن حيـاة الـزهـاد والصوفية في الإسلام إنما هي استمرار لهذه الحياة الخشنـة البعيـدة عن الـزخـرف والنعيم، والتى كان يحيـاهـا العرب الجاهليون بصفة عامـة، والتي كانت تصطبـغ عنـد بعضهم بصبغـة الخلوة والانقطاع عن الناس، إلى التفكر والتقرب من الآلهة يلتمسون عندهم الخير والحكمة ؟

بل ومـا الـذي يمنـع أيضـاً من أن يكـون مرجـع الحياة الروحية الإسلامية هو مذهب الحيـاة التي كان يحيـاهـا قوم في الجـاهليـة يعـرفون ببنى صوفة، الذين انفردوا لخدمة الله عند بيته الحرام ؟

ومع هذا لا أحد ينكر ما للمسيحية والرهبان من تأثير بالغ في الحياة الجاهلية السابقة .

بالإضـافـة إلى ما نلتقى به في ثنـايـا بعض النظريات الصوفية في الحب الإلهى ببعض الألفـاظ والعبـارات والعقـائـد التي هي من أصـل نصـرانى مثـل القـول : «باللاهوت والناسوت» أو «حلول اللاهوت في الناسوت» أي حلول الإله «اللاهوت» في المسيـح الإنسـان «النـاسوت» أو حلول الأول في الثاني إذا بلغ هذا درجة معينة من الصفاء الروحى .

ومثـل القـول «بـالكلمـة» التي هي في النصرانية واسطة بين الله والخلق، والتي اصطنعها بعض الصوفية في التعبير عن نظرياتهم في الحقيقة المحمدية، باعتبارها أول مخلوق خلقـه الله، أو : أول تعـين للذات الإلهيـة فاضت منه بقية التعيينات الأخرى

من روحيـة ومـاديـة ، ولم تظهـر هذه العنـاصـر النصـرانيـة وأشبـاهها إلا بعد أن كان المسلمـون قد اختلطـوا بالنصـارى وأخـذوا يحاورونهم ويجـادلونهم في العقائد ، فكان طبيعياً أن ينتشر بعض هذه العقائد النصرانية ، وأن يعمل عمله في البيئة الإسلامية ، ويتردد صداه في أقاويل الصوفية ومذاهبهم في الحب الإلهى وفيما يتصل به ، من اتحاد بين الرب والعبد ، ومن حلول الرب في العبد .

وهـذا أمـر طبعى ملائم لسنة الحياة وتطورها : إذ لا يمكن وقد تطور التصوف وقد استحال إلى علم له مناهجه ومذاهبه ومنازعه الروحية المصطبغة بصبغة فلسفية ، أن يظل الصوفية بمعزل عن هذا الجو الذي امتلأ بالأفكار والعقائد النصرانية وما يدور حولها من حوار وجدل بين المسلمين والنصارى دون أن يكون له أثر فيما صدر عنهم من أقوال ، وما ذهبوا إليه من مذاهب ، لاسيما إذا كانت هذه الأقوال والمذاهب تدور حول مسائل تتصل من قريب أو بعيد بالعقائد»(١٥٤) .

ويقول الدكتور التفتازانى بعد الرد على المستشرقين القائلين بأن كثيرا من أمور التصوف مأخوذ من النصرانية ، يقول بعد الرد عليهم :

«ومع هذا لا ننكر تأثر بعض الصوفية المتفلسفين بالمسيحية ، على نحو ما نجد عنـد الحـلاج الـذي استخـدم في تصـوفـه اصطلاحات مسيحية كالكلمة واللاهوت والنـاسـوت ومـا إليهـا ، ولكن هذا لم يظهـر إلا في وقت متأخـر (أواخـر القـرن الثالث الهجـرى) بعـد أن كان زهـد الـزهاد قد استقر في القرنين : الأول والثانى الهجريين ، وأصبح دعامة لكل تصوف لاحق .

ولـذلـك فإن من الانصـاف العلمى القـول بأن مذاهب الصـوفيـة في العلم ، وريـاضـاتهم العمليـة ، ترد إلى مصدر إسلامى ، إلا أنه بمرور الوقت وبحكم التقاء الأمم واحتكـاك الحضـارات ، تسـرب إليهـا شيء من المؤثـرات المسيحيـة أوغير المسيحية ، فظن بعض المستشرقين خطأ أن الصوفية أخذوا أول ما أخذوا عن المسيحية»(١٥٥)

فهـذه هي خلاصـة الكـلام في ذلـك ، نكتفى بها ظانـين بأنهـا كافيـة لجلاء الموضوع ، وتنوير الطريق لمن أراد أن يتقدم إليه ويسلك فيه .

---

(١٥٤) أضواء على التصوف للدكتور طلعت غنام ص٨٤ إلى ٨٨ ط عالم الكتب القاهرة .

(١٥٥) مدخـل إلى التصـوف الاسلامى للدكتور أبى الوفا الغنيمى التفتازانى ص٢٩ ، ٣٠ ط دار الثقافة للنشر والتوزيع القاهرة .

المذاهب الهندية والفارسية

وأمـا كون التصـوف وتعـاليمـه وفلسفته، أوراده وأذكاره، وطرق الوصول إلى المعـرفـة، والمؤ ديـة إلى الفنـاء، مأخـوذة مستقـاة من المـذاهب الهنـديـة والمـانـوية، والزرادشتية أيضا فلا ينكرها منكر، ولا يردّها أحد، ولايشك فيها شاك، بل ان كبار الكتّـاب عن التصـوف والباحثين فيه من المستشرقين والمسلمين، وحتى الصوفية أقروا بذلـك حيث لم يسعهم إلا الاعـتراف بهذه الحقيقـة الظـاهـرة الجليـة التى لايمكن تجاهلها ولا اغفالها ألبتة.

فإن الأستاذ أبا العلاء العفيفى كتب في ثنايا بحثه عن المشتغلين من المستشرقين في الدراسة عن التصوف:

«أمـا ريتشـورد هارتمـان، وماركس هورتين فنزعتهما واحدة: وهى أن التصوف يستمد أصوله من الفكر الهندي، وإن كان هورتن قد بذل من المجهود في إثبات هذه النظرية ما لم يبذله أى كاتب آخر. فقد كتب فى سنتى ١٩٢٧، ١٩٢٨ مقالتين حاول أن يثبت فى إحـداهما، بعـد تحليـل تصـوف الحلاج والبسطامى والجنيد، أن التصوف الإسـلامى في القـرن الثـالث الهجـرى كان مشبعا بالأفكار الهندية، وأن الأثر الهندي أظهـر ما يكـون في حالـة الحـلاج. وفى المقـالـة الثانية يؤيد النظرية نفسها عن طريق بحث المصطلحـات الصـوفيـة الفـارسيـة بحثـا فيلولـوجيا، وينتهى إلى أن التصوف الإسلامى هو بعينه مذهب الفيدانتا الهندية.

ويستنـد هارتمـان في إثبـات نفس الـدعـوى إلى النظر في الصوفية أنفسهـم وفى مراكز الثقافة القديمة التى كانت منتشرة في بلادهم، لا إلى المصطلحات الصوفية كما فعـل هورتن. وقـد نشـر في مسألـة أصل التصوف مقالاً هاماً سنة ١٩١٦ فى مجلة Der Islam وخـلاصـة بحثه أن التصوف الإسلامى مدين للفلسفة الهندية التي وصلت إليه عن طريق مترا ومـانى من جهـة، وللقبّـالـة اليهـوديـة والـرهبنـة المسيحية والغنوصية والأفـلاطـونيـة الحـديثـة من جهـة أخرى. وهويرى أن الذي جمع هذه العناصر كلها ومزجها مزجا تاما في التصوف هو أبو القاسم الجنيد البغدادى (المتوفى سنة ٢٩٧هـ)، فإليه يجب أن تتجه عناية الباحثين. أما حججه في تأييد الأصل الهندى فهى:

طيّهم إلى سبعة أيام وعشرة أيام وخمسة عشر يوما إلى الأربعين.

وقد قيل لسهل بن عبد الله: هذا الذى يأكل في كل أربعين وأكثر أكلة أين يذهب لهب الجوع عنه؟.

قال: يطفئه النور»[١٧٣].

وكذلك التعرّى لم يأخذه الصوفية إلا من البوذية والجينية.

وجلّ تماثيل البوذا وصور رجال الديانات الهندوكية كلها ناطقة منبئة عمن أخذها القوم هذه القباحة والوقاحة. حتى إن طائفة من طوائف الجينية تسمّى ويجامبره أى أصحاب الزىّ السماوى، الذين لم يتخذوا كساء لهم غير السماء، وهم الذين يقولون: «إن العرفاء الكاملين لايقتاتون بشىء، وإن من يملك شيئا من متع الدنيا ولو كان ثوبا واحدا يستر به عورته لاينجو»[١٧٤].

وإننا لنجد كثيراً من الصوفية، ويسمون المجاذيب، يتجردون عن الثياب ألبتة، ويمشون في الأسواق، ويجلسون في الخانقاوات كما خلقهم الله.

ولقد ذكر أصحاب الطبقات الصوفية، الكثيرين من هؤلاء. ونورد ههنا واحدا ممن ذكرهم الشعرانى «قطب زمانه وامام عصره» في طبقاته، فيقول:

«الشيخ إبراهيم العريان: كان رضى الله عنه إذا دخل بلدا سلّم على أهلها كبارا وصغارا بأسمائهم، حتى كأنه تربّى بينهم (يعنى كان يعلم الغيب)، وكان رضى الله عنه يطلع المنبر ويخطب عرياناً»[١٧٥].

وأما هجر الأهل والأولاد، والخروج إلى الغارات والجبال، والجلوس في البرارى والحفرات والسراديب، والمكوث مع الحيات والثعابين فليست منقولة إلا من الديانات الهندية التى عرفت واشتهرت بمثل هذه الأمور.

فلقد أوردنا فى أول المقال قصة إبراهيم بن أدهم الصوفى القديم، وتركه للأهل والأولاد، مقارنة بقصة بوذا وحياته، وأنها مطابقة تماما لها.

وهناك أقوال ونصوص كثيرة فى هذا المعنى، ذكرنا بعضا منها فيما مرّ. وسنذكر

---

(١٧٣) عوارف المعارف للسهروردى ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(١٧٤) انظر فلسفة الهند القديمة لمحمد عبد السلام الرامبورى ص٦٤، كذلك أديان الهند الكبرى للشلبى ص١٢٦ ط القاهرة ١٩٦٤م.

(١٧٥) انظر طبقات الشعرانى ج ٢ ص ١٤٣.

البعض الآخر في محله إن شاء الله في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

وإننا ننقل ههنا بعض الآراء والوقائع التى لها علاقة مباشرة ووطيدة بالمذاهب والفلسفات الهندية.

فمنها ترك المال والخروج منه، وحتى القوت الذى يحتاج إليه لابقاء الحياة، ثم التسوّل أمام الناس، والاستجداء منهم. كما ذكر أبو طالب المكى عن أحد الصوفية أنه دفع إليه كيس فيه مئون دراهم في أول النهار ففرّقه كله، ثم سأل قوتا في يده بعد عشاء الآخرة(١٧٦).

وأورد الطوسى مثله عن أبى حفص الحداد أنه كان أكثر من عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار وينفقه على الصوفية، ثم يخرج بين العشائين فيتصدّق من الأبواب(١٧٧).

والمعروف أن التسوّل والاستجداء والوقوف على أبواب الناس، وحمل المخلاة والكشكول من لوازم الديانة البوذية، ومن نصائح بوذا الثمانية المشهورة التى نصح بها دراويشه ورهبانه، كما أنه ألزمهم سير البرارى، وقطع الصحارى، أو المكوث فى الخانقاوات، والانشغال فيها بالذكر.

ولقد أخذت الصوفية هذا النظام بكامله من البوذية، وألزموا أنفسهم به، كأنهم هم الذين نصحهم بوذا بذلك. فيقول الطوسى:
«الأكل بالسؤال أجمل من الأكل بالتقوى»(١٧٨).
وقال: «كان بعض الصوفية ببغداد لايكاد يأكل شيئا إلا بِذُلّ السؤال(١٧٩).

ويروى الهجورى عن ذى النون المصرى أنه قال:
«كان لى رفيق موافق دعاه عز وجل إليه، وانتقل من محنة الدنيا إلى نعمة العقبى، ورأيته في النوم فقلت له: مافعل الله بك؟.

قال: غفر لى.
قلت: بأىّ خصلة؟.

قال: أوقفنى وقال: ياعبدى، لقد تحملت كثيرا من الذل والمشقة من السفلة

(١٧٦) قوت القلوب لأبى طالب المكى الفصل الحادى والأربعون فى فضل الفقر والفقراء ج٢ ص٢٠٦.
(١٧٧) اللمع للطوسى ص٢٦١، أيضا الرسالة القشيرية ج٢ ص٥٤٧.
(١٧٨) اللمع للطوسى ص ٢٥٥.
(١٧٩) أيضا ص ٢٥٣.

وسئل أبو يزيد البسطامى:
«بأى شيء وجدت هذه المعرفة؟.
فقال: ببطن جائع وبدن عار»(١٦٣).

ونقل الطوسى عن يحيى بن معاذ أنه قال:
«لو علمت أن الجوع يباع في السوق ما كان ينبغى لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أن يشتروا غيره»(١٦٤).

ونقل النفزى الرندى المتوفى **٧٩٢هـ** عن حاتم الأصم أنه قال:
«من دخل في مذهبنا هذا فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موت أحمر، وموت أسود، وموت أبيض، وموت أخضر.

فالموت الأبيض الجوع، والموت الأسود احتمال أذى الناس، والموت الأحمر مخالفة النفس، والموت الأخضر طرح الرقاع بعضها على بعض»(١٦٥).

والسلمى أيضا نقل عنه أنه قال:
«ما من صباح إلا والشيطان يقول لى: ما تأكل؟ وما تلبس؟ وأين تسكن؟.
فأقول: آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر»(١٦٦).

والشعرانى نقل في طبقاته عن أبى محمد عبد الله الخراز أنه قال: «الجوع طعام الزاهدين»(١٦٧).

ونقل الغزالى عن سهل بن عبد الله التسترى أنه قال:
«ما صار الإبدال إبدالا إلا باخصاص البطون، والسهر، والصمت، والخلوة»(١٦٨).

ثمّ، وروى الغزالى فى إحيائه روايات كثيرة مكذوبة على النبى ﷺ فى فضل الجوع(١٦٩).

---

(١٦٣) أيضا ص ٨٨، قوت القلوب لأبى طالب المكى ج ٢ ص ١٦٨.
(١٦٤) كتاب اللمع للطوسى ص ٢٦٩.
(١٦٥) غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ج٢ ص١٦٦ بتحقيق عبد الحليم محمود.
(١٦٦) طبقات السلمى ص ٢٣ ط مطابع الشعب ١٣٨٠هـ.
(١٦٧) طبقات الشعرانى ج ١ ص ٧.
(١٦٨) احياء علوم الدين للغزالى ج٣ ص٧٩ ط دار القلم بيروت الطبعة الأولى.
(١٦٩) انظر ص ٧٧ وما بعـد.

ومما يجدر ذكره أن المحقق كتب فى تعليقاته عن جميع تلك الروايات فى فضل الجوع أنه لم يجد لها أصلا(١٧٠).

هذا، ونقل عماد الدين الأموى عن عيسى عليه السلام أنه قال:

«طوبى للجياع العطاش فإنهم هم الذين يرون الله»(١٧١).

وقال السهروردى:

«قد اتفق المشائخ على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء: قلة الطعام، وقلة المنام، وقلة الكلام، والاعتزال على الناس»(١٧٢).

ثم بيّن طريق التدرّب على الجوع، وهى تشبه تماما طريقة يوجا الهندية،حذو القذة بالقذة، وطبق النعل، فيقول:

«وقد اتفق مشايخ الصوفية على أن بناء أمرهم على أربعة أشياء: قلة الطعام وقلة المنام وقلة الكلام والاعتزال عن الناس، وقد جعل للجوع وقتان، أحدهما: آخر الأربع والعشرين ساعة فيكون من الرطل لكل ساعتين أوقية بأكلة واحدة يجعلها بعد العشاء الآخرة أو يقسمها أكلتين كما ذكرنا، والوقت الآخر: على رأس اثنتين وسبعين ساعة؛ فيكون الطي ليلتين والافطار في الليلة الثالثة، ويكون لكل يوم ثلث رطل، وبين هذين الوقتين وقت وهو أن يفطر من كل ليلتين ليلة، ويكون لكل يوم وليلة نصف رطل، وهذا ينبغي أن يفعله إذا لم ينتج عليه سآمة وضجراً وقلة انشراح في الذكر والمعاملة، فإذا وجد شيئاً من ذلك فليفطر كل ليلة ويأكل الرطل في الوقتين أو الوقت الواحد، فالنفس إذا أخذت بالافطار من كل ليلتين ليلة، ثم ردت إلى الافطار كل ليلة تقنع، وإن سومحت بالافطار كل ليلة لا تقنع بالرطل وتطلب الإدام والشهوات، وقس على هذا، فهي إن أطعمت طعمت، وإن أقنعت قنعت، وقد كان بعضهم ينقص كل ليلة حتى يرد النفس إلى أقل قوتها، ومن الصالحين من كان يعير القوت بنوى التمر وينقص كل ليلة نواة، ومنهم من كان يعير بعود رطب وينقص كل ليلة بقدر نشاف العود، ومنهم من كان ينقص كل ليلة ربع سبع الرغيف حتى يفنى الرغيف في شهر، ومنهم من كان يؤخر الأكل ولا يعمل في تقليل القوت ولكن يعمل في تأخيره بالتدريج حتى تندرج ليلة في ليلة، وقد فعل ذلك طائفة حتى انتهى

(١٧٠) أيضـــا .

(١٧١) حياة القلوب لعماد الدين الأموى بهامش قوت القلوب ج ٢ ص٩ .

(١٧٢) عوارف المعارف للسهروردى ص٢٢٣ ط دار الكتاب العربى الطبعة الثانية ١٩٨٣م.

أولا : أن معظم أوائل الصوفية من أصل غير عربى كإبراهيم بن أدهم وشقيق البلخى وأبى يزيد البسطامى ويحيى بن معاذ الرازى .

ثانيا : أن التصوف ظهر أولا وانتشر في خراسان .

ثالثا : أن تركستان كانت قبل الإسلام مركز تلاقى الديانات والثقافات الشرقية والغربية ، فلما دخل أهلها في الإسلام صبغوه بصبغتهم الصوفية القديمة . وهذا كلام أشبه بما ذكره كل من ثولك وفون كريمر في هذا الموضوع .

رابعا : أن المسلمين أنفسهم يعترفون بوجود الأثر الهندي .

خامسا : أن الزهد الإسلامى الأول هندي في نزعته وأساليبه . فالرضا فكرة هندية الأصل ، واستعمال الزهاد للمخلاة في سياحتهم ، واستعمالهم للسبح ، عادتان هنديتان»[١٥٦] .

ثم علق الأستاذ عفيفي على كلام هورتمان بقوله :
«ولكن المسألة أعقد من ذلك بكثير ، فقد تبين لى من البحث في تصوف مشايخ خراسان وتصوف مدرسة نيسابور خاصة ، أنه وان كانت له صبغة محلية إلى حدّ ما ، متأثر بتيارات غير محلية وصلت إليه من مراكز التصوف الأخرى في العراق والشام ، وأنه كانت لبعض الحركات غير الدينية ـ كحركة الفتوة التي كانت في بدء أمرها اجتماعية بحتة ـ شأن كبير في تشكيل بعض تعاليم هؤلاء الصوفية»[١٥٧] .

ثم إن الأستاذ عفيفي في مقاله هذا لم يذكر واحدا من المستشرقين الذين كتبوا عن التصوف إلا وقد ذكروا فيه رأيا يشبه رأى هاتمان ، وهورتن .

وقد سبق هؤلاء المستشرقين والقائلين بهذا الرأى من الباحثين ، سبقهم جميعا البيرونى ، حيث قارن بين العقائد الهندية والعقائد الصوفية في كتابه المشهور (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة) .

وأوجه الشبه التي ذكرها البيرونى بين العقائد الهندية والعقائد الصوفية هى تتلخص في أمور ثلاثة :

أولا : الأرواح .

---

(١٥٦) مقدمة كتاب فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص ح ، ط .
(١٥٧) أيضـــــا .

ثانيا: في طريق الخلاص.

ثالثا: الغاء التمايز ومحو الاشارة[١٥٨].

هذا والقارىء لأقوال الصوفية، والعارف بأحوالهم ورياضاتهم ومجاهداتهم يلاحظ بنفسه تشابها كبيرا بين هؤلاء وأولئك، وخاصة في تعذيب النفس، وتحمل المشاق، والتجوع، وحبس النفس، واماتة الشهوات، والهروب عن الأهل والأولاد، والجلوس في الخلوات، ومراقبة صورة الشيخ، وطرق الذكر، وكثير من العادات والتقاليد والرسوم، حيث لا يرى فيها إلا مشابهة تامة بتلك المذاهب وأصحابها، كما لا يرى فيها أى أثر للاسلام وتعاليمه، ولاثبوت من حاملى رايته، ومتمسكى سبيله، ومتبعى طريقه.

ولوضع النقاط على الحروف لانرضى مقولات الناس، بل نورد شهادات داخلية، واعترافات ذاتية، وعبارات ناطقة عن منابعها ومصادرها.

فنبدأ بسيد الطائفة الذى قال فيه أبو العباس عطاء:

«أمامنا في هذا العلم ومرجعنا المقتدى به»[١٥٩].

والذي قيل فيه:

«إن الرجال من هذه الطائفة ثلثة لا رابع لهم: الجنيد ببغداد، وأبوعبد الله بالشام وأبو عثمان بنيسابور»[١٦٠].

ونقل نيكلسون عن الجامي أنه قال:

«ان الجنيد أول من صاغ المعانى الصوفية، وشرحها كتابة، وأنه كان يعلّم التصوف فى بيوت خاصة وفى السراديب»[١٦١].

ويكفى لبيان مقامه ومكانته عند القوم تلقيبهم اياه بسيد الطائفة، فنبدأ به فيقول:

«ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المالوفات والمستحسنات»[١٦٢].

---

(١٥٨) انظر لذلك كتاب تاريخ التصوف الإسلامى للدكتور قاسم غنى ترجمة عربية لصادق نشأت، وكتاب مدخل إلى التصوف الاسلامى للدكتور التفتازانى.

(١٥٩) نفحات الأنس للجامى الطبعة الفارسية ص٨٠.

(١٦٠) أيضــــا.

(١٦١) في التصوف الإسلامى وتاريخة ص ٢٠.

(١٦٢) الرسالة القشيرية ج ١ ص١١٧ بتحقيق عبد الحليم محمود.

والبخلاء ومددت إليهم يدك، وصبرت في ذلك، وقد غفرت لك بذلك»[١٨٠].

ونقل السهروردى عن إبراهيم بن أدهم أنه كان معتكفا بجامع البصرة مدة، وكان يفطر في كل ثلاث ليال ليلا، وليلة افطاره يطلب من الأبواب [١٨١].

كما نقل عن أبى جعفر الحداد وكان أستاذ الجنيد أنه كان يخرج بين العشائين، ويسأل من باب أو بابين[١٨٢].

وذكر عن النورى أنه كان يمدّ يده ويسأل الناس[١٨٣].

وذكر النفزى الرندى عن أبى سعيد الخراز أنه كان يمدّ يده ويقول: «ثمّ شىء لله»[١٨٤].

وذكر الشعرانى أشياء طريفة عن فقراء الزاوية التى بناها يوسف العجمى، الذى قال عنه: هو أول من أحيا طريقة الشيخ الجنيد بمصر بعد اندراسها، يقول الشعرانى عن هذا الصوفى وتلاميذته:

«كانت طريقته التجريد، وأن يخرج كل يوم من الزاوية فقيرا يسأل الناس إلى آخر النهار فمهما أتى به هو يكون قوت الفقراء ذلك النهار كائنا ما كان.

وكان الفقراء يأتى أحدهم بالحمار محملا خبزا وبصلا وخيارا وفجلا ولحما، ويوم سيدي يوسف يأتى ببعض كسيرات يابسة يأكلها فقير واحد، فسألوه عن ذلك، فقال:

أنتم بشريتكم باقية، وبينكم وبين الناس ارتباط فيعطونكم، وأنا بشريتى فنيت حتى لاتكاد ترى فليس بينى وبين التجّار والسوقة وأبناء الدنيا كبير مجانسة.

وكان صورة سؤاله أن يقف على الحانوت أو الباب ويقول: الله، ويمدّها حتى يغيب، ويكاد يسقط إلى الأرض، فيقول من لايعرفه: هذا العجمى راح في الزقزية.

---

(١٨٠) كشف المحجوب للهجويرى ص ٦٠٥ .

(١٨١) انظر عوارف المعارف للسهروردى ص١٥٠، أيضا غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ج٢ ص٦٦، أيضا ايقاظ الهمم لابن عجيبة ص٣٣٣.

(١٨٢) انظر عوارف المعارف ص١٥٠، أيضا غيث المواهب العلية فى شرح الحكم العطائية ج٢ ص٦٥.

(١٨٣) عوارف المعارف ص ١٥٧ .

(١٨٤) غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ج٢ ص٦٥ .

وكان رضى الله عنه يغلق باب الزاوية طول النهار لأحد إلا للصلاة.

وكان إذا دقّ داق الباب يقول للنقيب:

اذهب فانظر من شقوق الباب، فان كان معه شىء من الفتوح للفقراء فافتح له، وإلا فهى زيارات فشارات»(١٨٥).

فلاحظ مافيه من الطرائف والأضحوكات.

وابن عجيبة الحسنى ذكر عن التجيبى ابن ليون أنه بين أصل السؤال ومسألة الزنبيل، فيقول:

«كيفيته: أن يتوضأ الرجل ويصلى ركعتين، ويأخذ الزنبيل (يعنى وعاء) بيده اليمنى، ويخرج إلى السوق ومعه رجل آخر يذكر الله ويذكر الناس، والناس يعطونه فى ذلك الزنبيل حتى يجمع ما تيسر من الطعام، ويعبّه بين الفقراء فيأكلون طعاما حلالا بلا تكلّف ولا كلفة، هذا ما تيسر لنا فى حكم السؤال»(١٨٦).

وأما من عاش فى الصحارى، وتجوّل فى البرارى فكثيرون جدا، وقد نقل السهروردى عن بشر بن الحارث أنه قال:

«يامعشر القراء، سيحوا تطيبوا»(١٨٧).

وقال:

أومن جملة المقاصد فى السفر: رؤية الآثار والعبر، وتسريح النظر فى مسارح الفكر، ومطالعة أجزاء الأرض والجبال ومواطىء أقدام الرجال، واستماع التسبيح من ذوات الجمادات، والفهم من لسان حال القطع المتجاورات، فقد تتجدد اليقظة بتجدد مستودع العبر والآيات، وتتوفر بمطالعة المشاهد والمواقف الشواهد والدلالات. قال الله تعالى: **﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾**.

وقد كان السرى يقول للصوفية: إذا خرج الشتاء ودخل آذار وأورقت الأشجار طاب الانتشار.

ومن جملة المقاصد للسفر: ايثار الخمول واطراح حظ القبول»(١٨٨).

---

(١٨٥) طبقات الشعرانى ج٢ ص٦٦ ، ٦٧ .

(١٨٦) ايقاظ الهمم لابن عجيبة الحسنى ص٣٣٣ ط مصطفى البابى الحلبى مصر الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

(١٨٧) عوارف المعارف للسهروردى ص ١٢٥ .

(١٨٨) المصدر السابق ص ١٢٢ .

أبو الحسن الشاذلى يوما: يأبا العباس، ماصحبتك إلا لتكون أنت أنا وأنا أنت»(٢٠٣).

وأما تعذيب النفس، وحبس الدم، والرياضات الشاقة فمنها ما ذكرناها أثناء الوقائع التى سردناها آنفا.

ومن ذلك ما ذكره الشعرانى في طبقاته عن البدوى أنه:

«كان طول نهاره وليله قائما شاخصا ببصره إلى السماء وقد انقلب سواد عينيه بجمرة تتوقد كالجمر. وكان يمكث الأربعين يوما وأكثر لا يأكل ولا يشرب ولا ينام»(٢٠٤).

ويقول المنوفى، وأبو الهدى الرفاعى أن مكوثه هذا امتدّ إلى اثنتى عشرة سنة حيث يقولان: «ومكث على السطوح حوالى اثنتى عشرة سنة»(٢٠٥).

ويذكر الطوسى والقشيرى والعطار والهجويرى والغزالى والشعرانى وغيرهم «أن الشبلى كان يكتحل بالملح ليعتاد السهر ولا يأخذه النوم، وأحيانا كان يحمى الميل فيكتحل به»(٢٠٦).

وينقل القشيرى فى رسالته (ترتيب السلوك):

«كنت أريد أن لا أنام لئلا أغيب عن الذكر لحظة، فكنت أقعد على حجر ناتىء من جدران بيتنا من الحجر قدر ما أضع عليه قدمى، وتحتى واد، وفوقى شاهق حتى لا يأخذنى النوم(٢٠٧).

وكتب الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الجامع الأزهر سابقا، وصوفى مشهور،

---

(٢٠٣) الأنوار القدسية لعبد الوهاب الشعرانى ج٢ ص٢١ ط دار احياء التراث العربى بغداد العراق.

(٢٠٤) الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص١٨٣، النفحة العلية فى أوراد الشاذلية لعبد القادر زكى ص٢٥٣ ط القاهرة.

(٢٠٥) جمهرة الأولياء للمنوفى الحسينى ج٢ ص٢٣٧، أيضا قلادة الجواهر فى ذكر الرفاعى وأتباعه الأكابر لمحمد أبى الهدى الرفاعى ص٣٩٩ الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ بيروت لبنان.

(٢٠٦) انظر اللمع للطوسى ص٢٧٥، الرسالة القشيرية ص١٦٠، تذكرة الأولياء للعطار ص٣٠٥، مكاشفة القلوب للغزالى ص٣٠، الأنوار القسية للشعرانى ص٥٤، الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص١٠٣.

(٢٠٧) رسالة ترتيب السلوك من الرسائل القشيرية لعبد الكريم القشيرية المتوفى ٤٦٥هـ ص٧٨ ط باكستان.

عن أحمد الدردير أنه ردد الذكر ستة أشهر حتى أحرق الذكر جسمه، وأذهب لحمه ودمه حتى صار مجرد الجلد على العظم»(٢٠٨).

وذكر الدرينى عبد العزيز الصوفى المتوفى ٦٩٧هـ عن داود بن أبى هند أنه «صام أربعين سنة لم يعد الناس عنه ولا أهل بيته، وكان يؤتى بالإناء ناقصاً فيتمّه بالدموع»(٢٠٩).

ويذكر الطوسى عن أبى عبد الله الصبيحى أنه «لم يخرج ثلاثين سنة من بيت من تحت الأرض»(٢١٠).

ويذكر فريد الدين العطار عن الصوفى المشهور أبى بكر الشبلى أنه «كانت فى يده قضيب يضرب به فخذه وساقه حتى تبدد لحمه(٢١١) وتناثر»(٢١٢).

---

(٢٠٨) سيدى أحمد الدردير للدكتور عبد الحليم محمود ص٧٦ ط القاهرة ١٩٧٤م.

(٢٠٩) طهارة القلوب لعبد العزيز الدرينى ص٢٠٩ وما بعد ط مصطفى البابى الحلبى ١٩٧١م.

(٢١٠) اللمع للطوسى ص ٥٠٠.

(٢١١) كل ما ذكرناها حتى الآن وأوردناها من عبارات وشواهد وشهادات، لم نذكرها ولم نوردها إلا من التصوف المعتدل، والصوفية المعتدلين، أو المتصوفة الذين اتفق على كونهم من هذه الطائفة قاصدين متعمدين، وإلا ما نقل عن المتطرفين والغلاة أو الذين اختلف فى أمرهم فكثير مثل ما ذكر الغزالى عن الحلاج أنه قيّد نفسه من كعبه إلى ركبته بثلاثة عشر قيدا، وكان يصلى مع ذلك كل يوم وليلة ألف ركعة (انظر ماشفة القلوب للغزالى ص٣٠ تحقيق عبد الله أحمد أبو زينة ط القاهرة.

وحكى عن الترمذى الملقب بالحكيم أنه قال:

ألهمت منع الشهوزات . . . حتى ربما أمنع نفسى الماء البارد، وأتورّع عن شرب ماء الأنهار. . . . ووقع علىّ حب الخلوة فى المنزل والخروج إلى الصحراء، فكنت أطوف فى الخربات والنواويس، واعتصمت بها (انظر رسالة بدوّ شأن أبى عبد الله للحكيم الترمذى من مجموعة ختم الأولياء تحقيق عثمان إسماعيل يحيى ص١٥ ط المطبعة الكاثوليكية بيروت).

وذكر الشعرانى عن ابن عربى: انه كان رضى الله عنه أولا من الموقعين عند بعض ملوك المغرب، ثم إنه طرقه طارق من الله عز وجل، فخرج فى البوارى على وجهه إلى أن نزل في قبر. فمكث فيه مدة.

ثم خرج من القبر يتكلّم بهذه العلوم التى نقلت عنه، ولم يزل سائحا فى الأرض يقيم فى كل بلد بحسب الاذن، ثم يرحل منها (انظر اليواقيت والجواهر للشعرانى ج١ ص٦، ٧ ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة).

وأما ابن الفارض فيقول عنه ابنه:

سمعت والدى ابن الفارض: كنت فى أول تجريدى أستأذن أبى وأطلع إلى وادى المستضعفين بالجبل الثانى من المقطم ووّى فيه، وأقيم فى هذه السياحة ليلا ونهارا (انظر جمهرة الأولياء لمحمود أبى الفيض المنوفى الحسينى ج٢ ص٢٤٦ ط القاهرة ١٣٨٧هـ).

وعلى ذلك قال ابن عربى: ان التصوف طريق الشدة، ليس للرخاء فيه مدخل (الأمر المحكم المربوط لابن عربى الملحق بذخائر الاعلاق له أيضا ص٢٦٨ بتحقيق محمد عبد الرحمن الكروى ط القاهرة).

(٢١٢) تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص٣٠٥ ط باكستان، أيضا طبقات الشعرانى ج١ ص٨٨.

٢ ـ أن يدخل الشيخ الخلوة ويصلى فيها ركعتين قبل دخول المريد.
٣ ـ أن يدخلها كما يدخل المسجد مقدّما رجله اليمنى، مبسملا متعوذا.
٤ ـ أن تكون الخلوة مظلمة لا يدخلها شعاع الشمس ولا ضوء النهار.
٥ ـ أن لايستند إلى جدار الخلوة.
٦ ـ الصـــــوم.
٧ ـ أن يعتقد في نفسه انه انما يدخل الخلوة لكى يستريح الناس من شره.
٨ ـ أن لا يتكلم مع أحد فى الخلوة أو خارجها إلا مع شيخه.
٩ ـ إذا خرج إلى الصلاة أو الوضوء فليغطّ رأسه ورقبته بشىء مطرقا إلى الأرض غير ناظر إلى أحد.

١٠ ـ دوام تخيل صورة شيخه، وهو الرابطة بينه وبين خالقه... فإنه إذا همّ بمعصية يتمثل له الشيخ فينزجر عن فعلها ـ إلى آخر الكلام»(١٩٧).

وأما التشابه بين الذكر الصوفى وذكر الطوائف الهندية فهو كما ذكر القشيرى:

«المبتدىء فى الأحوال يجب أن يسكن حواسه ولا يتحرك أنفاسه ولا يحرك بدنه، ولا يحرك جزء منه ولا يردد طرفه ولا شيئا، ويكون مراعيا لهمته، ولا يحرّك البتة جزء من نفسه ولالا من بدنه ولا من باطنه حتى تبدو الأحوال له بعد طول المراعاة.

ثم يجب ألا ينظر إليها ولا إلى ما يبدوله البتة لئلا يحجب عنها، فلا يزال فى المزيد منها إن شاء الله تعالى.

قال: وهذا الطريق الذى هو طريق الله تعالى لابدّ فيه من طول المجاهدة ومقاساة ما يحتمله الأسماع والقلوب من الشدائد لو حلّت بها... وكنت أحيانا فى بدو المجاهدة وأحوال الذكر لو استتر منى فى السماء لكان الستر على أهون من أن أقوم للأكل، وأتحرك للوضوء والفرض لأنه كان يعيب عنى الذكر»(١٩٨).

وذكر الشعرانى عن سيده البدوى أنه لازم الصمت، وما كان يكلم الناس إلا بالاشارة(١٩٩).

---

(١٩٧) انظر جامع الأصول فى الأولياء لأحمد الكمشخانوى النقشبندى ط المطبعة الوهبية الشام ١٢٩٨هـ.
(١٩٨) رسالة ترتيب السلوك من الرسائل القشيرية ص٧٦، ٧٧ ط المعهد المركزى للأبحاث الاسلامية اسلام آباد باكستان.
(١٩٩) طبقات الشعرانى ص١٨٢.

وملازمة الصمت من العادات البوذية كما يظهر من تماثيل بوذا.

وكذلك ذكر الشعرانى أيضا عن سيده عبد الرحمن المجذوب أنه كان ثلاثة أشهر يتكلم، وثلاثة أشهر يسكت[٢٠٠].

وهناك عقيدة بوذية تسمى سمادهى (SAMADHI) وهذه آخر درجات الذاكر يفنى فيها ذاته فى الذات الالهى[٢٠١].

يذكر نفس هذا الشيء صوفى مشهور بحرق الحضرمى فى رسالته (ترتيب السلوك)، فيقول: من لم يتيسر له شيخ، وأراد دخول الخلوة فليقدم الاغتسال، وغسل ثيابه ومصلاه، ويهيىء أسبابه بحيث لايحتاج إلى الخروج، ويرتب لحوائجه من قوت وغيره... ثم ليلازم الجوع فيكون صائما مقتصرا على قدر معلوم من الطعام والماء مقتصدا لايزيد عليه أبدا، وليلازم السهر فلا ينام إلا فى وقت معلوم، وليلازم الذكر فيقتصر على ملازمة ذكر واحد.

ينطق بذلك الذكر بعينه بحيث يظن من يسمعه أن معه فى خلوته ألف ذاكر لله، ثم يغلب عليه حال الذكر فلاينظر فى الوجود شيئا يقع عليه نظره إلا معلنا بذلك الذكر بعينه بحيث لو كان عنده ألف شخص، كل منهم يذكر بذكر مخالف للآخر لم يسمعهم ينتطقون إلا بذكره الذى غلب عليه، وحينئذ يبقى منتظرا لما يفتح الله به على قلبه من رحمته وعلم غيبه، وأول ما يظهر غالبا أنوار الهية كأنها البرق الخاطف تلمع بسرعة، ويختفى وهى لذيذة جدا يحصل بوجودها الوجد، وباختفائها الحنين إليها، وبما غشيته أنوارها.

ثم يصير قلبه كالمرآة المجلوة فيكون مقابلا للجناب القدس، فيصير كل شىء كأنه مشاهد للحق سبحانه علما وحالا فانيا عن نفسه، فضلا عن خيرها، فحينئذ يعبد الله كأنه يراه ويشهده[٢٠٢].

وأما الفناء فى الشيخ فيذكر الشعرانى فى كتابه (الأنوار القدسية):

«اعمل أيها المريد على أن تتحد بشيخك، فيكون ما عنده من المعارف عندك على حدّ سواء ويكون تميزه عليك إنما هو بالاضافة لاغير، قال: وقد قال لى الشيخ

---

(٢٠٠) أيضا ج ٢ ص ١٤١.

(٢٠١) The Buddha And The Criste P. 84 By B.H. Streeter London 1932.

(٢٠٢) ترتيب السلوك إلى ملك الملوك لجمال الدين محمد بن عمر بحرق الحضرمى ص٢٤٨، ٢٤٩ ط جامعة بنجاب لاهور باكستان.

وكان قسم منهم يسافر دوما، ولذلك سموا بالسياحيين كما قال الكلاباذى :-

«ولكثـرة أسفـارهم سمّـوا : سياحين، ومن سياحتهم فى البرارى وايوائهم إلى الكهوف عند الضرورات سماهم بعض أهل الديار شكفتية . والشكفت بلغتهم الغار والكهف»(١٨٩) .

وقد ذكر أصحاب الطبقات وكتب الصوفية أحوال الكثيرين منهم .
فيذكر أحد الصوفية القدامى الهجويرى عن أبى عثمان المغربى :

«انه فى بداية حاله اعتزل عشرين سنة فى البوادى بحيث لم يكن يسمع آدميا، حتى ذابت بنيتـه من المشقـة، وصـارت عينـاه كسمّ الخيـاط، وتحّـول عن صورة الآدميين، وجاءه الأمر بالصحب بعد عشرين عاما، وقيل له : اصحب الخلق . فقال لنفسه : فلأبدأ بصحبة أهل الله ومجاورى بيته، ليكون ذلك أكثر بركة، فقصد مكة، واطلع المشائخ على مجيئه بقلوبهم، وخرجوا لاستقباله، فوجدوه وقد تبدلت صورته، وفى حال لم يكن قد بقى عليه فيها شىء سوى رق الخلقة»(١٩٠) .

وقال أبو طالب المكى :
قد كان الخـواص لا يقيم فى بلد أكثـر من أربعـين يوما، ويرى أن ذلك علّة فى توكله، فيعمل فى اختبار نفسه وكشف حاله .

وحدثنا عن بعض الشيوخ قال : «لبثت فى البرية أحد عشر يوما لم أطعم شيئا»(١٩١) .

كما يقول : «خرجت طائفة الأبدال إلى الكهوف تخلّيا من أبناء الدنيا»(١٩٢) .

ونقل السهروردى عن إبراهيم الخواص أنه ما كان يقيم فى بلد أكثر من أربعين يومـا، وكـان يرى : إن أقـام أكثر من أربعين يوما يفسد عليه توكله، فكان علم الناس ومعرفتهم اياه سببا ومعلوما .

وحكى عنه أنه قال : مكثت فى البادية أحد عشر يوما لم آكل، وتطلعت نفسى أن آكل من حشيش البر، فرأيت الخضر مقبلا نحوى فهربت منه، ثم التفت فاذا هو

---

(١٨٩) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ص٢٩ الطبعة الثانية مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٤٠٠هـ.
(١٩٠) كشف المحجوب للهجويرى ص٤١٦، أيضا تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص٣٤٧ ط باكستان.
(١٩١) قوت القلوب لأبى طالب المكى ج٢ ص٢٠٧ .
(١٩٢) أيضـا ج٢ ص١٥٢ .

رجع عنى، فقيل: لم هربت منه؟.

قال: تشوفت نفسى أن يغيثنى، فهؤلاء الفرارون بدينهم»[١٩٣].

ونقل الشعرانى عن عدى بن مسافر الأموى الذي قال فيه: هو أحد أركان الطريقة وأعلى العلماء بها، والذى نقل فيه عن الشيخ عبد القادر أنه قال:

لو كانت النبوة تنال بالمجاهدة لنالها عدى بن مسافر، يقول عنه الشعرانى: انه أقام أول أمره زمانا فى المغارات والجبال والصحارى مجردا سائحا يأخذ نفسه بأنواع المجاهدات، وكانت الحيات والهوام والسباع تألفه فيها[١٩٤].

وكذلك ينقل الشعرانى عن شيخه أمين الدين أنه قال:

«كان شخص من أرباب الأحوال بناحية شان شلمون بالشرقية جالسا فى البرية، وقد حلّق على نفسه بزرب شوك، وعنده داخل هذه الحلقة الحيات والثعالب والثعابين والقطط والذئاب والخرفان والأوز والدجاج»[١٩٥].

هذا ومثل هذا كثير فى كتب الطبقات العربية والفارسية والأردية، وكتب اللغات الأخرى التى ألفت تراجم الصوفية.

وأما الجلوس فى الخانقاوات، وملازمة الربط والتكايا والزوايا فهو من لوازم التصوف، فإن الصوفية خصصوا أبوابا مستقلة فى كتبهم لبيان فضائل ملازمتها، والمكوث فيها، كما أنهم بيّنوا فيها آداب الخلوة والدخول إليها والمكوث فيها.

كما قال السهروردى: «إعلم أن تأسيس هذه الربط من زينة هذه الملة الهادية المهدية، ولسكان الربط أحوال تميزوا بها عن غيرهم من الطوائف، وهم على هدى من ربهم»[١٩٦].

وذكر الصوفى المشهور الكمشخانوى فى كتابه (جامع الأصول فى الأولياء) آداب الخلوة، فيقول:

«للدخول فى الخلوة آداب وشروط، منها:

١ ــ أن يستأذن الشيخ فى دخول الخلوة.

---

(١٩٣) عوارف المعارف للسهروردى ص١٢٦، أيضا قوت القلوب لأبى طالب المكى ج٢ ص٢٠٧ ط دار صادر بيروت.

(١٩٤) الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص١٣٦، ١٣٧.

(١٩٥) أيضا ج٢ ص١٢٢.

(١٩٦) عوارف المعارف للسهروردى ص١١١.

وحكى عبد العزيز الدباغ عن صوفى أنه «رمى بنفسه في بداية مجاهدته من حلقة داره إلى أسفل تسعين مرة»(٢١٣).

ويحكى عماد الدين الأموى قصة صوفى هندى دمعت إحدى عينه ولم تبك الأخرى، فقال لعينه التى لم تدمع :

«لأحرمنّك النظر إلى الدنيا، وغمض عينه، فلم يفتح عينه أكثر من ستين سنة»(٢١٤).

وذكر عن صوفى هندى خضر سيوستانى القادرى أنه «كان يسكن في المقابر، ولا يلبس إلا رداء واحدا، وكان يأكل العشب وأوراق الأشجار، كان له تنور يحميه ويتعبد فيه، وكانت حيوانات البادية تجالسه وتأوى إليه، وكان يتعبد فى فصل الصيف على حجر حارّ خصّه لنفسه»(٢١٥).

ويذكر الميرزه محمد أختر الدهلوى عن الصوفى فخر الدين رازى أنه «كان يسكن ليل نهار فى الغابات»(٢١٦).

وحكى عن صوفى هندى مشهور ميان أمير أنه «كان يسكن الجبال بعيدا عن الناس»(٢١٧).

وهناك صوفى مشهور فريد الدين الملقب بكنج شكر فيحكى عنه أنه «علّق نفسه معكوسه فى بئر، ولم يزل على هذه الحالة أربعين سنة لم يأكل ولم يشرب شيئا»(٢١٨).

وصوفى هندى آخر أحمد عبد الحق «حفر لنفسه قبرا، واشتغل فيه بالعبادة ستة أشهر»(٢١٩).

وأما حبس الدم فيذكر القشيرى :

«المبتدىء فى الأحوال يجب أن يسكن حواسه، ولا يتحرك أنفاسه»(٢٢٠).

---

(٢١٣) انظر الابريز للدباغ ص١٠٥ .

(٢١٤) حياة القلوب للأموى ص٢١٩ بهامش قوت القلوب .

(٢١٥) انظرة تذكرة أولياء برصغير لميرزه محمد أختر الدهلوى ج٣ ص٣١ ط باكستان .

(٢١٦) نفس المصدر ج١ ص١٥٧ .

(٢١٧) تذكرة أولياء باك وهند للدكتور ظهور الحسن شارب ص٢٨٢ ط باكستان .

(٢١٨) تذكرة أولياء برضغير لميرزه الدهلوى ج١ ص٩٦ ط باكستان .

(٢١٩) انظر تذكرة أولياء باك وهند للدكتور ظهور الحسن شارب ص١٧٩ ط باكستان .

(٢٢٠) انظر رسالة ترتيب السلوك من الرسائل القشيرية ص٦ ، ط باكستان .

ويذكر الصوفى الهندى الدكتور ظهور الحسن شارب أن الصوفى الهندى المشهور ميان مير «كان يقضى الليل كله فى نفس واحدة»(٢٢١).

ويذكر عن صوفى آخر ملا شاه أنه كان «يقضى الليل كله فى نفسين فقط»(٢٢٢).

وهذا كله عملا بقول الصوفية:

«مقام المريد المجاهدات والمكابدات، وتحمل المشاق، وتجرع المرارات»(٢٢٣).

وأيضا بقولهم: «إن الصوفية يلزمون أنفسهم بالأغلظ والأشق من أقوال العلماء»(٢٢٤).

هذا ومثل هذه الأمور كثيرة جدا، التى لم تؤخذ ولم تقتبس إلا من الديانات الهندية ولا وجود لها فى تعاليم الاسلام، ولم تنقل إلى الصوفية إلا منها.

وقبل أن ننتقل إلى فكرة أخرى نريد أن نبيّن أمرا آخر، وهو أن الصوفية بمختلف مشاربهم وطرقهم يتباهون بحبهم للجميع، وعدم الاعتراض على مذهب دون مذهب ومسلك دون مسلك. وإنهم لا يفرّقون بين ديانة وديانة، ولا يميّزون بين طائفة وطائفة وجماعة وجماعة، بل يحترمون جميع الآراء والمعتقدات وأصحابها، وقد نقلوا فيها أقوالا عديدة.

مع أنها لا أساس لها فى شريعة الاسلام وتعاليمها، حيث أن هذا الأمر أصل من أصول فلسفة اليوجا التى ترى فى كل الديانات وفى كل الفلسفات حقا، ولا يعترض على دين وفلسفة مهما اختلفوا وتباعدوا فى المشرب والمسلك، ويسع مذهبه لمعتقدات الجميع، ويأبى أن يتقيّد بقيود أىّ منها(٢٢٥).

والجدير بالذكر أن هناك كتابا ترجم إلى اللغة العربية باسم (فلسفة راجايوجا) بطبع عبد الغنى أحمد، وترجمة حسن حسين، فيه فصل خاص لمقارنة هذه الفلسفة الهندية بالفلسفة الصوفية، كما أن الكتاب كله يشتمل على الرياضات والمجاهدات

---

(٢٢١) تذكرة أولياء باك وهند ص ٢٨٦.

(٢٢٢) أيضا ص ٣٠٧.

(٢٢٣) حياة القلوب لعماد الدين الأموى ص٢٦٨ بهامش قوت القلوب للمكى.

(٢٢٤) أيضا ص ٢٦٦.

(٢٢٥) انظر فلسفة اليوجا تأليف يوجى راما شاراكه ص١٩٨ نقلا عن أديان الهند الكبرى للدكتور أحمد الشلبى ص١٧١ ط ١٩٦٤م.

وطرق الأوراد والذكر، التى نقلناها آنفا من المتصوفة الكبار وأقطاب هذه الطائفة وأعلامها.

وأما قضية وحدة الوجود والحلول والاتحاد، المقائد التى نادى بها الحلاج وابن عربى وجلال الدين الرومى وغيرهم ممن سلك مسلكهم، ونهج منهجهم. فلم يشك أحد فى كونها مأخوذة مقتبسة بتمامها من «فيدانتا» الهندية.

ومن قرأ آراء شرى شنكر أجاريا فى فلسفة «فيدانتا» عرف جيدا أنها عين ما قاله الحلوليون والاتحاديون وأصحاب وحدة الوجود، وأن ما بيّنه شنكر، وفصّل القول فيه فى شرح فلسفة وحدة الوجود أو فيدنتا هى التى توجد فى كتب الوجوديين بكلياتها وجزئياتها.

وأكثر من ذلك تعرض تعاليم شنكر أجاريا وتقرأ مكتوباته على من قرأ كتب ابن عربى، وشارحه ابن الفارض، ومفسره فى العجم جلال الدين رومى، لم يستطع التفريق فى مقولاتهم ومكتوباتهم، وحتى الأسلوب والمنهج والتعبير وبيان الطرق الموصلة إلى حصول المعرفة والادراك.

وبذلك اعترف صوفى كبير من شبه القارة الهندية الباكستانية، وكاتب شهير فى تعاليم التصوف وتاريخه أن مسلك وحدة الوجود بمعنى أنه لا موجود فى الحقيقة إلا الله، وأن وجود الممكنات وهمىّ مثل الشعلة التى تظهر بتحريكها سريعة دائرة وهمية، يظنها الناظر دائرة حيث لايكون لها وجود حقيقة، بل حركة الشعلة بسرعة هى التى أوهمت الناظر بوجودها، فكذلك الكون والممكنات. فهذا مسلك شرى شنكر أجاريا، الذى أسسه وأوضحه فى شروحه لأوينشد، وأخذ منه هذه الفلسفة من المسلمين «حضرة الأقداس امام العرفاء محى الدين ابن عربى، والمعروف بالشيخ الأكبر».

كما أنه تأثر بفلسفته حكماء المغرب مثل اسبنوزا، لائبنز، فخته، هيجل، شوين هاور، باذنكويت، وبردليه، كما أن الشهوديين من المسلمين أخذوا فلسفة وحدة الشهود أيضا من العرفاء الهندوكيين. وهذا المسلك مأخوذ من رام نوج أجاريا أحد شراح اوبنشاد الأربعة المعروفين(٢٢٦).

فالديانات الهندية هى المصدر الآخر للتصوف الذى راح بين المسلمين،

---

(٢٢٦) انظر تاريخ تصوف ليوسف سليم جشتى ص٣٠ وما بعده ط مجمع العلماء أوقاف لاهور ١٩٧٦م.

واختـاره طائفـة من النـاس الـذين أرادوا أن يكونوا عرفاء من بين المسلمين، واختاروا نفس المنـاهـج التى وضعهـا أصحاب الديانات الهندية لحصول «نروان» أى المعرفة، وجعلوا غورديسيا (أى تعـذيب النفس) وجب وكيـان دهيـان (أى الصمت والتفكير والذكر) وسيلة للوصول إليها، وكان هذا ظاهرا جليا واضحا إلى حدّ اضطر المراعون للتصوف، والمداهنون للصوفية، والمدافعون عنهم أن يقرّوا به على ملأ من الناس:

«فالتصوف الإسلامى الحقيقى مبناه على الكتاب والسنة وعلى أحوال الرسول النبى العربى ﷺ وإن تعرجت مؤخرا تعاليم التصوف وتلونت بعض فروعه ألوانا عدة واتجهت تلك الفروع اتجاهات مختلفة بسبب المذاهب الموروثة للداخلين المحدثين فى الإسلام من هنود وفرس وإسرائيليين ومسيحيين ولاسيما فى عصر الترجمة الذى شجع عليه المأمون ومن بعده من الخلفاء العباسيين فترجم المسلمون كتباً كثيرة من التصوف الهنـدى واليـونـانى والفـارسى وطعمت بعض فروع التصـوف الإسلامى الخالص بما دخـل عليهـا من النـزعـات الأفـلاطـونية الحديثة أو القديمة وبعض المذاهب الهندية والفـارسيـة فى التصـوف كنظـريـة الحلول والاتحـاد والتقمص والتناسخ وما إلى ذلك (ولكل دين تصوفه وطبعا).

ومع ذلك ظل التصوف الإسلامى الصميم والذى مصدره الكتاب والسنة قائما على حاله فى صدور رجاله وفى الكتب الإسلامية كتواليف الحسن البصرى والقشيرى وأبى طالب المكى والسراج والغزالى»(٢٢٧).

«وشذ عن ذلك أمثال الحلاج الذى قال بالحلول والقائل «أنا الحق وما فى الجبة سوى الله» ومحيى الـدين القـائـل «خضنـا بحراً وقف الأنبياء بساحله» وبرأه من فكرة الحلول قولـه بالسكـر وغلبـة الحـال. وأكثـر الصـوفيـة الأعـاجم خلطوا بين الفلسفة الفارسية القديمة أو الهندية وما قبسوه عن اليونانية والأفلاطونية الحديثة وبين تصوفهم الخاص».

وقد تأثر أمثال براهمة الهند والغرس فى أزيائهم وطقوسهم، واعتنقوا قدرا من أفكارهم»(٢٢٨).

---

(٢٢٧) والباحث والقارىء يلاحظ هذه المعالجة كثير اما تمسك بها الصوفية ومن دافع عنهم، ولأجل ذلك لم نورد النـصـوص والـعـبـارات فى هذا المبحث كله، ولم نبن الحكم على ما كتبـه هؤلاء ومن تبعهم فى موقفهم ومسلكهم ومشـربهم، ولم نتعـرض إلى أقوال الوجوديين والحلوليين والاتحاديين مع تمسك القوم بكتبهم ومقولاتهم والمباهاة بعرفانهم وكرامتهم والمبالغة فى تمجيدهم والثناء عليهم.

(٢٢٨) جمهرة الأولياء لمحمود أبى الفيض المنوفى الحسينى ج١ ص٢٦٦، ٢٦٧.

ويقول صوفى متقدم لسان الدين بن الخطيب:

«ومن الهنود الذى وضع لهم الحكمة المصلحية، الشلم، والمهندم، والبرهمان، والصولية، والبردة، والزهاد، والعباد، ورجال الرماد، وأصحاب الفطرة، وهم يهجرون اللذات الطبيعية جملة، ويكثرون الجوع والرياضة، عشاق فيما ولّوا وجوههم شطره»(٢٢٩).

وقال الآخر ما خلاصته:

«وشك أن ابن عربى فى مدرسة وحدة الوجود وسوابق بذورها فى مدرسة الحلاج ولواحقها حتى عبد الكريم الجيلى وما بعده قد تأثر بالمصدر الهندى الذى أنطق مذهب الانبثاق الرواقى والفيوضات والصدور عند الأفلاطونية»(٢٣٠).

وقال ماسينيون:

«ونجد من ناحية أخرى أن بحث المراحل التى أدّت إلى ادخال الذكر فى طرق الصوفية المحدثين تدلنا على تسرب بعض طرائف الهنود إلى التصوف الإسلامى»(٢٣١).

وبمثل ذلك قال أوليرى المستشرق الآخر:

«وثمة شبيه هندى للفناء، ولكن ليس فى البوذية، وإنما فيما تقول به الفيدانتا من وحدة الوجود»(٢٣٢).

ونيكلسون كذلك، فيقول فى إحدى مقالاته وهو يتكلم فى الفناء الصوفى:

«أما فى شرق فارس حيث ظهرت فكرة الفناء لأول مرة ظهورا واضحا، فلابدّ أنها كانت متأثرة إلى حد كبير بأفكار هندية وفارسية.

ويدل تعريف الصوفية للفناء من الناحية الخلقية بأنه محو الصفات الذميمة، والتخلق بكل خلق حميد، ووصفهم لوسائل قمع الهوى والشهوات، على وجود أثر للفلسفة البوذية فيهم مما لايدع مجالا للشك، لأن تعريفهم هذا تمام الاتفاق مع تعريف النرفانا.

---

(٢٢٩) روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين بن الخطيب ص٥٤٣ بتحقيق عبد القادر أحمد عطا ط دار الفكر العربى.

(٢٣٠) أضواء على التصوف للدكتور طلعت غنام ص١١٣.

(٢٣١) مقال ماسينيون عن التصوف ص٤٩ ط دار الكتاب اللبنانى بيروت.

(٢٣٢) الفكر العربى ومكانته فى الطريق ترجمة عربية ص٢٠٠ ط ١٩٦١م.

أما الفناء فى عرف أصحاب وحدة الوجود فربما كان أشد اتصالا بفكرة الفيدانتا وما يماثلها من الأفكار الهندية . . مثال ذلك أن أبا يزيد البسطامى كان من أهل خراسان، وكان جده زرادشتيا وشيخه فى التصوف كرديا . ويقال : أنه أخذ عقيدة الفناء الصوفى عن أبى على السندى الذى علّمه الطريقة الهندية التى يسمونها مراقبة الأنفاس، والتى وصفها هو بأنها عبادة العارف بالله .

وإنك لتلمح نزعة أبى يزيد إلى وحدة الوجود ماثلة فى الأقوال المعزوة إليه . مثال ذلك :

خرجت من الحق إلى الحق حتى صاحوا منى فىّ (يامن أنا أنت) .

انى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى : سبحانى ما أعظم شأنى .

للخلق أحوال، ولا حال للعارف، لأنه محيت رسومه، وفنيت هويته بهوية غيره، وغيبت آثاره بآثار غيره»(٢٣٣) .

وقد كرر هذا القول فى مواضع كثيرة مختلفة فى مقالاته من التصوف والصوفية .

وكتب الدكتور أبو العلاء عفيفى البحاثة المصرى الكبير معلقا على إحدى عباراته، ومصدقا كلامه، مانصه :

«لاشك أن التصوف الإسلامى فى ناحيته العملية كان إلى حد ما على التصوف البوذى . يدلّ على ذلك ما ذكر الجاحظ فى كتاب الحيوان عن رهبان الزنادقة الذين كانوا يخرجون للسياحة أزواجا، ولا يقيمون فى مكان واحد أكثر من ليلتين . وكانوا يأخذون أنفسهم بتطهير القلب والعفة والصدق والفقر . ويذكر الجاحظ قصة رجلين منهم دخلا مدينة الأهواز»(٢٣٤) .

ويقول جولدزيهر :

«إن نظرية الصوفيين فى فناء الشخصية هى التى تقترب وحدها من فكرة الجوهر الذاتى (اتمان)، إذا لم تكن تتفق معها تماما، ويطلق الصوفيون على هذه الحالة لفظ الفناء أو المحو والاستهلاك»(٢٣٥) .

وقال أحد الكتّاب :

«أما زيهر فقد ذهب إلى أن الربط بين الفناء والنرفانا دعوى لاتحتاج إلى

---

(٢٣٣) فى التصوف الاسلامى وتاريخه ترجمة الدكتور أبى العلاء عفيفى ص٧٥ .

(٢٣٤) أيضا تعليقة رقم ٢ ص٢٤ .

(٢٣٥) العقيدة والشريعة فى الاسلام لجولدزيهر ترجمة عربية ص١٦٢ .

برهان، معتمدا فى ذلك على قول لأبى يزيد جاء فيه :

صحبت أبا على السندى فكنت ألقّنه ما يقيم به فرضا، وكان يعلمنى التوحيد والحقائق صرفا.

فالنص ـ في نظره ـ لايفهم منه سوى أن أبا يزيد كان يعلّم السندى الفروض الدينية، باعتباره حديث عهد بالاسلام، مقابل تلقيه عنه علم الحقيقة والفناء، الذى لم يكن على علم به»(٢٣٦).

ونريد أن نثبت ههنا أيضا نص ما ذكره الباحث الايرانى المشهور الدكتور قاسم غنى، فيقول :

«إذا كان رأى أولئك الذين يعتقدون أن التصوف وليد المعتقدات البوذية والهندية مبالغا فيه، فينبغى أن يقال فى الأقل أن من جملة ما كان له تأثير فى التصوف الاسلامى أفكار البوذية والهندية ونزعاتها وعاداتها.

والاسلام الذي خرج من حدود الجزيرة العربية بسرعة البر ق بعد ظهوره بفترة قصيرة سرعان ما أخذ يتقدم فى كل ناحية، ولم تطل المدة حتى بلغ تخوم الصين وفتحت بلاد السند فى عهد بنى أمية، وتوثقت علاقات تجارية واقتصادية بين المسلمين والشعوب والقبائل التى كانت تختلف من ناحية الفكر والحضارة والأخلاق عن أقوام البلاد الأخرى.

ومنذ القرن الثانى وما بعده وحين بدأ المسلمون بنقل كتب الشعوب الأخرى واتسعت دائرة العلوم ـ ترجم مقدار من آثار البوذية والهندية مما يدخل فى باب التصوف العملى أى الزهد وترك الدنيا ووصف العادات والتقاليد الهندية والبوذية فى هذا الباب، ناهيك بنقل كتب هندية وبوذية فى القرن الثانى للهجرة والصلات التجارية والاقتصادية القائمة بين المسلمين والهنود فى أوائل الخلافة العباسية وقد انتشرت طائفة من تاركى الدنيا والسائحين من الهنود والمانويين فى العراق وسائر البلاد الاسلامية الأخرى وكما كانوا يتحدثون فى القرن الأول عن الرهبان السائحين مع المسيحيين كذلك أخذوا يتحدثون فى القرن الثانى عن رهبان وسياح ممن لم يكونوا مسلمين ولا نصارى وهم الذين سماهم الجاحظ (رهبان الزنادقة) واعتبرهم من زهاد المانوية.

قال الجاحظ : «إن هؤلاء سياح والسياحة بالنسبة لهم فى حكم التوقف واعتزال

---

(٢٣٦) المعراج فى الكتابات الصوفية للدكتور قاسم السامرائى ص٢١٦.

الساطرة فى الصوامع والأديرة، وتلك الجماعة يسافرون دائما اثنين اثنين ويسيحون بحيث إذا رأى الإنسان واحدا منهم يتيقن أن الثانى ليس ببعيد عنه إلى حد ما، وسيظهر قريبا. ومن عاداتهم أنهم لا ينامون ليلتين فى مكان واحد، ولهؤلاء السياح خصال أربع: القدس والطهر والصدق والمسكنة».

وهؤلاء السياح تركوا بدورهم أثرا فى صوفية المسلمين كما أثر فيهم أيضا السياح والمتجولون والمرتاضون من البوذيين الذين أذاعوا قصة بوذا وقدموه مثالا للزهد والاعراض عن الدنيا، بحيث أن المرتاضين كانوا يعرفونه فى كتاباتهم بالمثال الكامل للزهد. وهو الأمير القوى الشكيمة الذى رمى الدنيا ظهريا وحرر نفسه. أويقولون أنه أسير جدير بالثناء خليق بالاحترام متزييا بزى الفقراء. وهذا الموضوع أوجد قصصا ذات صور مختلفة والنقطة الهامة التى يجب ألا تنسى هى أن الديانة البوذية كانت قد انتشرت فى شرق إيران أى بلخ وبخارى وفى ماء ما وراء النهر كذلك قبل الاسلام بأكثر من ألف سنة، وكانت لها صوامع ومعابد مشهورة وكانت معابد بلخ البوذية أكثر شهرة بنوع خاص، وصارت بلخ ونواحيها من أهم المراكز الصوفية فى القرون الاسلامية الأولى، وكان صوفيو خراسان يعدون فى الرعيل الأول من الصوفية فى الشجاعة الفكرية والحرية الشخصية، والعقيدة المعروفة «بالفناء فى الله» المقتبسة من الأفكار الهندية إلى حد ما والتى انتشرت على الأكثر بواسطة صوفية خراسان. مثل أبى يزيد البسطامى وأبى سعيد أبى الخير»(٢٣٧).

وقبل أن ننتقل إلى فكرة أخرى نريد أن نلفت الأنظار إلى أن معتنقى البوذية والجينية والديانات الهندية الأخرى كان لهم أن يترهبوا، ويتجردوا عن الدنيا وما فيها، ويختاروا العزلة والخلوة، ويتيهوا فى المفاوز والخلوات، ويعيشوا فى المغارات والخانقاوات، ويعذبوا أنفسهم، ويأتوا بالمجاهدات والرياضات، ويتحملوا المشاق، ويتعمقوا فى المراقبات والمكاشفات وغير ذلك من الأمور، لأن قادتهم وزعماءهم، هداتهم ومرشديهم فعلوا مثل ذلك لحصول المعرفة، واكتشاف الحق، والوصول إلى طمأنينة الروح والقلب، والاتصال بالخالق والاتحاد به ـ حسب زعمهم ـ تشبها لهم واقتداء بهم، وتمسكا بأسوتهم، واقتفاء آثارهم ومناهجهم.

فعلى المتبعين أن يسلكوا جميع تلك المراحل التى سلكها سادتهم وكبراؤهم، وأن يكابدوا فى هذا السبيل تلك الآلام التى تكابدها أولئك.

---

(٢٣٧) تاريخ التصوف فى الاسلام ترجمة عربية لصادق نشأت ص٢٢١، ٢٢٢.

وكذلك النصارى.

أولا: لأنه نقل عن مسيحهم ما يشجعهم على التبتل والعزلة.

ثانيا: أن حواريي المسيح، وقدّيسي المسيحية الأوائل تحملوا أنواعا من العذاب فى سبيل التمسك بمذهبهم، فأوذوا وأجبروا على ترك المساكن والمواطن وعاشوا فى الصحارى والمغارات فرارا بدينهم، وحفاظا على ايمانهم، فحبس منهم وقتّل منهم كثيرون، وعذّب الآخرون.

فتأسّياً بهم وتقديرا لهم حرموا أنفسهم من ملذات الدنيا ونعيمها، وألزموا عليهم العزبة والجوع والمشاق، وهجروا العيش بين الأهل والأولاد.

وأما المسلمون فلا نبيّهم أمرهم بذلك، ولا أصحابه ورفاقه الأبرار خيرة خلق الله، وأبرار هذه الأمة عملوا به، ودينهم دين الاعتدال والدين الوسط، الناسخ لجميع الشرائع السماوية منها والأرضية، الإلهامية وغير الإلهامية.

﴿من يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾(٢٣٨).

والذى كمل قبل انتقال محمد ﷺ إلى الملأ الأعلى.

﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا﴾(٢٣٩).

وما لم يكن فيهما فهو ابتداع وأحداث فيه، وليس منه، ولا له علاقة به.

ولا ندرى ممن أخذ متصوفة المسلمين ونساكهم من المسلمين هذا المنهج والمسلك الذى بنوا عليه تصوفهم وزهدهم. اللهم إلا ممن ذكرناهم من المسيحية، وأصحاب الديانات الهندية، وهذه أحوال معتدلى الصوفية ومتقدميهم.

وأما المتطرفون والمتأخرون فقد زادوا على هذين المصدرين مصدرا آخر استقوا منه فلسفتهم ومشربهم، وتشبثوا بآرائه ومقولاته. وهو الأفلاطونية الحديثة.

---

(٢٣٨) سورة آل عمران الآية ٨٥.

(٢٣٩) سورة المائدة الآية ٣.

الأفلاطونية الحديثة

ولقد ذكر جمع من الكتّاب والباحثين في التصوف ممن اشتغلوا بالتصوف من المسلمين وغير المسلمين. وقل من شذ عنهم أن الأفلاطونية الحديثة هي أحد المصادر الأساسية للتصوف، بل إنها هي المصدر الأول بالنسبة للقائلين بوحدة الوجود والحلول بدءاً من أبي اليزيد البسطامى، وسهل التسترى، والترمذى الملقب بالحكيم، وابن عطاء الله الأسكندرى، وابن سبعين، وابن الفارض، والحلاج، ولسان الدين بن الخطيب، وابن عربى، والرومى، والجيلى، والعراقى، والجامى، والسهروردى المقتول، وبايزيد الأنصارى وغيرهم .

وأن هؤلاء أخذوا نظرية الفيض والمحبة والمعرفة والاشراق مع الآراء الأخرى التي تمسكوا بها عن الأفلاطونية المحدثة .

وعبارات الصوفية أنفسهم ناطقة بها وشاهدة عليها ولو أنهم اختلطت عليهم آراؤ الأفلاطونية الحديثة وآراؤ أفلاطون وأرسطو وغيرهم من حكماء اليونان الآخرين، حيث نسبوا ذلك إلى هذا، وهذا إلى تلك .

فيقول صوفى معاصر :

وأما وحدة الوجود الحلولية التي تجعل من الله كائنا يحل في مخلوقاته أو الاتحادية بالمعنى المفهوم خطأ تلك التي تجعل من الكائن الفانى شخصية تتحد بالموجود الدائم الباقى المنزه عن سائر النسب والاضافات والأحياز الزمانية والمكانية المحدثة أويتحد به شيء منها فإنها مذهب هندى أومسيحى وليس بإسلامى ولا يعرفه الإسلام، استمده أهل الشذوذ في التصوف الإسلامى من الفلسفة البائدة، وغذوا به مذهبهم الشاذ بفكر أفلاطونية وآراء بوذية وفارسية عن طريق الفارابى وابن سينا، حاله أن المتتبع لحياة الحلاج ومؤلفات السهروردى وابن العربى يرى أنهم تأثروا بالمتفلسفة المسلمين الذين أخذوا عن الفلسفة الأفلاطونية القديمة والأفلاطونية الحديثة والأرسطو طاليسية(٢٤٠).

وكتب قبله بقليل :

---

(٢٤٠) جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف للمنوفى الحسينى ج١ ص٢٩٢ ط القاهرة.

«فكان يعلن بعضهم أنه اطلع على الغيب وأن في مقدوره الإتيان بخوارق العادات ثم يذهب إلى ما هو أبعد من هذا مثل قولة الحلاج المشهورة : ما في الجبة غير الله ـ وغيره : أنا الحق ويمثل هذا وذاك ثار على الحلاج معاصروه ورموه بالسحر تارة والجنون أخرى وعذب عذابا أليما إلى أن مات في أوائل القرن الرابع ، والله أعلم بحاله وكان من أمثال الحلاج من بالغوا مبالغة قلت أم كثرت كشهاب الدين عمر السهروردى المقتول رئيس جماعة الإشراقيين ومحيى الدين بن عربى الأندلسى . وابن سبعين الصقلى ، وهم من رجال القرنين السادس والسابع وتابعهم جماعة من شعراء الفرس أمثال جلال الدين الرومى وفريد الدين العطار وكلهم يرمى إلى أن يقيم التصوف الإسلامى على دعائم فلسفية أو فارسية وهندية أو يونانية»(٢٤١) .

ويقول الدكتور عبد القادر محمود :

«فإذا عدنا إلى تاريخ الاتصالات الأولى نجد أن الثقافة اليونانية كانت هي الثقافة المسيطرة على العقول في الشرق منذ عهد الإسكندر بالإضافة إلى ثقافات الشرق نفسه ، حتى إذا أقبل المسلمون على حضارات غيرهم من الأمم القديمة كان إقبالهم على الثقافة الهللينية بمعونة نساطرة الحيرة وبعاقبة غسّان ، والسريان في الشام وغيرها ، والصائبة من أتباع زارادشت ، واليهود والنصارى . لكن الذي نؤكده أن باب الاتصال المباشر كان الأفلوطينية المحدثة ولو أن المسلمين حسبوها لأرسطو حين اعتقدوا خطأ أن كتاب الربوبية له ، وهو في الواقع لأفلوطين الذي عرفوا من ورائه أفلاطون والثقافة اليونانية القديمة .

إننا نلاحظ أن الأستاذ نيكلسون يرى أن الاثر كان في القرن السادس الهجرى ، ويختلف معه ماسينيون ، فيرى على وجه أصح أنه كان في القرن الرابع ، والواقع أنه في القرن الثالث ، بدليل أن الربوبية ظهرت عربية في الوسط الإسلامى في القرن الثالث الهجرى وكان لها أثرها المباشر في نظريات الاتصال الفارابية ، ونظريات البسطامى والحلاج . فإذا اعتمدنا على جهد اصطفان بن صُدَّيللى الغنوصى السريانى الذي كان أستاذاً في مجمع «أريوباجوس» الذي تخرج منه ديونيسيوس الأريوباجى Dionysius ، والذي كان معاصراً ليعقوب السروجى الأديب السريانى المشهور (ت ٥٢١م) أقول ـ إذا عدنا إلى اصطفان بن صديللى ، وجهوده في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادى وفي «الرُّها» بالذات ، فإننا نجد من جهوده الخطيرة

---

(٢٤١) أيضا ص ٢٧٦ .

أنه نقل بعد رحلاته في مصر وغيرها مذاهب وحدة الوجود وعاد ونشرها في «الرُّها»، كما اشتغل بشرح الإنجيل، وأنكر أبدية عذاب جهنم، وأكد أن المذنبين سيعودون إلى الجنة بعد تطهير. وكان لهذا أثره في سخط أهل «الرُّها» فطردوه ورموه بالإلحاد، فرحل إلى دير في بيت المقدس، ووجد لآرائه هناك أرضاً خصبة، وجمع آراءه، ونسبها إلى ديونيسيوس لشهرته. من هنا لا نجد غرابة مطلقاً في الدوائر الصوفية في الإسلام انتشار مثل هذه الأقوال التي شاعت مع جهم بن صفوان، ثم اندفعت في أفق الفكر الإسلامى، حيث شكلت مذاهب الفيض والإشراق والمعرفة والجذب والحلول والاتحاد ووحدة الشهود ووحدة الوجود، وكل مركبات «الثيوصوفية» بتأثير الأمشاج المختلطة مع الغنوص الشرقى القديم. فإذا نظرنا في مذاهب الفيض الأفلوطينى - نجد أن الله والعقل الأول والنفس الكلية والمادة غير المصورة والنفوس الجزئية - كل أولئك عبارة عن مراتب الوجود في الأفلوطينية، وهذا ما نجده في مدرسة ابن عربى في الحقيقة المحمدية أول فيض من الذات الإلهية، ثم بقية الفيوضات في جميع الموجودات، وعند ابن الفارض في وحدته الشهودية وفي مذهبه في القطبية والحقيقة المحمدية، وعند الإشراقية السهروردية والشيرازية التي تجعل الله نور الأنوار فياضاً بالأنوار القاهرة وهي النفوس والعقول، وبالجواهر الغاسقة الناشئة عن الأنوار، وهي الأجسام، حتى المصطلحات في المثل أو المعانى الأزلية، والحقيقة، وحقيقة الحقائق، والعلة والمعلول، والوحدة والكثرة، وتحقق الذات في الموضوع وشيوع الموضوع في الذات.

كل هذا يعود إلى أصوله الأفلوطينية التي تعود هي الأخرى إلى الغنوص الشرقى والغربى المؤول في الفلسفات اليهودية والمسيحية اللاهوتية. لقد أخذت النظريَات الصوفية لدى الصوفية الفلاسفة أو الفلاسفة الخلص لدى المشائية الإسلامية جوهرها من الأفلوطينية، وخاصة في المعرفة الإشراقية، التي تُلقى إلقاء في النفس عند تَطَهُّرها وتحررها، ويكفينا دليلا التاسوع الخامس لأفلوطين الذي يقول: (النفس التي لا تضاء بضوئه تظل بغير رؤية)، فإذا أضيئت فإنها تحتوى على كل ما تنشده فترى الأسمى بالأسمى - ترى الأسمى الذي هو في الوقت نفسه وسيلة الرؤية لأن ما يضيء النفس هو نفسه الذي تريد رؤيته، كما أننا نرى الشمس بضوء الشمس. لقد مارس أفلوطين (ت ٢٠٥م) هذه التجربة، وأعطى الاتجاه للفارابى وابن سينا، والحلاج والسهروردى، وابن عربى وابن الفارض، وابن سبعين

وبقية الركب المشائي أو الصوفي . يقول أفلوطين (وقد حدث مرات عدة أن ارتفعت خارج جسدي بحيث دخلتُ نفسي ، كنت حينئذ أحيا ، وأظفر باتحاد مع الإلهي) . (يجب على أن أدخل في نفسي ، ومن هنا استيقظ . وبهذه اليقظة أتحد بالله) . (يجب عليَّ أن أحجب عن نفسي النور الخارجي لكي أحيا وحدي وحدي في النور الباطن»[٢٤٢] .

ويقر هذا الأمر الدكتور عبد الرحمن بدوي ـ ولو أنه يختلف مع الدكتور عبد القادر في طرق وصولها إلى الصوفية ـ حيث أنه يقول تحت عنوان التأثير اليوناني في التصوف :

«وأهم نص في هذا الباب هو كتاب (أثولوجيا أرسطوطاليس) وهو كما نعلم فصول ومقتطفات ، منتزعة من التساعات الأفلاطونية ، وفيه نظريات الفيض والواحد التي ستلعب دورا خطيرا في التصوف الإسلامي ، خصوصا عند السهروردي المقتول وابن عربي ، وفيه أيضا نظرية (الكلمة) أو اللوغوس .

ولاشك في تأثر الصوفية المسلمين ابتداء من القرن الخامس الهجري بما في (أثولوجيا) من آراء . وإنما الخلاف هنا هو في هل وصل تأثيره إلى التصوف الإسلامي مباشرة ، أو عن طريق كتب الاسماعيلية ، وكلها حافلة بالتأثر به .

ويتلوه في الأهمية الكتب المنسوبة إلى هرمس . . . وشخصيته بارزة التأثير عند السهروردي المقتول ، وابن عربي . الأول خصوصا في فكرة الطباع التام ، التي تأثر بها كل الإشراقيين بعد السهروردي ، والطباع التام هو(النوس) . ويسمى أيضا الروحانية . والطبيعة الكريمة .

ويتصل به ما يرد من علم الصنعة سواء عند الصنعونيين (الكيمياويين) وعند الصوفية المسلمين .

ومن النصوص المهمة المنسوبة إلى هرمس : رسالة هرمس في معاذلة النفس ، التي نشرناها في كتابنا : الأفلاطونية المحدثة عند العرب ، فهي مناجيات للنفس وتحليل لها ، وتأنيب للنفس الأمارة ، ودعوة للنفس من أجل التطهر والتقدس .
ومن السهل أن نجد أصداء لها ومشابه في مناجيات الصوفية المسلمين .

ثم ان هناك فصولا منحولة لأفلاطون وسقراط وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين

---

(٢٤٢) الفلسفة الصوفية فى الاسلام للدكتور عبد القادر محمود ص٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ط دار الفكر العربى .

معظمها آداب وأقوال . . . وكلها تتشابه في بعض آرائها مع الأقوال المنسوبة إلى كبار الصوفية المسلمين في كتب طبقات الصوفية المختلفة (القشيرى، السلمى، الشعرانى، الهروى، العطار، الجامى الخ الخ»)[٢٤٣].

ولقد أقر الدكتور أبو العلاء العفيفى أيضا بتأثر ابن عربى ومن نهج منهجه في الأمور الكثيرة وفي نظرية الفيض بأفلاطونية المحدثة[٢٤٤].

وكتب الدكتور التفتازانى كلاما يشبه هؤلاء حيث قال :

«ونحن لا ننكر الأثر اليونانى على التصوف الإسلامى، فقد وصلت الفلسفة اليونانية عامة، والأفلاطونية المحدثة خاصة، إلى صوفية الإسلام عن طريق الترجمة والنقل، أو الاختلاط مع رهبان النصارى في الرها وحران . وقد خضع المسلمون لسلطان أرسطو، وإن كانوا قد عرفوا فلسفة أرسطو على أنها فلسفة اشراقية، لأن عبد المسيح بن ناعمة الحمصى حينما ترجم الكتاب المعروف بـ «أتولوجيا أرسطوطاليس» قدمه إلى المسلمين على أنه لأرسطو على حين أنه مقتطفات من تاسوعات أفلوطين .

وليس من شك في أن فلسفة أفلوطين السكندرى التي تعتبر أن المعرفة مدركة بالمشاهدة في حال الغيبة عن النفس وعن العالم المحسوس، كان لها اثرها في التصوف الإسلامى فيما نجده من كلام متفلسفى الصوفية عن المعرفة . وكذلك، كان لنظرية أفلوطين السكندرى في الفيض «وترتب الموجودات عن الواحد أو الأول . أثرها على الصوفية المتفلسفين من أصحاب الوحدة كالسهروردى المقتول، ومحى الدين بن عربى، وابن الفارض، وعبد الحق بن سبعين، وعبد الكريم الجيلى، ومن نحا نحوهم .

ونلاحظ بعد ذلك أن أولئك المتفلسفة من الصوفية نتيجة اطلاعهم على الفلسفة اليونانية قد اصطنعوا كثيرا من مصطلحات هذه الفلسفة مثل : الكلمة ـ العقل الأول ـ العقل الكلى ـ العلة والمعلول ـ الكلى . . . الخ»[٢٤٥].

وبمثل هذا قال الدكتور محمد كمال جعفر[٢٤٦].

---

(٢٤٣) انظر تاريخ التصوف الاسلامى للدكتور عبد الرحمن بدوى ص٤١، ٤٢ .

(٢٤٤) انظر تعليقات أبى العلاء العفيفى من فصوص الحكم لابن عربى الجزء الثانى ص٩ ط دار الكتاب العربى بيروت .

(٢٤٥) انظر مدخل إلى التصوف الاسلامى للدكتور أبى الوفا الغنيمى التفتازانى ص٣٣، ٣٤ .

(٢٤٦) انظر مقدمة كتاب المعارضة والرد لسهل بن عبد الله التسترى ط دار الانسان القاهرة .

والدكتور مصطفى حلمى[٢٤٧] .

والدكتور زكى مبارك[٢٤٨] .

والدكتور محمد جلال شرف[٢٤٩] .

والدكتور هلال إبراهيم هلال[٢٥٠] .

وأما الدكتور قاسم غنى الفارسى فكتب :

«وأن طريق الوصول إلى المبدأ والحصول على التمتع الأبدى هو تطهير النفس السفلية عن طريق التجرد من الشهوات الجسمانية والميول الحسية وممارسة الفضائل الأربع، وهي : العفة، والعدل، والشجاعة، والحكمة. هذه نماذج من آراء الفلسفة الأفلاطونية الحديثة التي وفق المسلمون بينها وبين الشرع الإسلامى. ولهذا الغرض حذفوا منها أشياء وزادوا عليها أشياء وسموها «حكمة الاشراق» .

وقد أثر في التصوف والعرفان ذيوع آراء أفلاطون وظهور الفلسفة الأفلاطونية الحديثة بين المسلمين أكثر من أي شيء. وبعبارة أخرى، أحرز التصوف الذي كان إلى ذلك الحين زهدا عمليا أساسا نظريا وعلميا .

وإذا دققنا في آراء الأفلاطونية الحديثة وجدنا أن الصوفى الزاهد الذي غض الطرف عن الدنيا وما فيها بحكم أنها فانية، وتعلق خاطره بما هو خالد. يشعر بلذة الرضا في فلسفة أفلوطين. بل يحصل على منتهى غايته في تلك الآراء، وموضوع وحدة الوجود في الفلسفة الأفلاطونية الحديثة جذب أنظار الصوفية أكثر من أي شيء آخر لأن الذين يؤمنون بهذه العقيدة يرون أن العالم كله مرآة لقدرة الحق تعالى وكل موجود بمثابة مرآة تتجلى ذات الله فيها إلا أن المرايا كلها ظاهرة، والوجود المطلق والموجود الحقيقى هو الله. وينبغى على الإنسان أن يسعى حتى يمزق الحجب ويجعل نفسه محلا لتجلى جمال الحق الكامل ويبلغ السعادة الأبدية .

على السالك أن يطير بجناح العشق نحو الله تعالى ويحرر نفسه من قيد وجوده الذي ليس إلا مظهرا فحسب. وينمحى ويفنى في ذات الله أي الموجود الحقيقى»[٢٥١] .

---

(٢٤٧) انظر القيم الروحية ص٥٨ وما بعد.

(٢٤٨) انظر التصوف الاسلامى فى الأدب والأخلاق ج١ ص٢٤٩ .

(٢٤٩) انظر دراسات فى التصوف الاسلامى ص٣٤٦ .

(٢٥٠) انظر ولاية الله والطريق إليها، مقدمة .

(٢٥١) انظر التصوف الاسلامى للدكتور قاسم غنى ترجمة صادق نشأت ص١٤٢، ١٤٣ .

هذا وبمثـــل ذلـك قال الآخـرون من الفـرس الـذين اشتهـروا باشتغـالهم في التصوف، مثل الدكتور عبد الحسين زرين كوب[٢٥٢].

والأستاذ مهدى توحيدى بور[٢٥٣].

وقبلهم الأردبيلى أحمد بن محمد[٢٥٤].

وغيرهم الكثيرون الكثيرون.

وأمـا صوفيـة الهنـد وكتـاب شبه القارة عن التصوف فأيضا أقروا بتلك الحقيقة الناصعة التي لا يمكن التهرب والأعراض عنها.

فلقد قال البروفسور يوسف سليم جشتى في كتابه الكبير عن التصوف، بعد ما استعرض آراء الأفلاطونية الحديثة ونظريتها مفصلة، قال:

«ان التصـوف لم يقتبس، ولم يؤخـذ إلا من المنـابع الصافية والمصادر الطاهرة، وعلى رأسهـا الأفـلاطـونيـة المحدثة، وتبنى الشيخ الأكبر محيى الدين بن عربى نفس الأفكـار التي نشـرهـا أفلوطـين الأسكنـدرى، المبنيـة على الفكر الفلسفى والمشاهدة الذاتية، والذي بين أن تزكية النفس لا يمكن إلا بالتبتل عن العلائق الدنيوية والعالم المادى، ولها مراتب ثلاث:

تصفية النفس، وتجلية النفس، وتحلية النفس.

ولا يمكن الوصول إليها إلا بالمراحل الثلاث:

أولا: بالفن والآداب، والمـراد منهـا طلب الحقيقة وجمالها. وان هذين الشيئين أي (Truth and Beauty) اسمان لشيء واحد في الحقيقة.

ثانيا: بالعشق.

ثالثا: بالحكمة.

وأهم الأشياء في فلسفته أن طريق تهذيب النفس وتكميل الروح ليس ببرهانى ولا عقلى، بل هو وجـــدانى وكشفى، كما أن فلسفتـه في الالهيـات تدور على وحـدة

---

(٢٥٢) انظر كتابه دنباله جستجودر تصوف ايران ص٢٦٧ وما بعد ط طهران ١٣٦٢ هجرى شمسى.

(٢٥٣) انظر مقدمة نفحات الأنس للجامى الطبعة الفارسية ص٨٣ وما بعد ط ايران ١٣٣٧.

(٢٥٤) انظر حديقة الشيعة ص٢٦٦ ط طهران.

الوجود، وهذا عين ما كان يؤمن به الشيخ الأكبر ابن عربى وغيره، كما أومن به أنا أيضا[٢٥٥].

وبمثل ذلك قال الآخر :

ولا يبعد أن التصوف الإسلامى قد تأثر إلى حد كبير بالفلسفة اليونانية والتصوف الهندى والأديان الأخرى المجاورة للعرب كالمسيحية في الشام واليهودية في اليمن والزرادشتية في العراق وبلاد الفرس وغيرها إذ تم الاختلاط بين العرب وبين معتنقى هذه الديانات في القرن الثانى والثالث الهجرى، وترجمت الفلسفة اليونانية كما ترجمت الثقافات الأخرى التى كانت موجودة عند أهل هذه البلاد المفتوحة قبل دخولهم في الدين الإسلامى .

لذلك رأى بعض العلماء أن التصوف الإسلامى هو إيجاد الفلسفة اليونانية .

بينما قال البعض الآخر : أنه نواة الدين المسيحى، في حين أن فريقا من المحققين يميلون إلى أن التصوف الإسلامى قد أخذته العرب من الهنود كما أخذت العرب الفلسفة من اليونان إذ كان التصوف شائعا رائجا بين الهنود قبل الإسلام بقرون، ولم يظهر عند العرب في صورة مذهب مستقل إلا بعد فتح البلاد الهندية واختلاطهم بأهل تلك البلاد»[٢٥٦].

فهذه هي عبارات ونصوص الباحثين من المسلمين الذين عرفوا بالبحث والكتابة عن التصوف والصوفية، والأكثر منهم من عرفوا بالولاء للصوفية والدفاع عنهم وعن معتقداتهم، والبعض منهم يُعَدُّ من الصوفية ويحسب على التصوف .

هذا ولأجل ذلك ذهب معظم المستشرقين إلى أن الأفلاطونية الحديثة من أهم مصادر التصوف، وخاصة للتصوف المتأخر من القرون الأولى، ولقد بحث المستشرق الانجليزى نيكلسون هذا الأمر في مقالاته عن التصوف بمواضع عديدة، فأرجع نشأته إلى عوامل خارجة عن الإسلام عملت عملها ابتداء من القرن الثالث الهجرى. وأهم هذه العوامل وأبرزها في نظره هو الأفلاطونية الحديثة المتأخرة التي كانت شائعة في مصر والشام إلى عهد ذى النون المصرى ومعروف الكرخى، ولهذا

---

(٢٥٥) انظر تاريخ التصوف باللغة الأردية ليوسف سليم جشتى ص٦٣ وما بعد ط علماء اكيدمى وزارة الأوقاف باكستان ١٩٧٦م.

(٢٥٦) مقدمة كتاب بايزيد الأنصارى للدكتور مير ولى خان الطبعة العربية ص٩٩ ط مجمع البحوث الاسلامية باكستان ١٣٩٦هـ.

يتخذ من ذي النون المصرى محورا لبحثه في هذه المقالة، فيأتى بكثير من الأسانيد التاريخية عن حياة ذي النون ونشأته، ويستدل بها على أن ذا النون كان على علم بالحكمة اليونانية الشائعة في عصره. ويتتبع حركة الثقافة اليونانية المتأخرة وطرق وصولها إلى المسلمين.

وينتهى إلى أن التصوف في ناحيته النظرية مأخوذة من الأفلاطونية الحديثة موافقا في ذلك رأى ميركس الذي شرح هذه النظرية في كتابه (التاريخ العام للتصوف ومعالمه) هيدلبرج سنة ١٨٩٣م [٢٥٧].

ويقول نيكلسون:

«ولا حاجة بنا إلى الإطناب في الكلام عن انتشار الثقافة الهلينية بين المسلمين في ذلك العصر، فإن كل من له إلمام بتاريخ العرب الأدبى يعلم كيف طغت موجة العلوم اليونانية ـ وقد بلغت ذروتها آنئذ ـ على العراق من مراكز ثلاثة: من الأديرة المسيحية في الشام، ومن مدرسة جنديسابور الفارسية في خوزستان، ومن وثنيى حران ـ أو الصابئة في الجزيرة. وقد نقل إلى العرب كتب لا حصر لعددها في الفلسفة والطب وسائر العلوم اليونانية الأخرى، وعكف على دراستها المسلمون واتخذوها أساساً قامت عليه اتجاهاتهم الجديدة في البحث، حتى لتكاد العلوم والفلسفة الإسلامية تكون مؤسسة على حكمة اليونان وحدها.

وأبرز شخصية يونانية في الفلسفة الإسلامية هي أرسطوطاليس لا أفلاطون؛ ولكن العرب استمدوا أول علمهم بفلسفة أرسطوطاليس من شراح الأفلاطونية الحديثة، وكان المذهب الذي غلب عليهم هومذهب أفلوطين وفورفوريوس وأبرقلس. وليس كتاب «أثولوجيا أرسطوطاليس» الذي نقل إلى العربية حوالى ٨٤٠م حسب تقدير دتريصى إلا ملخصاً لمذهب الأفلاطونية الحديثة. ومعنى هذا أن الأفكار الأفلاطونية الحديثة قد انتشرت بين المسلمين انتشاراً واسعاً... ولا داعى الآن إلى الاسترسال في هذا الموضوع بأكثر من هذا القدر، ويكفى القول بأن المسلمين قد وجدوا المذهب الأفلاطونى الحديث أينما حلوا وفي أي مكان اتصلوا فيه بالحضارة اليونانية.

---

(٢٥٧) انظر مقدمة الدكتور أبى العلاء العفيفى لطائفة من الدراسات المجموعة باسم فى التصوف الاسلامى وتاريخه ص (س).

وقد كان لمصر والشام دائماً الصدارة بين الأمم التي انتشرت فيها الحضارة اليونانية، وهما البلدان اللذان ظهر التصوف فيهما لأول مرة بمعناه الدقيق وتطور كما أسلفنا. والرجل الذي اضطلع بأكبر قسط في تطور هذا النوع من التصوف، هو ذو النون المصرى الذي وصف بأنه حكيم كيميائى، أو بأنه ـ بعبارة أخرى ـ أحد أولئك الذين نهلوا من منهل الثقافة اليونانية. فإذا أضفنا إلى هذا أن المعانى التي تكلم فيها ذو النون هي ـ في جوهرها ـ المعانى التي نجدها في كتابات يونانية مثل كتابات ديونيسيون . . . .

وليس عندى من شك في أن المذهب الغنوصى بعد ما أصابه من التغيير والتحوير على أيدى مفكرى المسيحية واليهودية، وبعد امتزاجه بالنظريات اليونانية ـ كان من المصادر الهامة التي أخذ عنها رجال التصوف الإسلامى؛ وأن بين التصوف والغنوصية مواضع اتفاق كثيرة هامة. ولاشك عندى أيضاً في أن دراسة هذه المسألة دراسة دقيقة وافية لمايأتى بأطيب الثمرات، ولكننى على يقين من أننا إذا نظرنا إلى الظروف التاريخية التي أحاطت بنشأة التصوف بمعناه الدقيق، استحال علينا أن نرد أصله إلى عامل هندى أو فارسى، ولزم أن نعتبره وليداً لاتحاد الفكر اليونانى والديانات الشرقية : أو بمعنى أدق وليد اتحاد الفلسفة الأفلاطونية الحديثة والديانة المسيحية والمذهب الغنوصى»(٢٥٨).

ويقول في مقال آخر :

ومما يحملنا على الجزم بوجود أثر للفلسفة اليونانية في التصوف الإسلامى أن نظرية المعرفة فيه ظهرت في غربى آسيا ومصر في بلاد تأصلت فيها الثقافة اليونانية أحقابا طويلة، وكان بعض المبرزين في الكلام فيها من أصل غير عربى»(٢٥٩).

وفي مقال آخر صرح بأن التصوف الفلسفى الإلهى هو أثر من آثار النظر اليونانى، ولا يمكن الإنكار من امتزاج الفكر اليونانى والدين الإسلامى في التصوف وخاصة الأفلاطونية المحدثة(٢٦٠).

---

(٢٥٨) انظر فى التصوف الاسلامى وتاريخه لنيكلسون ترجمة عربية ص١٤ وما بعد.

(٢٥٩) أيضـا ص٧٣، ٧٤ .

(٢٦٠) صوفية الاسلام ص١٥ .

وبمثـل ذلـك قال براون في كتابه (تاريخ فارس الأدبى)، والمستشرق الأوليرى في كتابه (الفكر العربى ومكانته في التاريخ)[٢٦١].

وميركس في كتابه[٢٦٢].

ويقول ماسينيون المستشرق الفرنساوى :

«وتسربت الفلسفة اليونانية إلى العالم الإسلامى، وأخذ سلطانها يزداد باطراد منـذ أيـام الأذريـة القرامطة القدامى، والرازى الطبيب إلى عهد ابن سينا، وكان من نتيجـة ذلـك أن استحدثت في القرن الرابع الهجرى مصطلحات ميتافيزيقية أدق من سابقتها يفهم منها أن الروح والنفوس جواهر غير مادية، وأن ثمة معانى عامة وسلسلة من العلل الثـانيـة وغـير ذلـك، وأن هذه المصطلحـات اختلطت بالإلهيـات المنحولة لأرسطو، وبمثل أفلاطون، وفيوضات أفلوطين، وقد كان لهذا كله أثر بالغ في تطور التصوف»[٢٦٣].

فهذه هي آراء المستشرقين، تشبه تماما آراء من ذكرناهم قبل ذلك من المسلمين .

وهنـاك في كتب بعض الصـوفيـة المتقـدمـين ما يدل على ارتبـاطهم بالفلسفـة اليونانية وأخذهم عنها، وتأثرهم بها، حيث مجدوها وبالغوا في الثناء عليها، وعلى من أوجـدهـا وطرحها ونشرها بين الناس، ولو حصل الخطأ في نسبة بعض الآراء والأفكار إلى البعض دون البعض، وإلى الواحد دون الآخر كما مرت الإشارات إلى ذلك أثناء نقل العبارات السابقة عنهم .

فيقـول الجيلى في كتـابـه (الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل) في الجزء الثـاني منـه ما يدل على حبـه العميق لموجـدى الفلسفـة اليـونـانيـة والـربـط الشديد لموجديها، فيقول :

ولقد اجتمعت بافلاطون الذي يعدونه أهل الظاهر كافرا، فرأيته وقد ملأ العالم الغيبى نورا وبهجة، ورأيت له مكانة لم أرها إلا لآحاد من الأولياء، فقلت له : من أنت ؟

قال : قطب الـزمـان وواحد الأوان، ولكم رأينا من عجائب وغرائب مثل هذا

---

(٢٦١) انظر ص١٩٦، أيضا مدخل إلى التصوف للتفتازانى ص٣٢، ٣٣ .

(٢٦٢) انظر كتابه التاريخ العام للتصوف ومعالمه .

(٢٦٣) التصوف لماسينيون ص٣٨، ٣٩ .

ليس من شرطها أن تفشى ، وقد رمزنا لك في هذا الباب أسراراً كثيرة ما كان يسعنا أن نتكلم فيها بغير هذا اللسان ، فألق القشر من الخطاب وخذ اللب إن كنت من أولى الألباب»(٢٦٤) .

وفي مقام آخر من كتابه كتب أن أرسطو تلميذ أفلاطون لزم خدمة الخضر واستفاد منه علوما جمة ، وكان من تلامذته(٢٦٥) .

وهذا غير ما ذكر من آرائه وآراء أفلاطون وفلسفتهما ، والتعلق والتمسك بها ، ومصطلحاتها التي استعملها واعتنقها وآمن بها .

وبمثل ذلك كتب لسان الدين بن الخطيب في كتابه الصوفى الكبير (روضة التعريف بالحب الشريف) حيث يلقب أفلاطون كلما يذكره بمعلم الخير ، وأرسطو بحكيم متأله ، وسقراط وهرمس وغيرهم من أهل الأنوار .

وحكى عن أرسطو (خطأ) أنه حصل له الاتحاد بالذات الإلهية . فيقول نقلا عن أرسطو أنه قال :

«إنى ربما خلوت بنفسى كثيراً ، وجعلت بدنى جانبا ، وصرت كأنى مجرداً بلا بدن ، عرى من الملابس الطبيعية ، فأكون داخلا في ذاتى ، خارجا من سائر الأشياء . فأرى في ذاتى من الحسن والسناء ، والبهاء والضياء والمحاسن العجيبة ، والمناظر الأنيقة ، ما أبقى له متعجباً متحيراً باهتاً ، فأعلم أنى جزء من أجزاء العالم الأعلى الشريف . فلما أيقنت بذلك ، رقيت بذهنى إلى العلة الإلهية المحيطة بالكل ، فصرت كأنى موضوع متعلق بها . فأكون فوق العالم كله ، فأرانى كأنى واقف في ذلك الموقف الشريف المقدس الإلهى فأرى هنالك من النور والبهاء ، والبهجة والسناء ، مالا تقدر الألسن على صفته ، ولا الأسماع على نعته ، ولا الأوهام أن تحيط به ، فإذا استغرقنى ذلك النور والبهاء ، لم أطق على احتماله ، ولا الصبر عليه فارتددت عاجزاً عن النظر إليه ، وهبطت من العقل إلى الفكر والروية ، فإذا صرت في عالم الفكر والروية ، حجبت الفكرة عنى ذلك النور والبهاء ، وحالت بينى وبينه الأوهام ، فأبقى متعجباً كيف انحدرت من ذلك الموضع الشاهق العالى الإلهى ، وصرت سفلا في موضع الفكر والضيقة ، بعد أن قويت نفسى على التخلف عن بدنها ، والرجوع إلى ذاتها ،

---

(٢٦٤) الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلى ج٢ ص٥٢، ٥٣ الطبعة الرابعة ١٩٨١م .
(٢٦٥) أيضــا ج٢ ص١١٧ .

والترقى إلى العالم العقلى، ثم العالم الإلهى، مع العقول فوق العوالم كلها، حتى صارت في موضع البهاء والنور والسناء مجتلية الذي هو علة كل نور وبهاء، وسبب كل دوام وبقاء.

ومن العجيب. أني كنت رأيت نفسى ممتلئة نوراً، وهى في البدن كهيئتها، والبدن معها، وهي خارجة عنه، على أنى لما أطلت الفكرة، ومحضت الروية، وأجلت الرأى، وصرت كالمتحير المبهوت، تذكرت الفلطنوس، فإنه أمر بالطلب والبحث عن جوهر النفس الشريفة، والحرص على الصعود إلى ذلك العالم الشريف الأعلى. وقال: إنه من حرص على ذلك، وارتقى إلى العالم الأعلى، ولحق بالجواهر الإلهية، والأسباب الكلية، يجزى أحسن الجزاء اضطرارا. فلا ينبغى لأحد أن يفتر عن الطلب والحرص، والجد في الارتقاء إلى ذلك العالم، وإن تعب وكد ونصب، فإن أمامه الراحة التي لا تعب بعدها، في حياة دائمة، وعيشة راضية، ولذات باقية لا يتناهي أمدها، ولا يقطع مددها. مخلوقة للإنسان كلها، والإنسان مخلوق لها، أليس عجزاً أن تمر ساعة من عمره في غير ما خلق له من ذلك؟ أليس من فرط في السعى لذلك ظالما لنفسه، ومهلكا ذاته، وفاعلا بجوهرته النفسية مالم يفعل به أعدى عدو له، فيندم حين لا ينفعه الندم»(٢٦٦).

ثم علق عليه بقوله:

«وبيان هذه السعادة: من تعرض له، فقد تعاطى مالا تستقل به نفس، ولا تطمع فيه قوة إنسانية... وسبيل السعادة عندهم الرياضة، وعلاج الأخلاق، حتى يصير شبيها بالخير المحض وهو المبدأ، وتلطيف السر، وأن يصرف عن النفس شواغل الجسم، ويترقى في معارج المحبة والشوق إلى ذلك الكمال بالفكرة، حتى تحس النفس بانجذابها إلى عالمها، وتفيض عليها عجائبه. وقد أخبر هؤلاء الإلهيون عن أنفسهم بما ذكرناه آنفا، من أنهم نزعوا جلابيب الجسمانية في هذا العالم، وترقوا إلى العالم العلوى، فأبصروا من نوره ولذاته أموراً مذهلة، ثم عادوا إلى عالم الحس، ورمزوا ذلك في كتبهم، حسبما نقل سقراط الدنان، ومعلم الخير أفلاطون وإمام المشائين أرسطو»(٢٦٧).

وهذه العبارات منثورة مبعثرة في كتب القوم كثيرا، ناطقة عن كنههم وحقيقة

---

(٢٦٦) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١.

(٢٦٧) أيضا ص٥٦٠.

مشربهم الذي اختاروه منهجا ومسلكا من التصوف والصوفية كشهادات داخلية واعترافات ذاتية .

وعلى ذلك قال الصوفى المشهور عبد الوهاب الشعرانى عن شيخه :

«وكان سيدى أفضل الدين رحمه الله يقول :

كثير من كلام الصوفية لا يتمشى ظاهره الا على قواعد المعتزلة والفلاسفة فالعاقل لا يبادر إلى الانكار بمجرد عزو ذلك الكلام إليهم، بل ينظر ويتأمل في أدلتهم التي استندوا إليها، فما كل ما قاله الفلاسفة والمعتزلة في كتبهم يكون باطلا»(٢٦٨) .

وبعد هذه الشهادات والاعترافات لا نرى الاحتياج إلى ذكر عبارات الصوفية، ومقارنتها بآراء الفلاسفة والأفلاطونية المحدثة كي لا يطول بنا الحديث ولو أننا سوف نتكلم في هذا الخصوص ونضطر إلى سرد تلك النصوص في محل آخر من الكتاب عند الاحتياج والضرورة .

فهذه هي مصادر التصوف، التي استقى منها شجرته حتى نمت وازدهرت، فأينعت وأثمرت، ولا يمكن رده إلى مصدر واحد «فإن أثر المسيحية والأفلاطونية الحديثة والفلسفة البوذية عامل لا سبيل لنا إلى انكاره في التصوف الإسلامى . وقد كانت هذه المذاهب والفلسفات متغلغلة في الأوساط التي عاش فيها الصوفية، فلم يكن بدّ من أن تترك طابعها في مذاهبهم . ولدينا أدلة كافية توضح أثرها في التصوف ومكانتها منه، ولو أن المادة التي بين أيدينا لا تمكننا من تتبع أثرها بالتفصيل . وبالجملة يمكن القول بأن التصوف في القرن الثالث ـ شأنه في ذلك شأن التصوف في عصر من عصوره ـ ظهر نتيجة لعوامل مختلفة أحدثت أثرها فيه مجتمعة . أعنى بهذه العوامل البحوث النظرية في معنى التوحيد الإسلامى، والزهد والتصوف المسيحيين، ومذهب الغنوصية، والفلسفة اليونانية والهندية»(٢٦٩) .

وكان هناك مصدر آخر هام له تأثير قوى في تكوين التصوف وتشكيله، وتحوير منهجه وتطويره، وترويج الأفكار الأجنبية البعيدة عن الإسلام وتعاليمه فيه، غير هذه

(٢٦٨) الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص١١ .

(٢٦٩) نيكلسون : التصوف : دائرة معارف الدين والأخلاق ج١٢ ص١٠ وما بعد ١٩٣٤م، أيضا «فى التصوف الاسلامى وتاريخه» ص٧٢ .

المصـادر التي ذكـرنـاهـا، وهـو : التشيع الذي وضع نواته اليهود، وساهمت في تنشئته وتنميته الديانات الفارسية .

ولكن لما لهذا المصدر من أهمية كبيرة، وتأثير كبير لتغيير وجهة التصوف ومجراه، وتخليق أفكـار غريبـة فوق الغـرابـة التي وجـدت فيه من المصادر الأخرى ربما تصطدم بنصوص صريحة للقرآن والسنة لا تحتمل التأويل، وتقضي على تعاليمها .

ولفـارق آخـر، وهـو أن مصادر التصوف الأخرى أخذ منها التصوف أفكارها، واقتبس منها آراءها دون أن يكون لتلك المصادر قصد ورغبة، وهدف وغرض ولتلقين المتصـوفـة تعـاليمهـا وفلسفـاتهـا، ونشـرها بينهم، غير أن التشيع بثّ أفكاره، ودسّ معتقـداتـه، وروجّ نظـريـاتـه بين الصـوفيـة عن قصـد وعمـد لتشويش المسلمين في عقـائـدهم ومعتقـداتهم وتبكيت أهـل السنـة عن الاعـتراض على التشيـع وزيغـه وضلاله، والزامهم السكوت بابراز طائفة تنتمي إليهم، وتحسب عليهم، وتحمل نفس المعتقدات التي تشتمل عليها هي، وهذا أمر خطير في تاريخ الطوائف والفرق، والملل والنحل .

ولذلك نخصص لبيانه بابا مستقلا ليكون الباحث والقارىء على اطلاع كامل على ما يحتاجه هذا البحث، وتتطلبه هذه القضية .

الباب الثالث

التشيع والتصوف

إن التشيع أوجده اليهود، وأسسوا أسسه، وأصّلوا أصوله، وأرسوا قواعده، ووضعوا عقائده ومعتقداته، بوساطة إبنهم البارّ بهم عبد الله بن سبأ، المتزىّ بزىّ الإسلام، واللابس ثوبه ولباسه، تقية وخداعا، الذى أرسل إلى عاصمة الخلافة الإسلامية أيام الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه من قبل يهود صنعاء اليمن لتقويض دعائم الإسلام، وفناء دولته، ومسخ شريعته السماوية البيضاء، وهدم قوائمها وأركانها، وترويج عقائد اليهودية بين المسلمين، وايجاد الفرقة والاختلاف بينهم، واسعار نار الحقدة والبغضاء، وفتح باب المطاعن والتلاعن، والسباب والشتائم، بدل الأخوة الصادقة والتوادّ والتعاطف والتراحم:

«إن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم، ووالى عليا عليه السلام، وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون وصىّ موسى بالغلو، فقال فى إسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله فى علىّ مثل ذلك، وكان أول من أشهر القول بفرض امامة علىّ، وأظهر البراءة من أعدائه، وكاشف مخالفيه، وكفرهم. ومن هنا قال من خالف الشيعة: إن التشيع والرفض مأخوذ من اليهودية[1].

فاجتمع حوله وتحت لواء التشيع كثير من أبناء اليهودية البغيضة، والفرس المهزومين، والبابليين المكسورين، والموالى المقهورين، والكارهين للعرب حكامهم، والفاتحين بلادهم، والآخذين زمام أمورهم، بعد فشلهم فى محاربة الإسلام وجيوشه المظفرة المنصورة وجها لوجه، واندحار قوتهم، وانكسار شوكتهم، فغيّروا أسلوبهم فى مزاحمة الإسلام جهرا، فتستّروا بستار الإسلام، ودخلوا فى صفوفه، واندمجوا فى

---

(١) رجال الكشى ص١٠١ ط مؤسسة الأعلمى بكربلاء - العراق. أيضا تنقيح المقال للمامقانى ج٢ ص١٨٤ ط طهران، أيضا فرق الشيعة للنوبختى ص٤٣، ٤٤ ط المطبعة الحيدرية بالنجف العراق ١٣٧٩هـ، كتاب المقالات والفرق لسعد بن عبد الله القمى ص٢١ ط طهران ١٩٦٢م، رجال الطوسى ص ٥١ ط نجف، تحفة الأحباب ص١٨٤، ناسخ التواريخ ج٣ ص٣٩٣ ط ايران، كتاب الرجال للحلى ص٤٦٩ ط طهران ١٣٨٣هـ، منهج المقال للأسترابادى ص٣٠٣، شرح ابن أبى الحديد ج٢ ص٣٠٩ وغير ذلك من الكتب الشيعية الكثيرة، ومثله فى كتب السنة.

بيئتـه، وروّجـوا بين المسلمـين أفكـارا يهوديـة ومجـوسيـة ونصـرانيـة، وعقائد مدخولة مدسوسة، نقمة على الإسلام والمسلمين، من حلول الإله أو الجزء الإلهى فى الخلق، واجـراء النبـوة بعـد خاتم النبيـين صلوات الله وسـلامـه عليـه، ونزول الوحى واتيان المـلائكـة، وحصـول العصمـة، ووجـود شخص فى كل عصـر وزمان به قيام الأرض وثباتها، وعقيدة الوصاية والولاية، والاخفاء والكتمان، والتأويل، وانقسام العلم إلى الظـاهـر والبـاطن، وتقسيم الناس إلى العامة والخاصة، وتعطيل الشريعة ومسخها، ومسـخ تعـاليمهـا، ورفع التكليف وغير ذلك من الخرافات والترهات مما لا علاقة لها بالإسـلام، قريبـة ولا بعيـدة، ولم يقصـد من بثّها ودسّها الاّ ضرب الإسلام ومحوه من الوجود، وتفريق كلمته، وتشتيت قوته، ودرء هيمنته، وخرق هيبته.

فكان هذا هو المقصود من تكوين التشيع وانشائه، فأدى التشيع فى سبيل ذلك خدمـات جليلة، وكـان أول ضحيتـه سيـدنـا الامـام المظلوم عثمان بن عفان الخليفة الـراشـد الثـالث وصهـر رسـول اللهﷺ، كما كان أول ثمـرته التفرق والتمزق، والتشتت والتحـزب فى الأمـة الاسـلاميـة الـواحدة، المتفقة العقائد، المتحدة الآراء والأفكار، فولـدت الفـرق، ونشأت الطـوائف العـديـدة وبـرزت الآراء الجـديدة، وراجت بين المسلمـين مذاهب لم تكن موجـودة ولا معـروفـة من قبل، وكثير من المذاهب المنحرفة والعقـائـد الزائغة الزائفة غذّيت من قبل التشيع، ونمّيت وربّيت، وأمدّت ودعّمت، ولـو أنـه بعـد حين صار هذا الـزيـغ والضـلال من لوازم تلك النحلة، وعـلائم تلك الطـائفـة، حيث أنسى تقـادم العهـد المصـدر الأصلى، والمنبـع الحقيقى، والمـوجـد الأول، والمنشىء الأصلى، وكـان الهـدف من هذا أن تعمّ الفتنـة، ويكثـر البلوى، وتبعـد أمـة محمـد صلى الله عليـه وسلم من محمـد عليـه الصـلاة والسلام وارشاداته وتوجيهاته، وعن الكتاب الذى أنزل على قلبه الطاهر، وعن أحكامه وضوابطه، وأن تضعف كذلك، ويضعف سلطانها، وينكمش حكمها، سلطتها واختيارها.

فكان إحدى هذه الفرق والنحل والمشارب والمذاهب، الصوفية والتصوف، كما يظهـر لمن درس كتب التـاريـخ والعقـائـد والمسـالك، وتعمق في منشأ ومولد الطوائف والنحـل أن كل فتنـة ظهـرت في تاريـخ الإسـلام، وكـل ديانة طلعت من العدم إلى الوجود كان رأسها ومديرها، أو منشئها ومدبرها واحد من الشيعة.

وكـذلـك كان أمـر الصـوفية. فإن الثلاثة الذين اشتهروا في التاريخ الإسلامي باسم الصوفى ولقبه بادىء ذي بدء كان اثنان منهم من الشيعة أو متهمين بالتشيع، كما

أن هؤلاء الثلاثة كلهم كانوا من موطن الشيعة آنذاك، وهو الكوفة .

فأبو هاشم الكوفي الذي فصلنا فيه القول فيما مر لم يرم بالتشيع ولكنه كان من الكوفة الشيعية، ومتهما بالزندقة والدهرية(٢) .

أما جابر بن حيان فيذكره ماسينيون بقوله :

«وورد لفظ الصوفى لقبا مفردا لأول مرة في التاريخ في النصف الثاني من القرن الثامن الميلادى إذ نعت به جابر بن حيان وهو صاحب كيمياء شيعى من أهل الكوفة، له في الزهد مذهب خاص»(٣) .

وذكره نيكلسون بقوله :

«جابر بن حيان الكيميائى المعروف كان يدعى جابر الصوفى، وأنه تقلد كما تقلد ذو النون المصرى علم الباطن الذي يطلق عليه القفطى مذهب المتصوفين من أهل الإسلام»(٤) .

ويذكر المستشرق التشيكوسلاوى بى كراؤ س *P. KRAUS* وم بلسنر *M. PLESSNER* أن «جابر بن حيان كان من الشيعة الغلاة، ولعله كان من القرامطة أو الاسماعيلية، وكان يرجح مثل النصيرية سلمان علي محمد، كما كان يعتقد مثل الغلاة والنصيرية عقيدة تناسخ الأرواح»(٥) .

وهذان المستشرقان ينقلان عن جابر بن حيان نفسه أنه يقول :

«إنه أخذ جميع علومه عن جعفر الصادق معدن الحكمة، وأنه ليس إلا الناقل المحص والمرتب»(٦) .

وبمثل ذلك قال هولميارد الانجليزى الذي نشر عديدا من كتب جابر بن حيان(٧) .

وأما الشيعة فيعدونه من أعيانهم .

---

(٢) انظر طرائق الحقائق للحاج معصوم على ج١ ص١٠١ .

(٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية اردوج٦ ص٤١٩ ط جامعة بنجاب باكستان الطبعة الأولى ١٩٦٢م، كذلك التصوف لماسينيون ترجمة عربية ص٢٦ط دار الكتاب اللبنانى ١٩٨٤م .

(٤) انظر كتاب فى التصوف الاسلامى وتاريخه ترجمة الدكتور أبى العلاء العفيفى ص١١ .

(٥) انظر دائرة المعارف الاسلامية اردوج٧ ص٦ مقال «بى كراؤ س» و«م بلنسر» .

(٦) دائرة المعارف الاسلامية اردوا ج٧ ص٦ .

(٧) انظر مقدمة كتاب الرحمة، المنشور هولميارد، وكتاب البيان وغيرهما .

فلقد كتب السيد محسن الأمين الشيعي المشهور في ترجمته أكثر من ثلاثين صفحة في كتابه (أعيان الشيعة). فيقول :

«أبو عبد الله، ويقال : أبو موسى جابر بن حيان بن عبد الله الطرسوسي الكوفي المعروف بالصوفي. . . كان حكيما رياضيا فيلسوفا عالما بالنجوم طبيبا منطقيا رصديا مؤلفا مكثرا في جميع هذه العلوم وغيرها : كالزهد والمواعظ، من أصحاب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وأحد أبوابه، ومن كبار الشيعة، ومايأتي عند تعداد مؤلفاته يدل علي أنه كان من عجائب الدنيا ونوادر الدهر، وان عالما يؤلف ما يزيد على ٣٩٠٠ كتاب في علوم جلها عقلية وفلسفية لهو حقا من عجائب الكون، فبينا هو فيلسوف حكيم ومؤلف مكثر في الحيل والنرنجيات والعزائم ومؤلف في الصنائع وآلات الحرب، إذا هو زاهد واعظ مؤلف كتبا في الزهد والمواعظ»[٨].

ثم نقل عن عديد من الشيعة أنهم ذكروا في كتبهم الرجالية، وعدّوه من تلامذة جعفر بن الباقر، ثم قال :

«يستفاد مما سلف أمور، وهي : تشيعه، وعلمه بصناعة الكيمياء، وتصوفه، وفلسفته، وتلمذته على الصادق عليه السلام، واشتهاره عند أكابر العلماء، واشتهار كتبه بينهم اشتهارا لا مزيد عليه»[٩].

ثم كتب تحت عنوان (أما تشيعه) :

«فيدل عليه عدّ ابن طاوس له في منجمي الشيعة، ورواية ابنى بسطام عنه عن الصادق عليه السلام، وروايته خمسمائة رسالة للصادق عليه السلام كما ذكره اليافعي، ونقل ابن النديم عن الشيعة أنه من كبارهم وأحد الأبواب، وانه إنما كان يعني بسيده جعفر هو الصادق، لا جعفر البرمكي، ولا ينافيه زعم الفلاسفة أنه منهم، فإنه لا تنافي بين كونه فيلسوفا وشيعيا، إذ المراد الفلسفة الإسلامية، لا فلسفة الحكماء القدماء التي قد تنافي الشريعة، وقول ابن النديم : أن له كتبا في مذاهب الشيعة كما تقدم ذلك كله»[١٠].

---

(٨) أعيان الشيعة لمحسن الأمين الشيعي ج١٥ ٨٧، ٨٨ ط دار التعارف للمطبوعات بيروت.
(٩) أيضا ص١٠٢.
(١٠) أيضا ص١٠٥.

ونقـل أيضـا عن الـدكتـور أحمد فؤ اد الأهوانى أن «والد جابر بن حيان قتل في خراسان لاتهامه بالتشيع»[١١].

ونضيف إلى ذلك أن الرجالى الشيعى المشهور الطهرانى أيضا عده من رجال الشيعـة حيث ذكـر في موسـوعتـه كتـابـين له : «كتاب الرحمة الصغير، وكتاب الرحمة الكبير لجابر بن حيان الصوفى الطوسى الكوفي المتوفى سنة مائتين من الهجرة»[١٢].

وأما من متقدمى الشيعة فيذكره ابن النديم بقوله :

«هو أبو عبد الله جابر بن حيان بن عبد الله الكوفي المعروف بالصوفى، واختلف الناس في أمره.

فقـالت الشيعـة : أنـه من كبـارهـم وأحـد الأبـواب، وزعموا أنه كان صاحب جعفر الصادق رضى الله عنه، وكان من أهل الكوفة.

وزعم قوم من الفلاسفة أنه كان منهم، وله في المنطق والفلسفة مصنفات.

وزعم أهل صناعة الذهب والفضة أن الرياسة انتهت إليه في عصره، وأن أمره كان مكتوم. وزعموا أنه كان ينتقل في البلدان لا يستقر به بلد خوفا من السلطان على نفسه.

وقيـل : إنـه كان في جملة الـبرامكة ومنقطعا إليها، ومتحققا بجعفر بن يحيى. فمن زعم هذا قال : انه عنى بسيده جعفر هو البرمكى.

وقالت الشيعة : إنما عنى جعفر الصادق»[١٣].

ثم أصدر رأيه في معتقداته بقوله :

«ولهذا الرجل كتب في مذاهب الشيعة»[١٤].

ونقل عنه أنه «كان تلميذا لجعفر بن محمد الباقر، أو عبده»[١٥].

ومما يدل على تشيعه وكونه من الحلوليين والمغالين في التشيع ما نقله في رسائله التي تنسب إليه أنه قال :

---

(١١) أعيان الشيعة ج١٥ ص٨٧.

(١٢) انظر الذريعة الى تصانيف الشيعة ج١٠ ص١٧١.

(١٣) الفهرست لابن اندين ص٤٩٨، ٤٩٩ ط دار المعرفة لبنان.

(١٤) أيضا.

(١٥) خلاصة الأثر للمحبى ج١ ص٢١٣ نقلا عن الشيبى.

«بعد ما سمعت كلام الصادق في الكيمياء والطلسم فخررت ساجدا، فقال (أي جعفر) : لو كان سجودك لي وحدك لكنت من الفائزين، قد سجد لي آباؤك الأولون، وسجودك لي سجودك لنفسك»[١٦].

وأما كونه تلميذا لجعفر فيقره الحاج خليفة في «كشف الظنون»، وابن خلكان في وفياته[١٧].

وغيرهما.

ولقد فات الدكتور الشيبى عندما أنكر على جابر بن حيان التصوف حيث قال :

«أن صلة جابر بالتصوف اسمية لأنه لم يكن صاحب مجاهدة أو خوف، أو ناطقا بأقوال زهدية، وإنما نقل عنه اشتغاله بالكيمياء»[١٨].

قد فاته ما ذكره ابن النديم في فهرسته نقلا عن جابر بن حيان نفسه أنه قال : «ألفت كتبا في الزهد والمواعظ»[١٩].

وكذلك ما نقله هو نفسه عن «أخبار الحكماء» أن «جابر بن حيان كان مشرفا على كثير من علوم الفلسفة ومتقلدا للعلم المعروف بعلم الباطن، وهو مذهب المتصوفين من أهل الإسلام، كالحارث المحاسبى، وسهل بن عبد الله التسترى ونظرائهم»[٢٠].

وكذلك ما نقله فيليب حتى حيث قال :

«انه ادعى مذهبا خاصا في الزهد»[٢١].

فهذا هو أول الثلاثة الذين لقبوا بالصوفية، والذي توفي بين ١٦٠ إلى ٢٠٠ هجرية على اختلاف في الأقوال.

---

(١٦) مختار رسائل جابر بن حيان ص٧٨.
(١٧) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان تحت ترجمة جعفر بن الباقر.
(١٨) انظر الصلة بين التصوف والتشيع ج١ ص٢٨٩ ط دار الاندلس بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.
(١٩) الفهرست لابن النديم ص٥٠٣.
(٢٠) أخبار الحكماء للقفطى ص١١١.
(٢١) تاريخ العرب للهتى ج٢ ص٢٢.

عَبْدَك

وأما الثاني وهو عبدك الصوفى فأيضا ذكره كل من المستشرق ماسينيون ، والباحث الإيرانى الشيعى الدكتور قاسم غنى ، والشيعى العراقى دكتور مصطفى الشيبى وغيرهم ، شاهدين بأنه كان شيعيا مغاليا .

فيقول ماسينيون :

«أما صيغة الجمع (الصوفية) التي ظهرت عام ١٩٩هـ (٨١٤م) في خبر فتنة قامت بالاسكندرية فكانت تدل - قرابة ذلك العهد فيما يراه المحاسبى والجاحظ - على مذهب من مذاهب التصوف الإسلامى يكاد يكون شيعيا نشأ في الكوفة ، وكان عبدك الصوفى آخر أئمته ، وهو من القائلين بأن الإمامة بالتعيين ، وكان لا يأكل اللحم ، وتوفى ببغداد حوالى عام ٢١٠هـ (٨٢٥م) .

وإذن فكلمة (صوفى) كانت أول أمرها مقصورة على الكوفة»[٢٢] .

وكتب دكتور « قاسم غنى » عنه :

«كان رجلا معتزلا الناس ، زاهدا ، وكان أول من لقب بلقب الصوفى - وأضاف الدكتور قاسم غنى : وهذا اللفظ كان يطلق في تلك الأيام على بعض زهاد الشريعة من الكوفيين ، وقد أطلقت هذه الكلمة أيضا في سنة ١٩٩هـ على بعض الناس مثل ثوار الاسكندرية ، ولأن عبدكا كان لا يأكل اللحم ، عده بعض المعاصرين من الزنادقة . وكذلك يقول ماسينيون : لم يكن السالكون في القرون الأولى يعرفون باسم الصوفية ، وقد عرف الصوفى في القرن الثالث ، وأول من اشتهر في بغداد بهذا الاسم هو عبدك الصوفى الذي كان من كبار شيوخهم وأقطابهم ، وهو سابق على بشر بن الحارث الحافى المتوفي في سنة مائتين وسبع وعشرين ، وأيضا قبل السرى السقطى المتوفى في سنة مائتين وخمس وعشرين .

وبناء على ذلك نالت كلمة الصوفى شهرة في بادىء الأمر في الكوفة ، ثم أصبحت أهميتها كبيرة بعد نصف قرن في بغداد ، وصار المقصود من كلمة الصوفية جماعة عرفاء العراق بازاء جماعة الملامتية الذين كانوا من عرفاء خراسان ، وتجاوز

---

(٢٢) دائرة المعارف الاسلامية اردوا ج٦ ص٤١٩ ، أيضا التصوف لماسينيون ترجمة عربية ص٢٧

الاطلاق حده منذ القرن الرابع وما بعده . وأصبح المقصود من اطلاق كلمة الصوفية، جميع عرفاء المسلمين. وارتداء الصوف أي الجبة البيضاء الصوفية الذي كان حوالى أواخر القرن الأول من عادة الخوارج والمسيحيين»(٢٣) .

هذا ونقل الشيبى عن السمعانى أنه قال :

«ان اسم عبدك هو عبد الكريم، وان حفيده محمد بن علي بن عبدك الشيعى كان مقدم الشيعة»(٢٤) .

ثم قـال :

«وهكذا يبدو عبدك جامعا لاتجاهات عديدة مختلفة نابعة من التشيع، الممتزجة بالـزهـد المتأثـر بظـروف الكـوفـة التي انتقل منها كثير من سكانها إلى بغداد، بعد أن صارت عاصمة للدولة الجديدة، والمهم في شأن عبدك أنه أول كوفي يطلق عليه اسم صوفي بعـد انتقـالـه إلى بغـداد . . . وقد رأينا أن لبس الصوف قد نبع من بيئة الكوفة التي عرضت بتمسكهـا بالتشيـع ومعـارضتهـا وحربها بالسيف أو بالقول أو بالقلب لمن نكـل بالأئمـة العلويـين، وذلك ـ إذا صح ـ يقطع بأن التصوف في أصوله الأولى كان متصلا بالتشيع»(٢٥) .

هذا ولقد ذكره أيضا من المتقدمين الملطى بقوله :

«إن عبدك كان رأس فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام محرم لا يحل الأخذ منها إلا القوت من حيث ذهب أئمة العدل، ولا تحل الدنيا إلا بإمام عادل والا فهي حرام، ومعاملة أهلها حرام، فحل لك أن تأخذ القوت من الحرام من حيث كان»(٢٦) .

فهذا هو الرجل الثانى الذي لقب بلقب الصوفى بداية الأمر .

وأما الثالث فلقد ذكرناه فيما مر، وهو كوفي أيضا، ولكنه من العجائب فهو وإن لم يكن متهما بالتشيع متهم بالزندقة والدهرية كما ذكر الحاج معصوم علي :

كان يلبس لبـاسـا طويـلا من الصـوف كفعـل الـرهبـان، ويرى أنه كان يقول

---

(٢٣) تاريخ التصوف فى الاسلام للدكتور قاسم غنى ترجمة عربية ص٦٤، ٦٥ .
(٢٤) الأنساب للسمعانى نقلا عن الصلة بين التصوف والتشيع ص٢٩٣ .
(٢٥) الصلة بين التصوف والتشيع ج١ ص٢٩٣ .
(٢٦) التنبيه والردّ للملطى تحقيق محمد زاهد الكوثرى ص١، ط مصر ١٣٦٠هـ.

بالحلول والاتحاد مثل النصارى، غير أن النصارى أضافوا الحلول والاتحاد إلى عيسى عليه السلام وأضافهما هو إلى نفسه، وكان مترددا بين هاتين الدعويين، ولم يعلم على أيهما استقر في النهاية ـ ونقل عن كتاب أصول الديانات أنه ـ: كان أمويا وجبريا في الظاهر وباطنيا ودهريا في الباطن، وكان مراده من وضع هذا المذهب أن يثير الاضطراب في الإسلام(٢٧).

ومن الغرائب أن شخصا آخر وهو ذو النون المصرى الذي يقال عنه: «انه أول من عرف التوحيد بالمعنى الصوفى»(٢٨).

وهو: «رأس هذه الطائفة، فالكل قد أخذ عنه وانتسب إليه، وقد كان المشائخ قبله ولكنه أول من فسر الاشادات الصوفية وتكلم في هذا الطريق(٢٩).

وأنه: «هو أول من تكلم في بلده في ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية»(٣٠).

كما أثر عنه بأنه «أول من وضع تعريفات للوجد والسماع»(٣١).

وعلى ذلك قال بحق، الكاتب الانجليزى المشهور عن الصوفية:

«هو أحق رجال الصوفية على الاطلاق بأن يطلق عليه اسم واضع التصوف، وقد اعترف له بالفضل في هذا الميدان كتّاب التراجم المؤرخون من المسلمين»(٣٢).

فهذا هو الشخص الآخر من واضعى التصوف، وكان أيضا متهما بالزندقة والاشتغال بالسحر والطلسمات كما نقل الإمام الذهبي عن يوسف بن أحمد البغدادى أنه قال:

«كان أهل ناحيته يسمونه بالزنديق»(٣٣).

ونقل أيضا عن السلمى أنه قال:

«ذو النون أول من تكلم ببلدته في ترتيب الأحوال، ومقامات الأولياء، فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم، وهجره علماء مصر. وشاع أنه أحدث علما لم يتكلم فيه السلف، وهجروه حتى رموه بالزندقة. فقال أخوه: انهم يقولون: إنك زنديق.

(٢٧) طرائق الحقائق للحاج معصوم على ج١ ص١٠١.

(٢٨) انظر الرسالة القسيرية لأبى القاسم عبد الكريم القشيرى بتحقيق عبد الحليم محمود ط دار الكتب الحديثة ـ القاهرة.

(٢٩) نفحات الأنس للجامى ص٣٣ الطبعة الفارسية ايران.

(٣٠) النجوم الزاهرة للتغرى البردى الأتابكى ج٢ ص٣٢٠ ط وزارة الثقافة مصر.

(٣١) الرسالة القشيرية تحقيق عبد الحليم محمود ط القاهرة.

(٣٢) فى التصوف الاسلامى وتاريخه لينكلسون ترجمة أبى العلاء العفيفى ص٧ ط القاهرة.

(٣٣) انظر سير أعلام النبلاء للذهبى ج١١ ص٥٣٣.

فقال :

ومـــالى سوى الإطـراق والصمت حيلة   ووضعى كفي تحت خدى وتـذكـارى»[٣٤]

وقال الإمام الذهبي :

«وقـل ما روى الحـديث ولا كان يتقنـه ، وقـال الـدارقطنى : روى عن مالـك أحاديث فيها نظر»[٣٥] .

والصوفى المشهور فريد الدين العطار يكتب في ترجمته أنه «كان من الملامتية لأنه أخفى تقـواه بظهـوره في النـاس بالاستخفـاف بأمـور الشرع ، ولذلك عده المصريون زنديقا ، ولو أنهم اعترفوا له بالولاية بعد موته»[٣٦] .

وقد ذكره ابن النديم من الملمين بعلم الكيمياء ، والعارفين به والكاتبين فيه[٣٧] .

ويذكره القفطى بقوله :

«ذو النـون بن إبـراهيم الإخميمي المصرى ، من طبقة جابر بن حيان في انتحال صنـاعـة الكيمياء ، وتقلد علم الباطن والاشراف على كثير من علوم الفلسفة . وكان كثير الملازمة لبر با بلدة أخميم ، فإنها بيت من بيوت الحكمة القديمة ، وفيها التصاوير العجيبـة والمثـالات الغـريبة التي تزيد المؤمن إيمانا ، والكافر طغيانا . ويقال : انه فتح عليه علم ما فيها بطريق الولاية . وكانت له كرامات»[٣٨] .

وكذلك المسعودى يذكر أنه «جمع معلوماته عن ذي النون من أهل إخميم عندما زار هذا البلد . وهو يروى عنهم أن أبا الفيض ذا النون المصرى الاخميمي الزاهد كان حكيما سلك طريقا خاصا ، واتخذ في الدين سيرة خاصة ، وكان من المعنيين بحل رموز الـبرابى في أخميم ، كثـير التطـواف بها . وأنـه وفق إلى حل كثـير من الصور والنقوش المرسومة عليها ، ثم يذكر المسعودى ترجمة لطائفة من هذه النقوش التي ادعى ذو النون أنه قرأها وحلها»[٣٩] .

ثم وبعـد ذكـر هذه العبـارات كتب نيكلسون ما خلاصته : «أن ذا النون كان كثـير العكـوف على دراسـة النقـوش البصرية المكتوبة على المعابد وحل رموزها ، كما

(٣٤) أيضا ص٥٣٤ .

(٣٥) أيضا ص٥٣٣ .

(٣٦) تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص٦٩ ط باكستان ، أيضا فى التصوف الاسلامى وتاريخه لنيكلسون ص٩ .

(٣٧) انظر ابن النديم ص٥٠٣ ، ٥٠٤ .

(٣٨) اخبار العلماء بأخبار الحكماء ص١٨٥ المنقول من كتاب فى التصوف الاسلامى وتاريخه لنيكلسون ص٩ .

(٣٩) انظر فى التصوقف الاسلامى وتاريخه نقلا عن مروج الذهب .

كانت مصر القديمة في نظر المسلمين مهد علوم الكيمياء والسحر وعلوم الاسرار، وكان هو من أصحاب الكيمياء والسحر مع أن الإسلام حرم السحر، ولذلك ستره بلباس الكرامات، ومن هنا بدأ تأثير السحر في التصوف، ويؤيد ذلك استخدام ذى النون الأدعية السحرية واستعماله البخور لذلك كما ذكره القشيري في رسالته»(٤٠).

فهذا هو الرجل الآخر مع الثلاثة الأول الذين يقال عنهم بأنهم أول من لقبوا بهذا اللقب، ووصفوا بهذا الوصف، وعرفوا بهذا الرسم أو عرّفوا هذا الطريق إلى الناس باديء ذى بدء .

سلاسل التصوف

ومن شواهد تأثر التصوف بالتشيع وعلائمها أن سلاسل التصوف كلها ماعدا النادر القليل منها تنتهى إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه دون سائر أصحاب رسول الله ﷺ، وفي طرق إسنادها إلى علي أسماء أئمة الشيعة المعصومين حسب زعمهم من أولاد علي رضى الله عنه دون غيرهم، وأن رؤساء هذه العصابة يذكر لهم اتصال وثيق، وصلات وطيدة مع أئمة القوم كما يذكر في تراجمهم وسيرهم وأحوالهم، اضافة إلى ذلك أن الخرقة الصوفية لا يبدأ ذكرها أيضا الا من علي رضى الله عنه أيضا .

فإن علي بن أبي طالب رضى الله عنه مع كونه من سادة أصحاب رسول الله ﷺ وأشرافهم، ومن العشرة المبشرين بالجنة، ورابع الأربعة من الخلفاء الراشدين الذين خلفوا رسول الله ﷺ بعد وفاته لقيادة هذه الأمة وتسيير أمورها ولكنه لم يكن أزهد من أبي بكر الصديق رضى الله عنه، ولا من عمر الفاروق رضى الله عنه «أبي بكر الصديق السابق بالتصديق الملقب بالعتيق، المؤيد من الله بالتوفيق، صاحب النبي ﷺ في الحضر والأسفار، ورفيقه الشفيق في جميع الأطوار، وضجيعه بعد الموت في الروضة المحفوفة بالأنوار، المخصوص في الذكر الحكيم بمفخر فاق به كافة الأخيار، وعامة الأبرار، وبقى له شرفه على كرور الأعصار، ولم يسم إلى ذروته همم أولى الأيدى والأبصار، حيث يقول علم الأسرار : ثاني اثنين إذ هما في الغار، إلى غير ذلك من الآيات والآثار، ومشهور النصوص الواردة فيه والأخبار، التي غدت كالشمس في الانتشار، وفضل كل من فاضل، وفاق كل من جادل وناضل، ونزل فيه : لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، توحد الصديق، في الأحوال

(٤٠) المصدر السابق ص٩ وما بعد.

بالتحقيق، واختار الاختيار من الله دعاه إلى الطريق، فتجرد من الأموال، والأغراض، وانتصب في قيام التوحيد للتهدف والأغراض، صار للمحن هدفا، وللبلاء غرضا، وزهد فيما عزله جوهرا كان أو عرضا»(٤١).

« ومات ولم يترك دينارا ولا درهما »(٤٢).

« وكفن في ثوبين مستعملين قديمين »(٤٣).

وقال في آخر لحظاته من الحياة موصيا أهله وورثته :

«أما إنا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارا ولا درهما ولكنا قد أكلنا من جريش طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا وليس عندنا من فيء المسلمين قليل ولا كثير إلا هذا العبد الحبشى، وهذا البعير الناضح، وجرد هذه القطيفة، فإذا مت فابعثى بهن إلى عمر وابرئى منهن. ففعلت.

فلما جاء الرسول عمر بكى حتى جعلت دموعه تسيل في الأرض ويقول : رحم الله أبابكر، لقد أتعب من بعده»(٤٤).

وعمر الفاروق رضى الله عنه «ذو المقام الثابت المأنوق، اعلن الله تعالى به دعوة الصادق المصدوق، وفرق به بين الفصل والهزل، وأيد بما قواه به من لوامع الطول، ومهد له من منائح الفضل شواهد التوحيد، وبدد به مواد التنديد، فظهرت الدعوة، ورسخت الكلمة، فجمع الله تعالى بما منحه من الصولة، ما نشأت لهم من الدولة، فعلت بالتوحيد أصواتهم بعد تخافت، وتثبتوا في أحوالهم بعد تهافت، غلب كيد المشركين بما ألزم قلبه من حق اليقين، لا يلتفت إلى كثرتهم وتواطيهم، ولا يكترث لممانعتهم وتعاطيهم، اتكالا على من هو منشئهم وكافيهم، واستنصارا بمن هو قاصمهم وشافيهم، محتملا لما احتمل الرسول، ومصطبرا على المكاره لما يؤمل من الوصول، ومفارقا لمن اختار التنعم والترفيه، ومعانقا لما كلف من التشمر والتوجيه، المخصوص من بين الصحابة بالمعارضة للمبطلين، والموافقة في الأحكام لرب العالمين، السكينة تنطق على لسانه، والحق يجرى الحكمة عن بيانه، كان للحق مائلا، وبالحق صائلا، وللأثقال حاملا، ولم يخف دون الله طائلا»(٤٥).

و : «كان بين كتفيه أربع رقاع، وازاره مرقوع بأدم، وخطب على المنبر وعليه

---

(٤١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للأصفهانى ص٢٨، ٢٩ ط دار الكتاب العربى بيروت.

(٤٢) طبقات ابن سعد ج٣ ص١٩٥.

(٤٣) أيضا.

(٤٤) أيضا ص١٩٦.

(٤٥) حلية الأولياء للأصفهانى ج١ ص٣٨.

ازار فيه اثنى عشر رقعة، وأنفق في حجته ستة عشر دينارا، وقال لابنه : قد أسرفنا .

وكان لا يستظل بشيء غير أنه كان يلقى كساءه على الشجر ويستظل تحته، وليس له خيمة ولا فسطاط»(٤٦).

وقال في وصيته التي وصى بها ابنه في آخر لحظة من عمره، وقد استسلف مالا من بيت مال المسلمين :

«بع فيها أموال عمر، فإن وفت والا فسل بنى عدى، وان وفت والا فسل قريشا ولا تعدهم»(٤٧).

وإلى ذلك أشار شيخ الاسلام ابن تيمية فى منهاجه ردّا على الشيعة الذين قالوا: ان عليا كان أزهد أصحاب رسول ﷺ، فقال:

«أزهد الناس بعد رسول الله الزهد الشرعى أبوبكر وعمر، وذلك أن أبا بكر كان له مال يكسبه فأنفقه كله فى سبيل الله. . . ولقد تلا أبا بكر عمر فى هذا الزهد، وكان فوق على فى ذلك يعنى فى اعراضه عن المال واللذات.

وأما على رضى الله عنه فتوسع فى هذا المال من حله، ومات عن أربع زوجات وتسعة عشر أم ولداً سوى الخدم، وتوفى عن أربعة وعشرين ولدا من ذكر وأنثى، وترك لهم من العقار والضياع ما كانوا به من أغنياء قومهم ومياسيرهم، هذا أمر مشهور لا يقدر على انكاره من له أقلّ علم بالأخبار. . . فصح بالبرهان الضرورى أن أبا بكر رضى الله عنه أزهد من جميع الصحابة رضى الله عنهم، ثم عمر»(٤٨).

هذا وكان فى أصحاب رسول الله زهاد آخرون ولكن المتصوفة لم ينهوا سلسلة سندهم إلّا إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه مثل الشيعة الذين يجعلونه أول إمام لهم. كما نقل الهجويرى عن الجنيد أنه قال:

«شيخنا فى الأصول والبلاء على المرتضى، أى أن على بن أبى طالب هو إمام هذه الطريقة فى العلم والمعاملة، فأهل الطريقة يطلقون على علم الطريقة اسم الأصول، ويسمون تحمل البلاء فيها بالمعاملات»(٤٩).

وهو الذى نقل عنه العطار أنه قال:

«لقد وهبه الله تعالى من العلم والحكمة والكرامة، وماذا كنا نصنع لو لم ينطق المرتضى بهذا القول على سبيل الكرامة»(٥٠).

---

(٤٦) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص١٣٤، ١٣٥.

(٤٧) طبقات ابن سعد ج٣ ص٣٥٨.

(٤٨) منهاج السنة النبوية لشيخ الاسلام ابن تيمية ج٤ ص١٢٩، ١٣٠، ١٣١.

(٤٩) كشف المحجوب للهجويرى ترجمة عربية للدكتورة اسعاد عبد الهادى ص٢٧٤ ط بيروت ١٩٨٠م.

(٥٠) انظر تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص ١٨٥ ط باكستان.

ويقول الطوسى أبو نصر السراج :

«ولأمير المؤمنين علي رضى الله عنه خصوصية من بين جميع أصحاب رسول الله ﷺ بمعانى جليلة، واشارات لطيفة، وألفاظ مفردة، وعبارة وبيان للتوحيد والمعرفة والايمان والعلم، وغير ذلك، وخصال شريفة تعلق وتخلق به أهل الحقائق من الصوفية»(٥١).

«وأما علي بن أبى طالب كرم الله وجهه فذاك مدينة العلم، وأول آخذ لبيعة الطريق - طريق الأولياء - وأول ملقن بالذكر والسر من الرسول ﷺ»(٥٢).

لأن جبريل عليه السلام نزل إلى رسول الله ﷺ : «أولا بالشريعة، فلما تقررت ظواهر الشريعة واستقرت نزل إليه بالحقيقة المقصودة والحكمة المرجوة من أعمال الشريعة وهى الايمان والاحسان فخص رسول الله ﷺ بباطن الشريعة بعض أصحابه دون البعض.

وكان أول من أظهر علم القوم وتكلم فيه سيدنا على كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ»(٥٣).

فان عليا رضى الله عنه حسب كلام المتصوفة : «من أصحاب العلم وممن يعلمون من الله ما لم يعلمه غيره»(٥٤).

ولا جبرائيل وميكائيل لأن رسول الله ﷺ «لما لقن علي بن أبى طالب رضى الله عنه، وخلع عليه ذلك صار يقول :

عندى من العلم الذى أسرّه إلىّ رسول الله ﷺ ما ليس عند جبريل ولا ميكائيل»(٥٥).

وعلى ذلك نقل الطوسى عن الوجيهى أنه قال :

سمعت أبا علي الروذبارى يقول : سمعت جنيدا رحمه الله يقول :

رضوان الله على أمير المؤمنين علىّ، رضى الله عنه، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معانى كثيرة، ذاك امرؤ أعطى علم اللّدنى، والعلم اللّدنى هو العلم الذى خصّ به الخضر عليه السلام، قال الله تعالى : ﴿وعلّمناه من لدنّا علما﴾(٥٦).

(٥١) انظر كتاب اللمع للطوسى ص١٧٩.

(٥٢) جهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف للمنوفى الحسينى ج١ ص١٢٢.

(٥٣) أيضا ص١٥٩.

(٥٤) الفتوحات المكية لابن عربى ج١ ص٢٦٠.

(٥٥) درر الغواص للشعرانى ص٧٣ بهامش الابريز للدباغ ط مصر.

(٥٦) كتاب اللمع للطوسى ص١٧٩.

ورسـول الله ﷺ جعله بمنـزلـة هارون من موسى مع الفضل العظيم لأبى بكر «لم يشرك الحبيب الرسول المقرب الخليل فى مقام الخلّة كما صلح أن يشرك معه فى مقام الأخوة عليا كرم الله وجهه فقال: على منى بمنزلة هارون من موسى»(٥٧).

وكان له مقام ومنزلة عند الصوفية إلى أن نقل الشعرانى عن أحد المتصوفين أنه قال:

«ان على بن أبى طالب رضى الله عنـه رفـع كما رفـع عيسى عليـه السـلام، وسينزل كما ينزل عيسى عليه السلام - ثم يقول الشعرانى: قلت: وبذلك قال سيدى على الخواص رضى الله عنه فسمعته يقول:

ان نوحـا عليـه السـلام أبقى من السفينـة لوحـا على اسم على بن أبى طالب رضى الله عنه يرفع عليه إلى السماء فلم يزل محفوظا فى صيانة القدرة حتى رفع على بن أبى طالب رضى الله عنه»(٥٨).

فهذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه ومكانته، ومنزلته، وشأنه، وقد نقل باحث شيعى عن جلال الـدين الـرومى الصوفى الفارسى المشهور أنه قال فى أبياته ما تدلّ على رؤيتهم إلى على وعقيدتهم فيه، فيقول:

«منـذ كانـت صورة تركـيـب الـعـالم كان علىّ
منـذ نقـشـت الأرض وكـان الـزمـان كان علىّ
ذلـك الفـاتـح الـذى انتزع باب خيبر بحملة واحدة كان علىّ
كلما تأمـلت فى الآفـاق ونظـرت
أيـقـنـت بأنـه فى المـوجـودات كان علىّ
ان من كان هو الـوجـود، ولـولاه
لسـرى الـعـدم فى الـعـالم المـوجـود (إيـاه) كان علىّ
ان سر الـعـالمين الظـاهـر والـبـاطـن
الـذى بدا فى شمس تبريـز كان علّى»(٥٩).

وهـذا الغلو فى على بن أبى طالب رضى الله عنـه عنـدما يقارن بالغلو الشيعى فيه، ليس بأقلّ منه فى صورة من الصور.

وإليـه تنتسب سلاسـل التصـوف كلهـا كما قال محمد معصوم شيرازى الملقب بمعصوم على شاه:

(٥٧) الفتوحات المكية لابن عربى ج٣ ص٣١٥.
(٥٨) طبقات الشعرانى ج٢ ص٤٤.
(٥٩) غزليات شمس تبريزى ط طهران المنقول من كتاب الصلة بين التصوف والتشيع ص ٨٤، ٨٥.

«لابـد لكـل سلسلة من سلاسـل التصوف من الأزل إلى الأبد، ومن آدم إلى انقراض الدنيا أن تكون متصلة بسيد العالمين وأمير المؤمنين»(٦٠).

لأنه «أزهد الصحابة عند المتصوفة»(٦١).

كما هو «رأس الفتوة وقطبها»(٦٢).

فأول ولىّ عنـد المتصـوفـة هو على بن أبى طالب رضى الله عنـه، ومنـه انتقل الـولايـة إلى غيره من الأوليـاء كما أنّـه أول إمـام عنـد الشيعة، وتسلسلت منه فورثها غيره، وكذلك الفتوة والقطبية، وهو الذى ألبس خرقته الحسن البصرى، وهذه الخرقة التى يلبسها المتصوفة خلفاءهم وورثتهم(٦٣).

وينصّ على تشيع هذا ابن خلدون فى مقدمته حيث يقول عند ذكر الصوفية:

«إنهم لما أسنـدوا لبـاس خرقة التصوف ليجعلوه أصلا لطريقتهم وتخيّلهم رفعوه إلى علّى رضى الله عنه وهو من هذا المعنى أيضا، وإلاّ فعلىّ رضى الله عنه لم يختصّ من بين الصحابة بتخلية ولا طريقة فى اللباس ولا الحال، بل كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهـما أزهـد النـاس بعـد رسـول الله ﷺ وأكثرهم عبادة، ولم يختصّ أحد منهم فى الـدين بشىء يؤثـر عنه فى الخصوص، بل كان الصحابة كلهم أسوة فى الدين والزهد والمجاهدة، يشهد لذلك من كلام هؤلاء المتصوفة فى أمر الفاطمى وما شحنوا كتبهم فى ذلـك مما ليس لسلف المتصـوفـة فيـه كلام بنفى أو اثبات، وانما هو مأخوذ من كلام الشيعة والرافضة ومذاهبهم فى كتبهم والله يهدى إلى الحق»(٦٤).

وهـذا اضـافـة إلى أن هذه الخـرقـة ونسبتهـا إلى علىّ، وروايـة لبس الحسن البصرى كلها باطل، لا أصل له، لأنه «لم يثبت لقاء الحسن مع على بن أبى طالب رضى الله عنـه على القـول الصحيـح، لأن عليـا رضى الله عنه انتقل من المدينة إلى الكوفة والحسن صغيرا»(٦٥).

---

(٦٠) انظر طرائق الحقائق لمعصوم على شاه ج١ ص٢٥١.

(٦١) انظر قوت القلوب لأبى طالب المكى ج١ ص٢٦٧.

(٦٢) آئـين جوانمـردى مقـدمـة هنـرى كاربـين ص٨، أيضا فتوت نامه لعبد الرزاق كاشانى ص٢٩ ط طهران ١٣٦٣ شمسى ترجمة فارسيـة احسـان نراقى، أيضـا طبقـات الشعـرانى ج٢ ص٩٢، أيضا جامع الأصول فى الأولياء للكمشخانوى ص٧.

(٦٣) انظر عوارف المعـارف للسهـروردى ص٩٨، أيضـا الـرسالة القشيرية ج٢ ص٧٤٧، أيضا فوائح الجمال لنجم الدين الكبرى ص٢٨٢، أيضا الأنوار القدسية للشعرانى ص٤٩.

(٦٤) مقدمة ابن خلدون ص٤٧٣.

(٦٥) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر، والتذكرة للذهبى، الرسائل والمسائل لابن تيمية، كذلك التصوف لماسينيون.

وعلى كل فإن الصوفية ينهون سند لبس الخرقة إلى على رضى الله عنه، كما ينهون إليه سلاسلهم.

ولا يقتصرون على علىّ بن أبى طالب وحده، بل يقولون مثل ما يقوله الشيعة تماما: «وثامن الفتيان بعد النبوة والرسالة على بن أبى طالب كرم الله وجهه حيث أسلم صبيا، وجاهد فى سبيل الله مراهقا، وبوّأه الله قطبانية الأولياء رجلا وكهلا.

وعنه أخذ الفتوة ابناه الحسن والحسين وهى أعلا مقامات الولاية عد القطبانية التى هى منها والصديقية التى هى كمالها.

ومن دلائل فتوة الحسن رضى الله عنه أن آثر الخلافة الباطنة على الخلافة الظاهرة، وتنازل عن الظاهرة حقنا لدماء المسلمين.

ومن دلائل فتوة الحسين أنه الشهيد الأعظم فى سبيل الله وفى سبيل الأمانة.

ومن الخصائص التى خصّ الله تعالى بها عليا كرم الله وجهه أنه إذا كان الرسول مدينة العلم فعلىّ بابها، وان كان للفروسية أو الولاية فتيان فهو فتاهما الأول.

فعلى بن أبى طالب كرّم الله وجهه أول فتيان هذه الأمة وفتى أوليائها، وحسبه فى ذلك أن أراد اقتداء الرسول بنفسه»(٦٦).

ويقول أيضا:

«ان على بن أبى طالب أخذ البيعة الخاصة بطريق الله عن رسول الله ﷺ، ولقن بها ابنه الحسن، ثم الحسين»(٦٧).

وكان الصوفى المشهور أبو العباس المرسى تلميذ الشاذلى يقول:

«طريقتنا هذه لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة، بل واحد عن واحد إلى الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه، وهو أول الأقطاب»(٦٨).

وقالوا:

«وكان من أوائل أهل طريق الله بعد الصحابة على بن الحسين زين العابدين، وابنه محمد بن على الباقر، وابنه جعفر بن محمد الصادق، وذلك بعد على والحسن والحسين رضى الله عنهم جميعا»(٦٩).

ويقول الكلاباذى فى الباب الثانى من تعرفه:

---

(٦٦) جمهرة الأولياء لأبى الفيض المنوفى ج١ ص٨٩.
(٦٧) أيضا ص٨٩ و١٢٢.
(٦٨) طبقات الشعرانى ج٢ ص١٤.
(٦٩) جمهرة الأولياء ج١ ص١٦٣.

«ممن نطق بعلومهم، وعبر عن مواجيدهم، ونشر مقاماتهم، ووصف أحوالهم قولا وفعلا بعد الصحابة رضوان الله عليهم: على بن الحسين زين العابدين.

وابنه محمد بن على الباقر.

وابنه جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنهم»(٧٠).

فانظر الترتيب، وهذا نفس ترتيب الشيعة لأئمتهم، حيث يعدّون الامام الأول والثانى والثالث عليا وابنه الحسن والحسين، والرابع والخامس والسادس: زين العابدين، ومحمد الباقر، وجعفر بن محمد الباقر.

ثم الامام السابع والثامن عندهم: موسى بن جعفر الملقب بالكاظم، وعلى بن موسى الكاظم الملقب بالرضا، من الأئمة الاثنى عشر.

وها هو الشعرانى أيضا يعدّهم أئمة، واثنى عشر أيضا، عندما يذكر من بين الصوفية وأولياء الله موسى بن جعفر، فيقول:

«ومنهم موسى الكاظم رضى الله عنه أحد الأئمة الاثنى عشر، وهو موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب. . . وكان يكنّى بالعبد الصالح لكثرة عبادته واجتهاده وقيامه بالليل، وكان اذا بلغه عن أحد أنه يؤذيه يبعث إليه بالمال»(٧١).

وأما على بن موسى الرضا فيقولون عنه: «ان شيخ مشائخ الصوفية معروف الكرخى أسلم على يديه»(٧٢).

ويكتب القشيرى عنه: «أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخى كان من المشائخ الكبار، مجاب الدعوة، يستشفى بقبره، يقول البغداديون: قبر معروف ترياق مجرب، وهو من موالى على بن موسى الرضا رضى الله عنه»(٧٣).

وزاد السلمى فى طبقاته، والجامى فى نفحاته أنه كان من حجبه، فيقول:

«معروف بن فيروز، ويقال: معروف بن على، ويلقب بالزاهد، وهو من أجلة المشائخ وقدمائهم، والمعروفين بالورع والفتوة. كان أستاذ سرى السقطى، وصحب داؤد الطائى.

وكان معروف أسلم على يد على بن موسى الرضا، وكان بعد اسلامه يحجبه،

---

(٧٠) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ص٣٦.

(٧١) طبقات الشعرانى ج١ ص٣٧.

(٧٢) تذكرة العطار ص١٥٠ ط باكستان.

(٧٣) الرسالة القشيرية ج١ ص٦٥ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ط القاهرة، أيضا طبقات الشعرانى ج١ ص٧١.

فازدحم الشيعة يوما على باب على بن موسى، فكسروا أضلع معروف، فمات، ودفن ببغداد، وقبره ببغداد ظاهر، ويتبرك الناس بزيارته»(٧٤).

والجدير بالذكر أن معروف الكرخى أستاذ السرى السقطى، وخال وأستاذ لسيد الطائفة جنيد البغدادى، ولذلك «يروى الجنيد عن السرى السقطى، وهو عن معروف الكرخى، وهو عن على بن موسى الرضا، عن أبيه موسى الكاظم، عن أبيه محمد الباقر، عن أبيه على زين العابدين، عن أبيه الحسين بن على بن أبى طالب، عن على بن أبى طالب»(٧٥).

وكتب عنه شيخ الأزهر السابق والصوفى المعاصر الدكتور عبد الحليم محمود عن الرضا:

«له كرامات كثيرة: منها أنه قال لرجل صحيح سليم: استعد لما لابدّ منه، فمات بعد ثلاثة أيام، وروى الحاكم أن أبا حبيب قال:

رأيت المصطفى عليه الصلاة والسلام فى النوم، فى المنزل الذى ينزله الحاج ببلدنا، فوجدت عنده طبقا من خوص فيه تمر، فناولنى ثمانى عشرة تمرة، وبعد عشرين يوما قدم على الرضا من المدينة ونزل ذلك المنزل، وفزع الناس للسلام عليه، ومضيت نحوه فاذا هو جالس بالموضع الذى رأيت المصطفى جالسا فيه، وبين يديه طبق فيه تمر صيحانى، فناولنى قبضة فاذا عدتها بعدد ما ناولنى المصطفى، فقلت: زدنى. فقال: لو زادك رسول الله لزدناك»(٧٦).

ومن الطرائف أن ذكر الثمانية هؤلاء من أئمة الشيعة الاثنى عشر بالتسلسل الشيعى فى كتب المتصوفة الكثيرين مثل ما يذكرون عن الرفاعى أحمد الكبير أنه: «أخذ العهد والطريق من يد خاله شيخ الشيوخ صاحب الفتح الصمدانى سيدنا منصور البطائحي الرباني وهو لبسها من خاله سيدنا الشيخ أبي المنصور الطيب وهو لبسها من ابن عمه الشيخ أبي سعيد يحيي البخاري الأنصاري وهو لبسها من الشيخ ابي الترمذي وهو لبسها من الشيخ أبي القاسم السندوسي الكبير وهو لبسها من الشيخ أبي محمد دويم البغدادي وهو لبسها من الشيخ الامام تاج العارفين ابي القاسم الجنيد البغدادي وهو لبسها من خاله الشيخ سري السقطي وهو لبسها من الشيخ معروف الكرخي وهو لبسها من امام الزمان وحجة أهل العرفان الإمام ابن الامام علي الرضي وهو لبسها من أبيه نور حدقة العناية والامامة ونور حديقة الولاية

(٧٤) طبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى ترتيب أحمد الشرباصى ط مطابع الشعب، أيضا نفحات الأنس للجامى ص٣٩ الطبعة الفارسية.

(٧٥) طبقات الأولياء لابن الملقن المتوفى ٨٠٤هـ ص٤٩٣ ط مكتبة الخانجى القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ.

(٧٦) انظر الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيرى تعليق رقم ٣ ص٦٥ لعبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف.

والكرامة ملجأ الأولياء الأعاظم أبى الحسن موسى الكاظم وهو لبسها من أبيه صاحب القدم السابق الامام جعفر الصادق وهو لبسها من أبيه صاحب السر الطاهر الامام محمد الباقر وهو لبسها من أبيه كهف المحتاجين وإمام الافراد أبي محمد الامام زين العابدين علي السجاد وهو لبسها من أبيه أحد سبطي رسول الله شهيد كربلاء الامام الحسين أبي عبد الله وهو لبسها من أبيه إمام الأئمة ومجن هذه الأمة صاحب القدر العظيم والشرف الجلي أمير المؤمنين الامام أبي الحسن علي رضى الله عنه وعنهم أجمعين»(٧٧).

وذكر الرفاعى نفسه بصورة أخرى، ويقول:

«أكمل التوبة الفورية فى مقام البضعية، من حيث التحلي بحلوة الطينة الذاتية الأحمدية، إنما هي توبة السيدة البتول العذراء، سيدتنا وقرة أعيننا فاطمة أم السبطين الزهراء سلام الله ورضوانه عليها، وقام عنها بنوبة الجزء الأزهري بعلها المأمون المنوه على جلالة قدره وعظيم مكانته بطالعة (علي مني بمنزلة هارون من موسى) الحديث. فادرع بدرع الخلافة البضعية متحكما في مشهد الخلافة الأمرية، إصالة في مشهد الخلافة البضعية وكالة حتى لقى الله، فأدرع بمطرها النورانى السبطان السعيدان الشهيدان الحسن والحسين سلام الله وتحياته عليهما، ودارت هذه التوبة الجامعة المحمدية فى الأسباط الطاهرين سبطاً بعد سبط إلى أن صينت في مقام الكنزية المضمرة إلى ولي الله المهدي الخلق الصالح سلام الله عليه، فتلقاها عنه من مقام الألباس النواب الجامعون المحمديون، فهم إلى عهدنا هذا من بني الامام الحسين السبط شهيد كربلاء عليه وعليهم نوافح السلام والرضوان»(٧٨).

ولذلك كتب محمد معصوم شيرازى:

ان على بن أبى طالب خاتم الولاية المحمدية، فكميل بن زياد النخعى، والحسن البصرى، وأويس القرنى أخذوا عن علىّ بن أبى طالب عليه السلام.

والشقيق البلخى أخذ عن الكاظم عليه السلام.

والشيخ أبو يزيد أخذ عن جعفر الصادق.

والشيخ معروف أخذ عن الرضا، والشيخ سرى أخذ عنه، والشيخ جنيد أخذ عن السرى،

وهو ومن الغرائب أن المتصوفة يعتقدون للحسن العسكرى ابنا، كالشيعة

(٧٧) «قلادة الجواهر فى ذكر الرفاعى وأتباعه الأكابر» لمحمد أبى الهدى الرفاعى ص٣٧٥، أيضا «المنهج الموصل إلى الطريق الأنهج» لمصطفى الصاد فى مخطوط ورقة ٣٢.

(٧٨) المجالس الرفاعية لأحمد الرفاعى ص١٠٨ ط مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧١م.

الاثنى عشرية، مع اتفاق أهل السنة والمؤرخين، وشهادة الشيعة ونقيب الأشراف واخوة العسكرى وأمه بأنه لم يولد له ولد، وأثبت رواية فيه وأقوم حجة ما رواه الكلينى بنفسه، والآخرين من مؤرخى الشيعة وأعلامهم أن الحسن العسكرى لما دفن «أخذ السلطان والناس فى طلب ولده، وكثر التفتيش فى المنازل والدور، وتوقفوا عن قسمة ميراثه، ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التى توهم عليها الحمل ملازمين حتى تبيّن بطلان الحمل، فلما بطل الحمل قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر، وادعت أمه وصيته وثبت ذلك عند القاضى»(٧٩).

وذكر هذا الخبر جميع مؤرخى الشيعة ومؤلفيهم ومحدثيهم من المفيد فى الارشاد(٨٠).

والطبرسى فى اعلام الورى(٨١).

والأربلى فى كشف الغمة(٨٢).

والملا باقر المجلسى فى جلاء العيون(٨٣).

وصاحب الفصول فى الفصول المهمة(٨٤).

والعباس القمى فى منتهى الآمال(٨٥).

وقال النوبختى الشيعى المشهور فى فرقة:

«ان الحسن توفى ولم يوله أثر، ولم يعرف له ولد ظاهر، فاقتسم ميراثه أخوه جعفر وأمه»(٨٦).

لكن المتصوفة يقولون انه ولد للحسن العسكرى ولد، وهو الذى سيخرج مهديا، كعقيدة الشيعة تماما بدون أدنى تغيير، فاسمع ماذا يقولون:

«فهناك بترقب خروج المهدى عليه السلام، وهو من أولاد حسن العسكرى، ومولده عليه السلام ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام، فيكون عمره إلى وقتنا هذا، وهو سنة ثمان وخمسين وتسعمائة سبعمائةسنة وست سنين. هكذا أخبرنى الشيخ حسن العراقى

(٧٩) كتاب الحجة الكافى ص٥٠٥ ط طهران.
(٨٠) انظر ص ٣٣٩.
(٨١) انظر ص٣٧٧، ٣٧٨.
(٨٢) ج٣ ص١٩٨، ١٩٩.
(٨٣) تحت ذكر المهدى.
(٨٤) أيضا.
(٨٥) أيضا.
(٨٦) فرق الشيعة للنوبختى ص١١٨، ١١٩ ط كربلاء العراق.

المدفون فوق كوم الرئيس المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة على الامام المهدى حين اجتمع به.

ووافقه على ذلك شيخنا سيدى على الخواص رحمهما الله تعالى.

وعبارة الشيخ محيى الدين فى الباب السادس والستين وثلاثمائة من الفتوحات: واعلموا أنه لابد من خروج المهدى عليه السلام لكن لا يخرج حتى تمتلىء الأرض جورا وظلما فيملؤها قسطا وعدلا ولو لم يكن من الدنيا إلا يوم واحد طوّل الله تعالى ذلك اليوم حتى يلى ذلك الخليفة وهومن عترة رسول الله ﷺ من ولد فاطمة رضى الله عنها جده الحسين بن على بن أبى طالب، ووالده حسن العسكرى بن الامام على النقى بالنون ابن محمد التقى بالتاء ابن الامام على الرضا ابن الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام زين العابدين على بن الامام الحسين ابن الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه»(٨٧).

وكذلك الرفاعيون، حيث يعدّون الرفاعى الامام الثالث عشر بعد الثانى عشر الموهوم الذى لم يولد(٨٨).

فهذه هى عقائد المتصوفة فى على بن أبى طالب رضى الله عنه، وأئمة الشيعة من أولاده، فاليهم ينتسبون، وبمسلكهم يسلكون، وبخرافاتهم يتمسكون.

وهذا وحده كاف لبيان تأثير التشيع فى التصوف.

ونختم كلامنا فى هذا على مقولة صوفى كبير وهو أبو الظفر ظهير الدين القادرى حيث يقول: القطبية كانت للأئمة الاثنى عشر بطريق الاستقلال، ولمن بعدهم بطريق النيابة(٨٩)

---

(٨٧) انظر اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر ج٢ ص١٤٣.

(٨٨) انظر المجالس الرفاعية المقدمة للسيد خاشع الراوى الرفاعى ص٦.

(٨٩) الفتح المبين لظهير الدين القادرى ص١٨.

نُزُولُ ٱلْوَحْيِ وَإِتْيَانِ ٱلْمَلَائِكَةِ

وبعد هذا نرجع إلى أفكار الصوفية الأخرى ومعتقداتهم الخاصة بهم، لنرى التشيع المتستر الظاهر فيها، وتأثيره خفيا وجليّا ليرى الباحث والقارىء منهل التصوف ومنبعه، مصدره ومأخذه.

فان الشيعة يرون بأن النبوة لم تختم على محمد صلوات الله وسلامه عليه، حيث لم يكن وحده فى زمانه الذى كان ينزل عليه الوحى، ويأتى اليه الملك، ويكلمه الله من وراء حجاب، بل كان هناك شخص آخر فى زمانه وبعده، كان له تلك الأوصاف كلها، بل وأكثر منها.

حيث أن رسول الله محمد صلوات الله وسلامه عليه لم يكن يكلمه الله إلا وحيا، أو من وراء حجاب، أو بارسال رسول، فيوحى باذنه ما يشاء.

وأما الامام فكان ينزل عليه الوحى، ويرسل إليه رسول، ويكلمه الله ويناجيه بلا حجاب، وقد أعطى خصالا لم يسبقه إليها أحد، ثم توارثت هذه الأوصاف من خلفه بعده إلى خاتم الأئمة.

ولقد ورد فى كتب الشيعة الاثنى عشرية - لا فى كتب الاسماعيلية(٩٠) والغلاة(٩١) - وفى أصحها عندهم ما ينصّ على ذلك مثل ما ذكر الكلينى - وهو كالبخارى عند أهل السنة - فى كافيّه(٩٢) عن جعفر الباقر - الامام المعصوم السادس لدى القوم - أنه قال:

«ما جاء به عليٌّ عليه السلام آخذ به وما نهى عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمد ﷺ ولمحمد ﷺ الفضل على جميع من خلق الله عزَّ وجلَّ، المتعقب عليه في شيء من أحكامه كالمتعقب على الله وعلى رسوله والراد عليه في صغيرة أو كبيرة على حدّ الشرك بالله، كان أمير المؤمنين عليه السلام باب الله الذى لا يؤتي إلا منه، وسبيله الذي من سلك بغيره هلك، وكذلك يجري لأئمة الهدى واحداً بعد واحد، جعلهم الله أركان الأرض أن تميد بأهلها وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى، وكان أمير المؤمنين صلوات الله عليه كثيراً ما

(٩٠) حيث أن الاسماعيلية يرون النبوة مقتسمة بين محمد ﷺ، وعلى رضى الله عنه، فكان رسول الله محمد ناطقا بينما كان على بن أبى طالب رضى الله عنه صامتا، وهو الأساس والأصل. فانظر لتفصيل ذلك كتابنا (الاسماعيلية تاريخ وعقائد).

(٩١) لأنهم يعتقدون أن جبريل اشتبه عليه فنزل على محمد ﷺ بدل أن ينزل على علىّ رضى الله عنه، وطائفة منهم ترى الألوهية المتجسدة فى علىّ رضى الله عنه، لا النبوة فحسب.

(٩٢) وهو أحد الأصول الأربعة الشيعية، وصحاحهم.

يقـول : أنـا قسيم الله بين الجنـة والنار وأنا الفاروق الأكبر وأنا صاحب العصا والميسم ولقـد أقـرّت لي جميـع الملائكة والروح والرسل بمثل ما أقرّوا به لمحمد ﷺ ولقد حملت على مثل حمولته وهي حمولة الربّ وإن رسول الله ﷺ يدعى فيكسى ، وادعى فأكسى ويستنطق واستنطق فأنطق على حد منطقه ، ولقد اعطيت خصالاً ما سبقني إليها أحد قبلي علمت المنـايـا والبـلايـا ، والأنسـاب وفصل الخطاب ، فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني»[٩٣] .

ونقــل محمـد بن حسن الصفـار شيـخ الكليني وأستـاذه ، الـذى يعـدّونـه من أصحـاب إمـامهم الحـادى عشر ـ حسب زعمهم ـ روايات كثيرة فى صحيحه لاثبات نزول الـوحى على أئمتهم ، ونـزول المـلائكـة عليهم تحت عنـاوين كثـيرة فى أبـواب شتى ، منها ما رواها عن حمران بن أعين أنه قال :

«قلت لأبى عبد الله (جعفر) عليه السلام : جعلت فداك ، بلغنى أن الله تعالى قد ناجى عليا عليه السلام؟

قال : أجل ، قد كان بينهما مناجاة بالطائف نزل بينهما جبر يل»[٩٤] .

لما دعـا رسـول الله صلى الله عليـه وآله عليا يوم خيبر ، فتفل فى عينيه وقال له : إذا أنت فتحتها فقف بين الناس ، فان الله أمرنى بذلك ، قال أبو رافع : فمضى علىّ عليه السلام وأنا معه ، فلما أصبح افتتح خيبر ووقف بين الناس وأطال الوقوف ، فقال الناس :

إن عليـا عليـه السـلام ينـاجى ربه ، فلما مكث ساعة أمر بانتهاب المدينة التى فتحهـا ، قال أبـو رافـع : فأتيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقلت : ان عليا عليه السلام وقف بين الناس كما أمرته ، قال قوم منهم :

«إن الله ناجاه ، فقال : نعم يارافع ، إن الله ناجاه يوم الطائف ويوم عقبة ويوم حنين ، ويوم غسل رسول الله»[٩٥] .

ومثل هذه الروايات كثيرة لا تعدّ ولا تحصى[٩٦] .

هذا من ناحيـة ، ومن ناحيـة أخـرى يرى الشيعـة أن أئمتهم أولئك أفضل من

---

(٩٣) الأصول من الكافي ج١ ص١٩٦، ١٩٧ ط ايران .

(٩٤) بصائر الدرجات للصفار الباب السادس عشر ص٤٣٠ ط ايران .

(٩٥) أيضا ص٤٣١ .

(٩٦) وقد أشبعنا الكلام فى هذا الخصوص فى كتابنا (الشيعة والسنة) وقد صدرت له حتى اليوم أكثر من ثلاثين طبعة و(الشيعة وأهل البيت) و(الشيعة والتشيخ فرق وتاريخ) وكذلك كتابنا الجديد (بين الشيعة وأهل السنة) ، ومن أراد الاستزادة فليرجع الى تلك .

الأنبيـاء كما صرح بذلـك الكليني أن الامـامـة فوق النبـوة والرسالة والخلة حيث نقل رواية عن جعفر بن محمد الباقر أنه قال:

«ان الله اتخذ ابراهيم عبدا قبل أن يتخذه نبيا، وان الله اتخذه نبيا قبل أن يتخذه رسـولا، وان الله اتخـذه رسـولا قبـل أن يتخـذه خليـلا، وان الله اتخذه خليلا قبل أن يتخذه إماما»(٩٧).

وروى أيضا عن يوسف التمار أنه سمع جعفر بن الباقر أنه قال:

«ورب الكعبة، وربّ البنية - ثلاث مرات - لو كنت بين موسى والخضر عليهما السـلام لأخـبرتهـما أنى أعلم منهـما، ولأنبئنهـما بما ليس فى أيـديهما لأن موسى والخضر عليهما السلام أعطيا علم ما كان، ولم يعطيا علم ما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة»(٩٨).

وعنه أنه قال:

«انى لأعلم ما فى السمـوات ومـا فى الأرض، وأعلم ما فى الجنـة ومـا فى النار، وأعلم ما كان وما يكون»(٩٩).

وقد بوّب الحر العاملى صاحب موسوعة حديثية شيعية كبيرة بابا مستقلا بعنوان «الأئمـة الاثنى عشـر أفضـل من سائـر المخلوقـات من الأنبيـاء والأوصيـاء السابقين والملائكة وغيرهم، وأن الأنبياء أفضل من الملائكة».

ثم أورد تحته روايات عديدة، منها ما رواها عن جعفر أنه قال:

«ان الله خلق أولى العـزم من الـرسـل، وفضلهم بالعلم، وأورثنـا علمهم، وفضلنا عليهم فى علمهم، وعلم رسول الله (ص) ما لم يعلمهم، وعلمنا علم الرسول وعلمهم»(١٠٠).

وعلى ذلك قال الخمينى زعيم شيعة ايران اليوم فى كتابه (ولاية الفقيه) ما نصّه:

«ان من ضروريـات مذهبنـا أنـه لا ينال أحد المقامات المعنوية الروحية للأئمة

---

(٩٧) كتاب الحجة من أصول الكافى ج١ ص١٧٥ ط ايران، ومثله نقل عن أبيه أيضا.

(٩٨) الكافى فى الأصول ج١ ص٢٦١ ط ايران.

(٩٩) أيضا باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان، وأنه لا يخفى عليهم الشىء ج١ ص٢٦١ ط ايران.

(١٠٠) الفصول المهمة فى أصول الأئمة للحر العاملى ص١٥٢ ط ايران.

حتى ملك مقرب ولا نبى مرسل، كما روى عندنا بأن الأئمة كانوا أنوارا تحت ظل العرش قبل تكوين هذا العالم... وأنهم قالوا: ان لنا مع الله أحوالا لا يسعها ملك مقرب ولا نبى مرسل، وهذه المعتقدات من الأسس والأصول التى قام عليها مذهبنا»(١٠١).

فهذه هى عقائد الشيعة الاثنى عشرية فى أئمتهم بأنه يأتى إليهم جبريل، وينزل عليهم الوحى، ويكلمهم الله من وراء حجاب، ويناجيهم من دون حجاب، وأن النبوة لم تنقطع ولم تختم بمحمد صلوات الله وسلامه عليه، وأن الولاية أعظم وأفضل من النبوة والرسالة، وعلمهم بدون واسطة فصاروا يعلمون علم ما كان وما يكون، وفضلهم على الخلائق من الأنبياء والرسل.

والنصوص والروايات فى هذا الخصوص جاوزت المئات، وعليها أسست وبنيت الديانة الشيعية نتيجة مؤامرة يهودية للقضاء على الاسلام ودعوة خاتم النبيين الناطق بالوحى ﷺ.

هذا، وبعد هذا عندما نرجع إلى آراء الصوفية، وأفكارهم، عقائدهم ومعتقداتهم، كتبهم ورسائلهم، رواياتهم ومقولاتهم، تصريحاتهم وعباراتهم، نجد معظم هذه الأفكار وطابعها واضحا جليا، بل انها عين هذه الترهات والخزعبلات، مبثوثة منشورة فى كتب الأولين منهم والآخرين. وها هى النصوص:

فيقول الصوفى الكبير عبد القادر الحلبى المعروف بابن قضيب البان:

«كل ما خصّت به الأنبياء، خصّت به الأولياء»(١٠٢).

وما هى اختصاصات الأنبياء غير الوحى، ونزول الملائكة، وكلام الربّ معهم، واخبارهم عن الغيب، وكونهم معصومين عن الخطأ والزلل فى تبليغ رسالات الله(١٠٣)، التى يريد ابن البان اشراك غيرهم معهم من الصوفية؟

وهل لسائل أن يسأل: أو بعد مشاركة الغير يبقى الاختصاص اختصاصا؟

---

(١٠١) ولايت فقيه در خصوص حكومت اسلامى لنائب الامام الخمينى تحت باب ولايت تكوينى من الأصل الفارسى ص٥٨ ط طهران.

(١٠٢) المواقف الالهية لابن قضيب البان المتوفى ١٠٤٠هـ ص١٦٠ ملحق بكتاب الانسان الكامل لعبد الرحمن البدوى ط وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٦م.

(١٠٣) وسوف نفرد للعصمة كلاما فى محله إن شاء الله.

وقبل أن نتعمق فى هذا نريد أن نضع النقاط على الحروف، كى لا يتوهم المتوهم أننا نلزم القوم على ما لا يتقولونه ويعتقدونه. فنثبت من كتبهم أنفسهم، وبعباراتهم هم ما يبرهن قولنا، فيقول الشيخ الأكبر للصوفية رادّا على الغزالى:

ان الغزالى غلط فى التفريق بين نزول الملك على النبى والولىّ، مع أن النبى والولىّ كلاهما ينزل عليه الملك(١٠٤).

وقد ذكر الشعرانى أيضا بقوله:

«فإن قلت: قد ذكر الغزالى فى بعض كتبه: إن من الفرق بين تنزّل الوحى على قلب الأنبياء وتنزّله على قلوب الأولياء نزول الملك، فان الولىّ يلهم ولا ينزل عليه ملك قط، والنبى لابد له فى الوحى من نزول الملك به، فهل ذلك صحيح؟

فالجواب كما قاله الشيخ فى الباب الرابع والستين وثلاثمائة: ان ذلك غلط...
قال الشيخ: وسبب غلط الغزالى وغيره فى منع تنزل الملك على الولىّ عدم الذوق، وظنهم أنهم قد عموا بسلوكهم جميع المقامات، فلما ظنوا ذلك بأنفسهم ولم يروا ملك الالهام نزل عليهم أنكروه، وقالوا: ذلك خاص بالأنبياء، فذوقهم صحيح وحكمهم باطل، مع أن هؤلاء الذين منعوا قائلون بأن زيادة الثقة مقبولة، وأهل الله كلهم ثقات.

قال: ولو أن أبا حامد وغيره اجتمعوا فى زمانهم بكامل من أهل الله وأخبرهم بتنزل الملك على الولىّ لقبلوا ذلك ولم ينكروه.

قال: وقد نزل علينا ملك فلله الحمد»(١٠٥).

ولا ندرى كيف يرد على الغزالى وهو القائل:

«ومن أول الطريق تبتدىء المكاشفات والمشاهدات، حتى انهم فى يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء، ويسمعون منهم أصواتا، ويقتبسون منهم فوائد.

ثم يترقى الحال من مشاهدة الصور والأمثال إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق»(١٠٦).

---

(١٠٤) الابريز لعبد العزيز الدباغ ص١٥١ ط مصر.
(١٠٥) اليواقيت والجواهر فى بيان عقائد الأكابر للشعرانى ج٢ ص٨٥ ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة.
(١٠٦) المنقذ من الضلال للغزالى ص١٢٧ المنشور فى مجموعة مؤلفات الدكتور عبد الحليم محمود ط دار الكتاب =

هذا ويقـول ابن عربى فى كتابـه (الجـواب المستقيم عما سأل عنه الـترمـذى الحكيم) زيادة على نزول الملك على الولىّ :

«وليس الأمـر كذلـك ، فقـد رآه الأوليـاء فى حال حديثـه لهم ، فكـل قال ما شاهد . . . ومشهده صحيح ، وهذا كله اذا كان الحديث من الملك والروح»[١٠٧] .

يعنى أن الـولىّ لا ينـزل عليـه الملك ويحـدثـه ويشاهده الولىّ ويراه وقت نزوله عليه ، وكلامه به .

وبمثـل ذلـك يقـول صوفى قديم آخـر نجم الـدين الكبر ى المتوفى ٦١٨هـ أن الملائكة تنزل على الصوفية[١٠٨] .

وبمثل ذلك قال الدباغ ، وبعبارة أكثر وضوحا من هذه العبارات :

«وأمـا ما ذكـروه فى الفـرق بين النبى والـولىّ من نزول الملك وعـدمـه فليس بصحيح ، لأن المفتوح عليه سواء كان وليا أو نبيا لابد أن يشاهد الملائكة بذواتهم على ما هم عليه ، ويخاطبهم ويخاطبونه ، وكل من قال : ان الولىّ لا يشاهد الملك ولا يكلمه فذاك دليل على أنه غير مفتوح عليه»[١٠٩] .

ونقل النفزى الرندى عن بعض المشائخ أنه قال :

«إن الملائكة تزورنى فآنس بها ، وتسلم علىّ فأسمع تسليمها»[١١٠] .

وليس عامة الملائكة فحسب ، بل جبر يل أيضا كما ينص على ذلك الشعرانى ناقلا عن الشيخ عبد الغفار القوصى أنه قال فى كتابه المسمّى بالوحيد :

«أنّ الشيخ تاج الدين بن شعبان كان إذا سأله إنسان في حاجة يقول له : إصبر حتى يجىء جبر يل»[١١١] .

= اللبنانى بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٩م . أيضا المنقذ من الضلال ص٥٠ ط بنجاب الباكستان .

(١٠٧) الجـواب المستقيم لابن عربى مخطوط ورقـة ب ٢٤٦ المنـدرج فى كتـاب ختم الأولياء للحكيم الترمذى ص٢٢١ ط المطبعة الكاثوليكية بيروت بتحقيق عثمان اسماعيل يحيى .

(١٠٨) انظر فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبر ى ص١٠ .

(١٠٩) الابريز للدباغ ص١٥١ .

(١١٠) غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ج١ ص٢٦٢ .

(١١١) الأخلاق المتبولية للشعرانى بتحقيق الدكتور منيع عبد الحليم محمود ج١ ص٤٥٤ ط مطبعة حسان القاهرة .

وبذلك يقول ابن عربى أن القطب ينزل على قلبه الروح الأمين حيث يذكر فى كتابه (مواقع النجوم):

«هذا المقام (أى مقام القطب) وهذه أسراره رفع الحجاب وأشرقت أنواره
وبدا هلال التمّ يسطع نوره للناظرين وزال عنه سراره
وتنزل الروح الأمين لقلبه يوم العروبة وانقضت أوطاره»[١١٢]

وينزل عليه بالأمر والنهى كما نص على ذلك الدباغ بقوله:

«ينزل الملك على الولىّ بالأمر والنهى»[١١٣].

«وتصير قلوبهم مهبطا للوحى»[١١٤].

ويسمعون كلام الله «فاذا تحقق الصوفى بهذا الوصف صار وقته سرمدا، وشهوده مؤبدا، وسماعه متواليا متجددا يسمع كلام الله تعالى»[١١٥].

و «يتلقاهم ملائكة الله مشرقين، يحيونهم بتحايا الملكوت، ويصبون عليهم ماء النبع من ينبوع البهاء . . . ويقومون فى هياكل القربات، يناجون مع أصحاب حجرات العزة ويسمعون صوتا كصوت رعد أو دوىّ فى الدماغ»[١١٦].

ويقول السهروردى المقتول سنة ٥٨٧هـ هذا أيضا أن الأولياء، ويسميهم اخوان التجريد «يتعلمون العلم من روح القدس بلا تعلم بشرى، وتطيعهم مادة العالم العنصرى، وينذرون الكون ويخبرونه بالجزئيات الواقعة فى الماضى والمستقبل»[١١٧].

ويكتب الحكيم الترمذى فى قضية مكالمة الله مع الولىّ:

«الولاية لمن ولى الله حديثه على طريق أخرى فأوصله إليه، فله الحديث، وينفصل ذلك الحديث من الله عز وجل على لسان الحق معه السكينة تتلقاه السكينة

---

(١١٢) مواقع النجوم لابن عربى ص١٠٢ الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ مطبعة السعادة مصر.

(١١٣) الابريز للدباغ ١٥١.

(١١٤) ابراهيم المتبولى: الأخلاق المتبولية للشعرانى ص١٠٠.

(١١٥) عوارف المعارف للسهروردى ص٢٧.

(١١٦) حكمة الاشراق لشهاب الدين السهروردى ص٢٤٢-٢٤٤ نقلا عن ختم الأولياء للترمذى ص٤٦٦ وما بعد.

(١١٧) اللمحات لشهاب الدين السهروردى المورد السادس ص١٧٢، ١٧٣ المندرج فى كتاب يشتمل على رسائله الثلاثة باسم سه رساله از شيخ اشراق ط مركز تحقيقات فارسى ايران وباكستان ١٩٨٤م.

التى فى قلب المحدّث، فيقبله ويسكن اليه»[118].

ونختم هذا على ما قاله ابن العربى فى هذا الخصوص:

«اعلم يا بنىّ أن العبد المحقق الصوفى اذا صفا وتحقق صار كعبة لجميع الأسرار الالهية من كل حضرة وموقف، ويرد عليه فى كل يوم جمعة مادام فى ذلك المقام ستمائة ألف سرّ ملكوتى، واحد منها إلهى، وخمسة أسرار ربانية، ليس لها فى حضرة الكون مدخل»[119].

وليس هذا فحسب، بل يقولون بعروج المتصوفة إلى السماء، ووقوفهم بين يدى الربّ، ومناجاتهم به، وتكلمه اياهم، فيحكى ابن البان عن نفسه:

«أوقفنى الحق على بساط الاسراء... وارتقيت إلى السماء الأولى... ثم ارتقينا إلى السماء الثانية... ثم انتهينا إلى السماء السابعة... وفيها ملك على كرسى من نور... وفى هذه السماء رضوان خازن الجنان، وأجمل الملائكة من جنده، وفيها اسرافيل رئيس عالم الجبروت، وهو الذى بشرنى بالقرب والمنزلة الكريمة عند ربى، وبالسعادة فى الآخرة والشفاعة فى أمة محمد (ص)، وفى هذه السماء رأينا ابراهيم الخليل مسندا إلى البيت المعمور... ثم انتهينا إلى سبعين حجابا آخر... حتى انتهيت إلى آخر حجاب هناك، واذا بكرسى من اللؤلؤ منصبة قوائمه من الجوهر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، فأخذ آخذ بيدى وأجلسنى عليه، ثم نزّل علىّ شىء ودخل جوفى من حيث لا أعلم، فقال لى شيئا فى قلبى. ها قد أكرمك مولاك بالسكينة الربانية. فلما أحسّ باطنى بها سكن كل جارحة فىّ. فكأنى لم أر أشياء ولم يهلنى شىء.

ثم نوديت من مكان قريب. وذلك من جهاتى الستّ: ياحبيبى ومطلوبى، السلام عليك، فغمضت عينىّ، وكنت أسمع بقلبى ذلك الصوت حتى أظنه من جوارحى لقربه منى، ثم نوديت: انظر علىّ، ففتحت عينىّ فصرت كلى أعينا، وكأن فى باطنى ما أراه فى ظاهرى، وصرت كأنى برزخ بين كونين وقاب، كما يرى الرائى عند النظر فى المرآة ما فى خارجها. ثم سمعت بقارىء يقرأ قوله: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وكتبه ورسله، لا نفرق بين أحد من رسله

(118) ختم الأولياء للحكيم الترمذى ص346 ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.

(119) مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم لابن عربى ص171 ط مطبعة السعادة مصر 1325هـ.

وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير .

واذا بذلك الحجاب قد رفع وأذن لى بدخوله . ولما دخلته رأيت الأنبياء صفوفا صفوفا ودونهم الملائكة ، ورأيت أقربهم إلى الحق أربعة أنبياء ، ورأيت أولياء أمة محمد أقرب الناس إلى محمد وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى وأقرب إليه أربعة أولياء ، فعرفت منهم السيد محى الدين عبد القادر، وهو الذى تلقانى إلى باب الحجاب ، وأخذ بعضدى حتى دنوت من سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ، فناولنى يمينه فأخذته بكلتا يدىّ ، فلازال يجذبنى ويدنينى حتى ما بقى بينى وبين ربى أحد ، فلما حققت النظر فى ربى ورأيته على صورة النبى ، إلا أنه كالثلج أشبه شىء أعرفه فى الوجود من غير رداء ولا ثياب . ولما وضعت شفتى على محل منه لأقبله أحسست ببرد كالثلج سبحانه وتعالى ، فأردت أخرّ صعقا ، فمسكنى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله»(١٢٠) .

وأما ابن عربى فيجعل لعروجه محاكيا المعراج النبوى الشريف ويقول :

«بينما أنا نائم وسر وجودى متهجد قائم جاءنى رسول التوفيق ، ليهدينى سواء الطريق ، ومعه براق الاخلاص ، عليه لبد الفوز ولجام الاخلاص ، فكشف عن سقف محلىّ ، وأخذ فى نقضى وحلىّ ، وشق صدرى بسكين السكينة ، وقيل لى : تأهب لارتقاء الرتبة المكينة ، وأخرج قلبىّ فى منديل ، لآمن من التبديل ، وألقى فى طست الرضا ، بموارد القضا ، ورمى منه حظ الشيطان ، وغسل بماء : ان عبادى ليس لك عليهم سلطان . . . ثم أتيت بالخمر واللبن ، فشربت ميراث تمام اللبن ، وتركت الخمر حذرا أن أكشف السر بالسكر . . . استفتح لى سماء الأجسام فرأيت سر روحانية آدم عليه السلام . . . فاستفتح الرسول الوضاح ، سماء الأرواح . . . قال لى : مرحبا وأهلا - إلى آخر الخرافات والمختلقات»(١٢١) .

ويقول أحد من المتقدمين من الصوفية نجم الدين كبرى المقتول ٦١٨هـ :

«انه أيضا ممن عرج به إلى السماء»(١٢٢) .

---

(١٢٠) المواقف الالهية لابن البان ص١٦٤ الى ١٦٩ .

(١٢١) انظر كتاب الاسراء لابن عربى ص١٨ من «رسائل ابن العربى» الطبعة الأولى ص حيدر آباد دكن الهند ١٣٦٧هـ .

(١٢٢) انظر فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبرى بتصحيح دكتور فريتزمائر أستاذ بجامعة بازيل بسويسرا مطبعة فرانتزشتاينز ويسبادن المانيا ١٩٥٧م .

كما نقل عن أبى الحسن الخرقانى أنه قال:

«صعدت ظهيرة إلى العرش لأطوف به فطفت عليه ألف طوفة أو كما قال، ورأيت حواليه قوما ساكنين مطمئنين فتعجبوا من سرعة طوافى وما أعجبنى طوافهم، فقلت: من أنتم، وما هذه البرودة فى الطواف؟

فقالوا: نحن ملائكة، ونحن أنوار، وهذا طبعنا لا نقدر أن نجاوزه، فقالوا: ومن أنت وما هذه السرعة فى الطواف؟

فقلت: بل أنا آدمىّ، وفىّ نور، ونار هذه السرعة من نتائج نار الشوق»[١٢٣].

والجيلى كذلك ذكر عروجه ومعراجه، ورؤيته لسدرة المنتهى وتجليات الربّ تبارك وتعالى[١٢٤].

وكذلك يذكر النفزى الرندى المتوفى **٧٩٢**هـ فى تفسير قوله تعالى: وملكا كبيرا:

«انه يرسل الله تعالى الملك إلى وليّه، ويقول له:

استأذن على عبدى، فان أذن لك فادخل، وإلا فارجع، فيستأذن عليه من سبعين حجابا، ثم يدخل عليه ومعه كتاب من الله عز وجل عنوانه:

من الحىّ الذى لا يموت إلى الحىّ الذى لا يموت، فاذا فتح الكتاب وجد مكتوبا فيه: عبدى، اشتقت إليك فزرنى، فيقول: هل جئت بالبراق؟

فيقول: نعم، فيركب البراق، فيغلب الشوق على قلبه، فيحمله شوقه، ويبقى البراق إلى أن يصل إلى بساط اللقاء»[١٢٥].

وهناك آخرون كثيرون ادعوا عروجهم إلى السماء، ومعراجهم أو مكالمتهم الرب، ومخاطبتهم إياه، ومنهم صالح بن بان النقا السودانى[١٢٦].

ودفع الله بن محمد الكاهلى الهذلى السودانى[١٢٧].

(١٢٣) أيضا ص١٣.

(١٢٤) انظر الانسان الكامل للجيلى الباب التاسع والأربعون فى سدرة المنتهى ج٢ ص١٢، ١٣.

(١٢٥) أيضا ص٦٥، ٦٦.

(١٢٦) انظر كتاب الطبقات لمحمد ضيف الله الجعلى الفضلى ص١٠٥ ط لبنان.

(١٢٧) أيضا ص٨٩.

وفتح الله بوراس القيرواني[128] .

ومحمد بن قائد اللواني العراقي[129] .

وأبو العباس المرسي[130] .

ومثل هؤلاء كثيرون لا يعدون ولا يحصون .

ويذكر الصوفي القديم المشهور عزيز الدين نسفي عن عروج المتصوفة إلى السماء :

ان بعض الصوفية يعرجون إلى السماء الأولى ويطوفون حولها، وبعضهم يتجاوزون من السماء الأولى . . . وبعضهم يصلون إلى العرش اذا أمكن لهم[131] .

هذا بالنسبة للعروج، وأما من ناحية مكالمة الربّ لهؤلاء المتصوفة فللأهمية ننقل عبارة الجيلي كاملة، فيقول تحت عنوان (تجليّ الصفات) :

«ومن المكلمين من يذهب به الحق من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح وهؤلاء أعلى مراتب. فمنهم من يخاطب في قلبه، ومنهم من يصعد بروحه إلى سماء الدنيا، ومنهم إلى الثانية والثالثة كل على حسب ما قسم له، ومنهم من يصعد به إلى سدرة المنتهى فيكلمه الله هناك، وكل من المكلمين على قدر دخوله في الحقائق تكون مخاطبات الحق له، لأنه سبحانه وتعالى لا يضع الأشياء إلا في مواضعها. ومنهم من يضرب له عند تكليمه إياه نور له سرادق من الأنوار. ومنهم من ينصب له منبرا من نور. ومنهم من يرى نورا في باطنه فيسمع الخطاب من تلك الجهة النورية، وقد يرى النور كثيرا وأكثر ومستديرا ومتطاولا . ومنهم من يرى صورة روحانية تناجيه، كلّ ذلك لا يسمى خطابا، إلا أن أعلمه الله أنه هو المتكلم، وهذا لا يحتاج فيه إلى دليل، بل هو على سبيل الوهلة فإن خاصية كلام الله لا تخفى، وأن يعلم أن كل ما سمعه كلام الله فلا يحتاج هناك إلى دليل ولا بيان، بل بمجرد سماع الخطيب يعلم العبد أنه كلام الله، وممن صعد به إلى سدرة المنتهى من قيل له حبيبي إنيتك هي هويتي وأنت عين هو وما هو إلا أنا، حبيبي بساطتك تركيبي وكثرتك واحديتي، بل تركيبك بساطتي

---

(١٢٨) انظر الوصية الكبرى لعبد السلام الفيتوري ص٧٤ ط طرابلس ليبيا ١٩٧٦م .

(١٢٩) الجواب المستقيم لابن عربي ورقة ١،ب المنقول من كتاب ختم الأولياء للترمذي ص٢٢٤ .

(١٣٠) انظر النفحة العلية في أوراد الشاذلية ص٢٣٠ .

(١٣١) انظر زبدة الحقائق لعزيز الدين نسفي ص٥٨ تصحيح وتقديم حق وردى ناصرى ط كتابخانة طهورى طهران .

وجهلك درايتى، أنا المراد بك أنا لك لالى، أنت المراد بى أنت لى لا لك، حبيبى أنت نقطة عليها دائرة الوجود فكنت أنت العابد فيها والمعبود، أنت النور أنت الظهور أنت الحسن والزين كالعين للإنسان والإنسان للعين :

أيا روح روح الروح والآية الكبرى — ويا سلوة الأحزان للكبد الحرّى
ويا منتهى الآمال يا غاية المنى — حديثك ما أحلاه عندى وما أمرا
ويا كعبة التحقيق يا قبلة الصفا — ويا عرفان الغيب يا طلعة الغرا
أتيناك أخلفناك فى ملك ذاتنا — تصرف لك الدنيا جميعا مع الأخرى
فلولاك ما كنا ولولاى لم تكن — فكنت وكنا والحقيقة لا تدرى
فإياك نعنى بالمعزة والغنى — وإياك نعنى بالفقير ولا فقرا»(١٣٢)

فلينظر الباحث، وليتعمق، هل بقى هناك شيء خفى بعد هذا كله؟

ولكننا لتوثيق ما هو موثق نورد نصوصا أخرى من أكابر القوم الآخرين، وأعاظمهم.

منها ما نقل المتصوفة عن أبى يزيد البسطامى أنه كثيرا ما كان يقول للفقهاء : «أخذتم علمكم ميتا عن ميت، ونحن أخذنا علمنا عن الحىّ الذى لا يموت»(١٣٣).

وهو الذى يذكرون عنه أنه ذكر معراجه ومكالمته الرب ـ تعالى الله عما يقولون به علوا كبيرا ـ فيقول :

«أدخلنى فى الفلك الأسفل، فدوّرنى فى الملكوت السفلى، فأرانى الأرضين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلنى فى الفلك العلوى فطوّف بى فى السموات وأرانى ما فيها من الجنان إلى العرش.

ثم أوقفنى بين يديه فقال لى : سلنى أىّ شيء رأيت حتى أهبه لك، فقلت :

ياسيدى ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه، فقال : أنت عبدى حقا تعبدنى لأجلى صدقا لأفعلن بك»(١٣٤).

---

(١٣٢) الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلى ص٦٥، ٦٦ الطبعة الرابعة مصطفى البابى الحلبى ١٤٠٢هـ.
(١٣٣) الجواهر والدرر للشعرانى بهامش الابريز ص٢٨٦، أيضا ذخائر الأعلاق لابن عربى ص١٥٣.
(١٣٤) قوت القلوب لأبى طالب المكى ج٢ ص٧٠، كذلك محاسن المجالس لابن العريف ص٧٧، أيضا غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ص٣٠٥.

ونقل الآخرون الكثيرون عنه أيضا أنه قال:

«رفعني مرة فأقامني بين يديه، وقال لى:

يا أبا يزيد، ان خلقى يحبون أن يروك.

فقلت: زيّنى بوحدانيتك، وألبسنى أنانيتك، وارفعنى إلى أحديتك، حتى اذا رآنى خلقك قالوا: رأيناك، فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هنا»(١٣٥).

ونقلوا مثل ذلك عن السرى السقطى رواية عن الجنيد أنه قال:

بتّ عند سرى ليلة، فقال لى: أنائم أنت؟

فقلت: لا.

فقال: أوقفنى الحق بين يديه، فقال: أتدرى لم خلقت الخلق؟

قلت: لا. قال: خلقتهم فادّعوا محبتى، فخلقت الدنيا، فاشتغل بها من عشرة آلاف تسعة آلاف، وبقى ألف، فخلقت الجنة فاشتغل بها تسعمائة، وبقى مائة، فسلطت عليهم شيئا من بلائى، فاشتغل تسعون، وبقى عشرة، فقلت لهم: لا الدنيا أردتم، ولا فى الجنة رغبتم، ولا من البلاء هربتم، فماذا تريدون؟

قالوا: انك تعلم ما نريد.

فقال: سأنزل عليكم من البلاء ما لا تطيقه الجبال، أفتثبتون؟

قالوا: ألست أنت الفاعل؟ قد رضينا بذلك. نحمد ذلك بك وفيك ولك. فقال: أنتم عبادى حقا(١٣٦).

ورووا عن الجنيد أنه قال:

«لى ثلاثون سنة أتكلم مع الله تعالى»(١٣٧).

---

(١٣٥) انظر كتاب اللمع للطوسى ص٤٦١.

(١٣٦) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٥٣٧، ٥٣٨ ط دار الفكر العربى القاهرة.

(١٣٧) طبقات الشعرانى ج ص٢٠٠.

وعن صوفى قديم آخر سهل بن عبد الله التستر ى أنه قال :

«أنا منذ ثلاثين سنة أكلم الله والناس يتوهمون أنى أكلمهم»(١٣٨) .

والشعرانى نقل عن عليّ الخواص أنه قال :

«قد سمعت سيدى إبراهيم المتبولى يقول كثيرا :

لى ثلاثون سنة وأنا مقيم فى حضرة الله لم أخرج ، وجميع ما أتكلم به انما أكلم به الحق سبحانه»(١٣٩) .

والرفاعية أيضا لا يريدون أن يقلّ شأن مرشدهم وهاديهم ، وتنحط مكانته فى أعين مريديه ومقلديه ، فنقلوا عنه أنه كان كثيرا بينه وبين الربّ مناجاة ومخاطبات ، فنقلوا عن ابن جلال فى جلاء الصد ما نصه :

«نقل عن السيد ابراهيم الأعزب أنه قال : كنت جالسا فى الغرفة مع السيد أحمد الرفاعى رضى الله تعالى عنهما ، ورأسه على ركبتيه ، فرفع رأسه وضحك بأعلا صوته فضحكت أنا أيضا ثم ألححت عليه ليخبرنى عن سبب ضحكه ، فقال :

أى ابراهيم ، نادانى العزيز سبحانه : انى أريد أن أخسف الأرض ، وأرمى السماء على الأرض .

فلما سمعت هذا النداء تعجبت ، وقلت : الهى ، من ذا الذى يعارضك فى ملكك وارادتك؟

قال سيدى ابراهيم : فأخذته الرعدة ووقع على الأرض وبقى فى ذلك الحال زمانا طويلا»(١٤٠) .

وحينما رأى الشاذلية هذه المكانة العالية ، والمنزلة الرفيعة لمرشد الرفاعية ، الرفاعى ، لم يرضوا أن يتخلفوا عنهم ، فقالوا : ان ما لشاذلينا لم تكن مخاطبات

---

(١٣٨) التعرف لمذهب أهل التصوف بتحقيق محمود أمين النواوى ص١٧٢ ط القاهرة الطبعة الثانية ١٩٨٠م .

(١٣٩) انظر الأخلاق المتبولية للشعرانى ج١ ص٤٨٢ .

(١٤٠) انظر قلادة الجواهر فى ذكر الرفاعى وأتباعه الأكابر للسيد محمد أبى الهدى الرفاعى ص١٨٠ .

فحسب، بل ان الله جل مجده هو الذى سماه بهذا الاسم، فيذكر الامام الأكبر السابق للأزهر، الدكتور عبد الحليم محمود نقلا عن أبى الحسن الشاذلى كيفية نزوله من جبل زغوان، ومغادرته خلوته، فيقول:

«قيل لى: يا على: اهبط إلى الناس ينتفعوا بك.

فقلت: يا ربّ أقلنى من الناس فلا طاقة لى بمخالطتهم.

فقيل لى: انزل فقد أصحبناك السلامة، ودفعنا عنك الملامة.

فقلت: تكلنى إلى الناس آكل من دريهماتهم.

فقيل لى: أنفق يا على، وأنا الملى، ان شئت من الجيب، وان شئت من الغيب.

ونـزل الشـاذلى رضى الله عنـه من على الجبل ليغادر شاذلة، ويستقبل مرحلة جديدة، فقد انتهت المرحلة الأولى التى رسمها له شيخه.

وقبل أن نغادر معه شاذلة إلى رحلته الجديدة نذكر ما حكاه رضى الله عنه فيما يتعلق بنسبته إلى شاذلة، قال:

قلت: يا ربّ لم سمّيتنى بالشاذلى؟ ولست بشاذلى؟

فقيـل لى: يا على، ما سمّيتـك بالشاذلى وانما أنت الشّاذّ لى. بتشديد الذال المعجمة يعنى: المفرد لخدمتى ومحبتى»[١٤١].

هذا ولقد نقلوا مثل هذه المكالمات والمناجاة بين ذى النون المصرى والربّ تبارك وتعالى أيضا[١٤٢].

وقلما يوجد صوفى أو متصوف إلا وقد ادّعى مثل هذه الدعوى، وكتب التراجم وطبقـات الصـوفيـة مليئة بمثـل هذه الأكـاذيب والشنعـات، والجـرأة على الله،

---

(١٤١) انظر كتاب الدكتور عبد الحليم محمود المدرسة الحديثة الشاذلية وامامها أبو الحسن الشاذلى ص٣٤، ٣٥ ط دار الكتب الحديثة القاهرة.

(١٤٢) انظر تذكرة الأولياء للعطار ص٧٤ ط باكستان.

والانتقاص من شأن نبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم النبيين وسيد المرسلين، حيث ينسبون إلى أنفسهم، أو الى مرشديهم ومتصوفيهم ما لم يكن لبشر أن يحصل عليه، حتى سيد الخلائق وأفضل النبيين والمرسلين مثل ما أوردنا عنهم، ومثل ما رووا عن فتح الله بوراس القيرواني أنه كان يقول:

«أشهدني الله تعالى ما فى السموات السبع وما فى الكرسى وما فى اللوح المحفوظ وجميع ما فى الحجب، وفككت طلاسم السموات السبع والفلك الثامن الذى فيه جميع الكواكب وجميع الفلك الثامن، وهم بنات نعش والجدى والقطب، ووصلت إلى الفلك التاسع الذى يسمونه الأطلس، ورصدت جداوله وأنا عند ذلك طفل صغير لم أبلغ الحلم»(١٤٣).

وكان يقول:

«وفى السماء السابعة شاهدت ربى وكلّمته
وفوق العرش والكرسى قد نادانى وخاطبته
وما فى اللوح المحفوظ من الآى والأمر والنهى قد حفظته
وبيدى باب الجنان قد فتحته ودخلته
وما فيه من الحور العين قد رأيته وحصيته
ومن رآنى ورأى من رآنى وحضر مجلسى
فى جنة عدن وبستانها قد أسكنته»(١٤٤).

ومثل ذلك ذكر الشعرانى عن الدسوقى المتوفى ٧٧٦هـ حيث قال:

«أنا كل ولىّ فى الأرض خلعته بيدى. ألبس منهم من شئت، أنا فى السماء شاهدت ربى، وعلى الكرسى خاطبته، أنا بيدى أبواب النار أغلقتها، وبيدى جنة الفردوس فتحتها. من زارنى أسكنته جنة الفردوس»(١٤٥).

نعوذ بالله من مثل هذه الخرافات، ولا يؤاخذنا الله على نقل ما اقترفته الأيدى الأثيمة والألسن الخبيثة، ربنا لا تهلكنا بما فعل السفهاؤ منا ان هى إلا فتنتك تضلّ بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينّا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين.

ثم ان الصوفية أصّلوا قاعدة وحكما عاما، وقالوا:

---

(١٤٣) الوصية الكبرى لشيخ العروسية عبد السلام الفيتورى ص٧٥ ط مكتبة النجاح طرابلس ليبيا.
(١٤٤) أيضا.
(١٤٥) انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ج١ ص١٨٠.

«ما كان ولىّ متصل بالله تعالى إلا وهو يناجى ربه كما كان موسى عليه السلام يناجى ربه»(١٤٦).

و«اذا صفا قلب الفقير صار مهبط الوحى»(١٤٧).

والدباغ يقول:

«وكلام الحق سبحانه يسمعه المفتوح عليه اذا رحمه الله عز وجل سماعا خارقا للعادة فيسمعه من غير حرف ولا صوت ولا ادراك لكيفية، ولا يختص بجهة دون جهة، بل يسمعه من سائر الجهات، بل ومن سائر جواهر ذاته، وكما لا يخص السماع له جهة دون أخرى، كذلك لا يخص جارحة دون أخرى يعنى أنه يسمعه بجميع جواهره وسائر أجزاء ذاته فلا جزء ولا جوهر ولا سنّ ولا ضرس ولا شعرة منه إلا وهو يسمع به، حتى تكون ذاته بأسرها كأذن سامعة، ثم ذكر اختلاف أهل الفتح فى قدر السماع وبيّنه بما لا يذكر»(١٤٨).

«وان معراج الصوفية، وخرقهم السموات، ومكالمتهم الربّ، ومخاطبته إياهم جائز شرعا ونقلا، وهو المنقول عن الشاذلى، وابن عطاء الله فى (لطائف المنن)، ومحمد السنوسى فى كبراه، والشيخ عبد الباقى وغيرهم»(١٤٩).

وقد نقل الشعرانى عن الشاذلى قوله:

«لا انكار على من قال: كلّمنى الله كما كلّم موسى»(١٥٠).

وأما ابن عربى القائل دوما: «حدّثنى قلبى عن ربّى، فى كتبه ورسائله، و: ما صنفت كتابا عن تدبير واختيار إلا بأمر من الله وارشاده»(١٥١) يقول فى سماع الصوفى كلام الربّ عندما يبلغ الدرجة العليا، ويتحقق فى مقامه، يقول:

«انما يسمع الصوفى فى هذا المقام ويمتثل ما يسمع - كما أنا مازلت أسمع متحققا فى مقامى من الحق»(١٥٢).

---

(١٤٦) أيضا ج١ ص١٨٠.

(١٤٧) الأخلاق المتبولية للشعرانى ج١ ص١٠٠ المنقول عن ابراهيم المتبولى.

(١٤٨) الابريز للدباغ ص١٥٦.

(١٤٩) كتاب الطبقات للجعلى الفضلى ١٠٧.

(١٥٠) مقولة الشاذلى المنقولة فى طلقات الشعرانى ج٢ ص٦٩.

(١٥١) انظر تنبيه المغترين للشعرانى ص١٣٦.

(١٥٢) انظر مواقع النجوم لابن عربى ص١٦٤ وما بعد الطبعة الأولى ١٣٢٥هـ مطبعة السعادة مصر.

وأما اطلاعهم على الغيب، واحاطتهم بعلم ما كان وما يكون، واخبارهم بكل ما ظهر وما بطن فكتب القوم مليئة بهذه المختلقات، بل يمكن لقارىء كتب الصوفية والباحث فى تراجمهم وطبقاتهم أن يقول: ان شخصا مّا لا ينسب إلى هؤلاء الناس ويعدّ منهم إلا أن يكون حاملا لذلك العلم الذى هو من خاصة رب السموات والأرض، حيث أخبر عن ذاته سبحانه تبارك وتعالى:

﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البرّ والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا فى كتاب مبين﴾(١٥٣).

وقال:

﴿ولله غيب السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله﴾(١٥٤).

وقال:

﴿ان الله عالم غيب السموات والأرض انه عليم بذات الصدور﴾(١٥٥).

وأخبر عن نفسه بنفسه:

﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾(١٥٦).

و: **﴿عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم﴾**(١٥٧).

والآية التى هى نصّ فى المسألة حيث أمر نبيّه ﷺ أن يقول:

﴿قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله﴾(١٥٨).

كما أمر نبيه ﷺ أن ينفى عن نفسه الغيب:

﴿قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾(١٥٩).

ونقل عن مصطفاه عليه الصلاة والسلام أنه قال:

---

(١٥٣) سورة الأنعام الآية ٥٩.

(١٥٤) سورة هود الآية ١٠٣، كذلك سورة النحل الآية ٧٧.

(١٥٥) سورة الفاطر الآية ٣٨.

(١٥٦) سورة الرعد الآية ٩.

(١٥٧) سورة التغابن الآية ١٨.

(١٥٨) سورة النحل الآية ٦٥.

(١٥٩) سورة الأنعام الآية ٥٠، مثله فى سورة هود الآية ٣١.

﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾[١٦٠].

وقال نبيه مخاطبا إياه:

«تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب»[١٦١].

والآيات فى هذا المعنى كثيرة جدا، والأحاديث النبوية كذلك.

ولكن القوم يقولون عكس ذلك متأثرين بالتشيع، وآخذين أفكارهم ومعتقداتهم، فيقول القشيرى فى بيان درجات السلوك:

«ثم فى خلال هذه الأحوال قبل وصوله إلى هذا المقام الذى هو نهاية كان يرى جملة الكون يضىء بنور كان له حتى لم يخف من الكون عليه شىء وكان يرى جميع الكون من السماء والأرض روية عيان ولكن بقلبه، وكان لا يرى فى هذا الوقت بعين لأنه شىء ولكن لم يكن هذه رؤية علم، بل لو تحرك فى الكون ذرة أو نملة»[١٦٢].

ونقل الكلاباذى عن أبى عبد الله الأنطاكى أنه قال:

«اذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق، فانهم جواسيس القلوب، يدخلون فى أسراركم، ويخرجون من هممكم»[١٦٣].

ويقول ابن عجيبة الحسنى:

«ان الحق سبحانه قسّم الخلق قسمين وفرقهم فرقتين: قسم اختصّهم بمحبته، وجعلهم من أهل ولايته، ففتح لهم الباب، وكشف لهم الحجاب، فأشهدهم أسرار ذاته، ولم يحجبهم عنه بآثار قدرته»[١٦٤].

فاذا كشف الحجاب، وفتح لهم الباب «علم العوالم بأجمعها على ما هى عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد وعلم كل شىء، كيف كان؟ وكيف هو كائن؟ وكيف يكون؟ وعلم ما لم يكن، ولم لا يكون ما لم يكن؟ ولو كان ما لم يكن كيف كان يكون؟ كل ذلك علما أصليا حكميا كشفيا ذوقيا من ذاته لسريانه فى المعلومات علما اجماليا تفصيلاً كليا جزئيا مفصلا فى اجماله . . . ومنهم من تجلى الله عليه بصفة السمع

(١٦٠) سورة الأعراف الاية ١٨٨.

(١٦١) سورة المائدة الآية ١١٦.

(١٦٢) رسالة ترتيب السلوك للقشيرى من مجموعة الرسائل القشيرية لعبد الكريم القشيرى المتوفى ٤٦٥هـ ط المعهد المركزى للأبحاث الاسلامية باكستان ١٣٨٤هـ.

(١٦٣) التعرف للكلاباذى ص٣٣.

(١٦٤) ايقاظ الهمم لابن عجيبة الحسنى ص٧٧.

فيسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات، وكلام الملائكة واختلاف اللغات، وكان البعيد عنه كالقريب»[١٦٥].

وقال عماد الدين الأموى:

«اذا انكشفت الحجب عن القلب تجلى فيه شيء مما هو مستور فى اللوح المحفوظ، ولمع فى القلب من وراء ستر الغيب شيء من غرائب العلم»[١٦٦].

وأيضا: «يشرف على الملكوت الأعظم، ويرى عجائبه، ويشاهد غرائبه، مثل اللوح، والقلم، واليمين الكاتبة، وملائكة الله تعالى يطوفون حول العرش يسبحون بحمد ربهم، وبالبيت المعمور، ويسبحونه ويقدسونه، ويفهم كلام المخلوقين من الحيوانات والجمادات، ثم يتخطى منها إلى معرفة الخالق للكل والمالك للكل فتغشاهم الأنوار، وتتجلى لقلوبهم الحقائق»[١٦٧].

ويقول الدباغ وهو يذكر بعض ما يشاهده المفتوح عليه وهو الولى عنده، فيقول:

«أما فى المقام الأول فانه يكاشف فيه بأمور، منها: أفعال العباد فى خلواتهم.

ومنها: مشاهدة الأرضين السبع والسموات السبع، ومنها: مشاهدة النار التى فى الأرض الخامسة، وغير ذلك مما فى الأرض والسماء... ومن الأشياء التى يشاهدونها: اشتباك الأرضين بعضها ببعض، وكيف تخرج من أرض إلى أرض أخرى، وما تمتاز به أرض عن أرض أخرى، والمخلوقات التى فى كل أرض.

ومنها: مشاهدة اشتباك الأفلاك بعضها ببعض، وما نسبتها من السموات وكيف وضع النجوم التى فيها.

ومنها: مشاهدة الشياطين وكيف توالدها.

ومنها: مشاهدة الجن وأين يسكنون؟

ومنها: مشاهدة سير الشمس والقمر والنجوم... وأما ما يشاهده فى المقام الثانى فانه يكاشف بالأنوار الباقية كما كوشف فى المقام الأول بالأمور الظلمانية الفانية،

---

(١٦٥) الانسان الكامل للجيلى ج١ ص٦٣، ٦٤.

(١٦٦) حياة القلوب فى كيفية الوصول الى الجنوب لعماد الدين الأموى ص٢٦١ بهامش قوت القلوب لأبى طالب.

(١٦٧) حياة القلوب ص٢٧٥، ٢٧٦ بهامش قوت القلوب لأبى طالب المكى.

فيشاهد فى هذا المقام الملائكة والحفظة والديوان والأولياء الذين يعمرونه . . وأما المقام الثالث فانه يشاهد فيه أسرار القدر فى تلك الأنوار المتقدمة .

وأما المقام الرابع فانه يشاهد فيه النور الذى ينبسط عليه الفعل ، وينحل فيه كانحلال السمّ فى الماء ، فالفعل كالسم والنور كالماء . . . وفى المقام الخامس يشاهد انعزال الفعل عن ذلك النور ، فيرى النور نورا ، والفعل فعلا . . . والمفتوح عليه لا يغيب عليه ما فى أرحام الأنثى فضلا عن غيره»(١٦٨) .

وكان الدباغ هذا يرى أيضا أن المتصوفة لا يعرفون الغيب فحسب ، بل يعرفون الغيوب الخمسة التى ذكرها الله تعالى فى محكم كتابه أنه لا يعلمها أحد غيره بقوله :

﴿ ان الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأىّ أرض تموت ان الله عليم خبير﴾(١٦٩) .

ولكن ابن المبارك ينقل عنه قائلا :

«قلت للشيخ : (أى عبد العزيز الدباغ) رضى الله عنه : ان علماء الظاهر من المحدثين وغيرهم اختلفوا فى النبى ﷺ ، هل كان يعلم الخمس المذكورات فى قوله : ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأىّ أرض تموت ان الله عليم خبير ، فقال رضى الله عنه وعن سادتنا العلماء :

كيف يخفى أمر الخمس عليه والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس»(١٧٠) .

والجدير بالذكر أن هذا هو القائل :

«ما السموات السبع والأرضون السبع فى نظر العبد المؤمن إلا كحلقة ملقاة فى فلاة»(١٧١) .

وأيضا : «ان الجنين اذا سقط من بطن أمه يراه العارف فى تلك الحالة إلى آخر عمره»(١٧٢) .

---

(١٦٨) الابريز للدباغ ص١٥١ وما بعد .
(١٦٩) سورة لقمان الآية ٣٤ .
(١٧٠) الابريز ص١٦٧ .
(١٧١) أيضا ص٢٤٢ .
(١٧٢) أيضا ص٢٧٤ .

أما الرفاعي أحمد فنقلوا عنه أنه قال:

«ان العبد ما يزال يرتقى من سماء إلى سماء حتى يصل إلى محل الغوث، ثم ترتفع صفته إلى أن تصير صفة من صفات الحق، فيطلعه على غيبه حتى لا تنبت شجرة، ولا تخضرّ ورقة إلا بنظره، ويتكلم هناك عن الله بكلام لا تسعه عقول الخلائق. . . وكان يقول: ان القلب اذا انجلى من حبّ الدنيا وشهوتها صار كالبلّور، وأخبر صاحبه بما مضى وبما هو آت من أحوال الناس»(١٧٣).

ونقل ذلك الشعراني أيضا منه في طبقاته(١٧٤).

ونقلوا عن الشبلي أنه قال:

«لو دبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أشعر بها أو لم أعلم بها لقلت انه ممكور بي»(١٧٥).

وهذا مع قول الله الجليّ الصريح الواضح البيّن: **﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾**(١٧٦).

ومع أمر الله عز وجل لنبيه ﷺ أن يقول: **﴿ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾**(١٧٧).

وقول الله عز وجل:

﴿تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين﴾(١٧٨).

ولكن القوم عكس ذلك يقولون ما ألقى الشيطان اليهم من عقائد شيعية، ومعتقدات يهودية، وكان السحرة والكهان.

ولقد أدّب الله تبارك وتعالى نبيه ونجيه وصفيه سيد البشر قائد النبيين والمرسلين

---

(١٧٣) قلادة الجواهر في ذكر الرفاعي وأتباعه الأكابر ص١٤٨.

(١٧٤) انظر الطبقات الكبرى للشعراني ج١ ص١٤٢.

(١٧٥) مجموع مخطوط بالفاتيكان عربي رقم ١٢٤٢ ورقة ٥١ب-٥٢، أيضا الانسان الكامل للجيلي ج١ ص١٢٢.

(١٧٦) سورة الأنعام الآية ٥٩.

(١٧٧) سورة الأحقاف الآية ٩.

(١٧٨) سورة هود الآية ٤٩.

ﷺ على جوابه لمن سأله عن أصحاب الكهف وعددهم، رجاء بأن ينزل عليه الوحى، ويخبر الله عز وجل عنهم، والوحى كان ينزل، وجبريل كان يأتى، واتصاله كان قائما بالسماء، فقال مرسله ومنزل الوحى عليه:

﴿لا تقولنّ لشيء إنى فاعل ذلك غدا. الا أن يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشداً﴾(١٧٩).

وقبله أقرت الملائكة بقصور علمهم، واعترافهم بعدم احاطتهم بملكوت السماء يوم قالوا: **﴿سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم﴾**(١٨٠)

فأقرهم الله عز وجل على القصور وعدم المعرفة بالغيب بقوله:

﴿ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾(١٨١).

هذا وأما المنوفى الحسينى فينقل عن إبراهيم الدسوقى أنه كان يقول:

«ان للأولياء الاطلاع على ما هو مكتوب على أوراق الشجر والماء والهواء وما فى البر والبحر وما هو مكتوب على صفحة قبة خيمة السماء، وما فى جباه الانس والجان مما يقع لهم فى الدنيا والآخرة»(١٨٢).

وأما الشاذلى فنقلوا عنه:

«من عبد الله باسمه الحىّ ودام عليه، واستغرق فيه ليلا ونهارا شاهد حياة كل شىء، وكوشف بسر الملك والملكوت.

ومن عبد الله باسمه الأحد المحيى وأكثر منه، ولا حد لأكثره، شاهد حياة كل شىء ومحييه.

ومن ذكر بهم جميعا صعدت روحه إلى الملأ الأعلى، وصعدت روحه إلى العرش، ليكتب عند الله من الكاملين الصديقين»(١٨٣).

وقال أفضل الدين:

---

(١٧٩) سورة الكهف الآية ٢٣، ٢٤.
(١٨٠) سورة البقرة الآية ٣٢.
(١٨١) سورة البقرة الآية ٣٣.
(١٨٢) جمهرة الأولياء للمنوفى الحسينى ص٢٤٢.
(١٨٣) أبو الحسن الشاذلى للدكتور عبد الحليم محمود ص٦١٤.

«لا يعطى أحـد القطبيـة حتى يعـرف جميـع عوالم هذه العـروش والكـراسى والسموات والأرضين بأسمائهم وأنسابهم وأعمارهم وأعمالهم»(١٨٤).

ونقل الشعرانى عن ابراهيم المتبولى أنه قال:

«يرتسم الوجود كله فى قلب الفقير (أى الصوفى) فيراه من قلبه. وايضاح ذلك أن القلب اذا انجلى صار كالمرآة الكبيرة، فاذا قابلها بالعالم العلوى والسفلى ارتسم كله فيها»(١٨٥).

وروى أيضا عن على الخواص أنه قال:

«لا يكمل إيمان عبد حتى يصير الغيب عنده كالشهادة فى عدم الريب»(١٨٦).

ويقول محمد ضيف الله الجعلى السودانى:

«كشف الأولياء على قسمين: منهم من ينظر فى اللوح فانه لا يتغير ولا يتبدّل كسيـدى على الخـواص. ومنهم من ينظـر فى ألـواح المحـو والاثبات، وعدتها ثلاثمائة وستـون لوحـا فانهـا تتغـير وتتبـدّل، فاذا أخبر الولىّ بكلام ولم يقع فلا ينكر عليه بأن يقال: كذب، بل يحمل على أنه نظر فى ألواح المحو والاثبات»(١٨٧).

فانظر هذه الخرافة المختلقة ما أشنعها وأقبح بها.

وأمـا ابن عربى ومـدرستـه فقـد تكلمـوا فى مثل هذا كثيرا، ولا يخلو كتاب من كتبهم عن مثل هذه الخرافات والموبقات، فيقول ابن عربى:

«فأمـا العلم اللدنى، فمتعلقـه الالهيـات ومـا يؤدى إلى تحصيلهـا من الرحمة الخاصة. وأما علم النور فظهر سلطانه فى الملأ الأعلى قبل وجود آدم بآلاف السنين من أيام الرب.

وأمـا علم الجمـع والتفـرقة فهو البحر المحيط، الذى اللوح المحفوظ جزء منه، ومنه يستفيد العقل الأول، وجميع الملأ الأعلى منه يستمدون. وما ناله أحد من الأمم سوى أولياء هذه الأمة. وتتنوع تجلياته فى صدورهم على ستة آلاف ومئين.

---

(١٨٤) الأخلاق المتبولية للشعرانى ج١ ص٩٩.

(١٨٥) أيضا ج٣ ص١٤٥.

(١٨٦) طبقات الشعرانى ج١ ص١٥٦.

(١٨٧) كتاب الطبقات فى خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء فى السودان لمحمد ضيف الله الجعلى الفضلى المتوفى سنة ١٢٢٤هـ المكتبة الثقافية بيروت لبنان.

فمن الأولياء من حصّل جميع هذه الأنواع، كأبى يزيد البسطامى، وسهل بن عبد الله، ومنهم من حصّل بعضها»[188].

ويقول فى احدى رسائله:

«للأرواح الانسانية اذا صفت وزكت معارج فى العالم العلوى المفارق وغير المفارق فينظر مناظر الروحانيات المفارقة، فترى مواقع نظرهم فى أرواح الأفلاك ودورانها بها، فينزل مع حكم الأدوار وترسل طرفها فى رقائق التنزيلات حتى ترى مساقط نجومها فى قلوب العباد، فتعرف ما تحويه صدورهم وما تنطوى عليه ضمائرهم، وما تدل عليه حركاتهم. . . واذا توجهت الأسرار نحو قارئها بفناء وبقاء، وجمع وفرق سقطت عليها أنوار الحضرة الالهية من حيثها، لا من حيث الذات، فأشرقت أرض النفوس بين يديه فالتفت فعلم ما أدركه بصره وأخبر بالغيب وبالسرائر وبما تكنه الضمائر وما يجرى فى الليل والنهار»[189].

ويقول:

«من يكن الحق سمعه وبصره فكيف يخفى عليه شىء»[190].

وقال:

«يرتقى الولىّ إلى عالم الغيب فيشاهد اليمين ماسكة قلمها وهى تخطط فى اللوح»[191].

و: «من الصوفية من لايزال عاكفا على اللوح، ومنهم من يشهده تارة تارة»[192].

ونقل ابن عربى فى كتابه عن الجنيد أنه قال:

«العارف هو الذى ينطق عن سرّك وأنت ساكت»[193].

ولقد بيّن فى احدى كتبه طريق اطلاع الصوفية على الغيب فقال:

---

(١٨٨) شرح المسائل الروحانية لابن عربى المنشور فى كتاب ختم الولاية للترمذى الملقب بالحكيم ص١٤٢، ١٤٣ ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.

(١٩٩) كتاب التجليات لابن عربى ص٢٢ من مجموعة رسائله ط حيدر آباد دكن الهند ١٣٦٧هـ.

(١٩٠) التدبيرات الالهية لابن عربى ص١١٨ ط ليدن ١٣٣٦هـ.

(١٩١) مواقع النجوم لابن عربى ص٨٢.

(١٩٢) أيضا ١٤٨.

(١٩٣) أيضا ١٤٩.

«الكشف والاطلاع على الغيب يكون بطريق التجلى، اما بالتنزل أو بالعروج»(١٩٤).

ويقول أيضا:

«تتجلى صورة العقل فى ذات الخليفة، فتلوح له الأسرار والعلم المنقوشة فيه»(١٩٥).

فهذه هى آراء ابن عربى وأقواله، صريحة فى معناها، جلية فى مغزاها، واضحة فى مرادها، لا غموض فيها ولا تعقيد، ولا تحتاج إلى التبيين والتوضيح.

وأما تلميذه محمد بن اسحاق القونوى المتوفى **٦٧٣هـ** فيقول:

«ان الكمل ومن شاء الله من الأفراد أهل الاطلاع على اللوح المحفوظ، بل وعلى المقام القلمى، بل وعلى حضرة العلم الالهى، فيشعرون بالمقدر كونه لسبق العلم بوقوعه»(١٩٦).

ويقول شهاب الدين السهروردى المقتول:

«الأنبياء والفضلاء المتألهون يتيسر لهم الاطلاع على المغيبات، لأن نفوسهم اما قوية بالفطرة أو تتقوى بطرائقهم وعلومهم، فينتقشون بالمغيبات، لأن نفوسهم كالمرايا المصقولة تتجلى فيها نقوش من الملكوت. فقد يسرى شبح إلى الحس المشترك، يخاطبهم ألذّ مخاطبة وهو فى أشرف صورة، وربما يرون الغيب بالحس المشترك مشاهدة، وربما يسمعون صوت هاتف، أو يقرؤ ن من مسطور»(١٩٧).

وقال لسان الدين بن الخطيب فى روضته:

«النفوس عند صفائها تتشبه بالملأ الأعلى، وتنتقش فيها أمثلة الكائنات المتعشقة فيه بنوع ما، وتشاهد المحجوبات، وتؤ ثر فى العوالم السفلية»(١٩٨).

وبمثل ذلك يقول داؤ د بن محمود القيصرى:

«اذا خلص الرجل، وصفا وقته، وطاب عيشه بالالتذاذ بما يجده فى طريق

---

(١٩٤) انشاء الدوائر لابن عربى ص٣٥ ط مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦هـ.

(١٩٥) التدبيرات الالهية لابن عربى ص١٥٩، ومثله فى ص١٧١.

(١٩٦) رسالة النصوص لمحمد بن اسحاق القونوى ص٤٠، ٤١ ط مشهد ايران.

(١٩٧) الألواح العمادية للسهروردى ص٦٤ المطبوع ضمن رسائله الثلاثة باسم سه رساله شي اشراق بتحقيق نجف قلى الايرانى ط مركز تحقيقات فارسية ايران باكستان.

(١٩٨) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٤٦٣ بتحقيق عبد القادر أحمد عطاط دار الفكر العربى.

المحبوب ـ بصر باطنه ، فيظهر له لوامع أنوار الغيب ، وينفتح له باب الملكوت ، ويلوح منه لوايح»(١٩٩) .

والترمذى الملقب بالحكيم يقول : ان الأولياء لهم علامات وعلوم ، وأما ما يعرفونه من العلوم فهى «علم البدء ، وعلم الميثاق ، وعلم المقادير، وعلم الحروف ، فهذه أصول الحكمة ، وهى الحكمة العلمية ، وإنما يظهر هذا العلم عن كبراء الأولياء ويقبله من له حظ فى الولاية»(٢٠٠) .

ويقول الجيلى عبد الكريم :

«كل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف فى جميع المملكة الوجودية ، ويعلم كل واحد منهم ما اختلج فى الليل والنهار فضلا عن لغات الطيور.

وقد قال الشبلى رحمه الله تعالى : لو دبّت نملة سوداء على صخرة صماء فى ليلة ظلماء ولم أسمعها لقلت : انى مخدوع أو ممكور بى .

وقال غيره : لا أقول : ولم أشعر بها لأنه لا يتهيأ لها ان تدبّ إلا بقوتى وأنا محركها»(٢٠١) .

هذا ومثل هذا أكثر من أن يسعه كتاب ، أو تشمله رسالة ، ولقد تأتى حكايات المتصوفة المتضمنة اخبارهم بالغيب ، واحاطتهم بجميع علوم الكون وأحواله ، واطلاعهم على ما كان وما يكون فى محله وفى باب مستقل إن شاء الله .

(١٩٩) شرح مقدمة التائية الكبرى لداود القيصرى مخطوط ص١٠٤ نقلا عن كتاب ختم الأولياء ص٤٩٦ .
(٢٠٠) ختم الولاية للحكيم الترمذى ص٣٦٢ .
(٢٠١) الانسان الكامل للجيلى ص١٢٢ .

المساواة بين النبي والولي

وأما تسوية الصوفية بين الولاية والنبوة، بل وتفضيلهم الولاية على النبوة والرسالة، والأولياء على أنبياء الله ورسله، مثل الشيعة، فتدل عليه عبارات القوم وتصريحاتهم، فيقول لسان الدين بن الخطيب:

«الولاية: أن يتولى الله الواصل إلى حضر قدسه، بكثير مما تولى به النبى، من حفظ وتوفيق، وتمكين واستخلاف وتصريف.

فالولى يساوى النبى فى أمور، منها: العلم من غير طريق العلم الكسبى، والفعل بمجرد الهمة، فيما لم تجر به العادة أن يفعل إلا بالجوارح والجسوم، مما لا قدرة عليه لعالم الجسوم.

كان الفضيل بن عياض، على جبل من جبال منى، فقال: لو أن وليا من أولياء الله أمر هذا الجبل أن يميد لماد، فتحرك الجبل، فقال: أسكن. لم أدرك بهذا، فسكن الجبل.

ويفعل بالهمة فى عالم الخيال وفى الحس، فإنه يسمع ويرى، ما لا يرى ولا يسمع وهو بين الناس.

ويفارق الولى النبى فى المخاطبة الالهية، والمعارج، فإنهما يجتمعان فى الأصول وهى المقامات، إلا أن النبى يعرج بالنور الأصلى، والولى يعرج بما يفيض من ذلك النور الأصلى، وإن جمعهما مقام اختلفا بالوحدة فى كل مقام، من فناء وبقاء، وجمع وفرق. والولى يأخذ المواهب بواسطة روحانية نبيه، ومن مقامه يشهد، إلا ما كان من الأولياء المحمديين، فإنه لما كان نبيهم صلوات الله وسلامه عليه جامعا لمقامات الأنبياء (أورثهم الله مقامات الأنبياء)، وأوصل إليهم أنوارهم، من نور نبيهم الوارث، وبوساطته، فإنه هو الذى أعطى جميع الأنبياء والرسل مقاماتهم فى عالم الأرواح.

ثم شاركت الأولياء الأنبياء فى الأخذ عنه، وإليه الإشارة بقوله: «أولياء أمتى أنبياء من دونهم». فقد يرث ولى من الأولياء آدم، أو إدريس، أو إسحاق، أو إسماعيل، أو يوسف، أو موسى، أو عيسى، لكن لا يتوصل إلى نوره ولا حاله إلا من

محمد صلوات الله عليه وعليهم وسلامه، إلا القطب وحده، فإنه على قلب محمد (ﷺ) (ولمثل هذا المقام الكريم فليعمل العاملون)»[٢٠٢].

و«ان الأولياء لهم أربعة مقامات: الأول مقام خلافة النبوة، والثانى مقام خلافة الرسالة، والثالث مقام خلافة أولى العزم، والرابع مقام خلافة أولى الاصطفاء.

فمقام خلافة النبوة للعلماء.
ومقام خلافة الرسالة للأبدال.
ومقام خلافة أولى العزم للأوتاد.
ومقام خلافة الاصطفاء للأقطاب.

فمن الأولياء من يقوم فى عالم مقام الأنبياء، ومنهم من يقوم فى عالم مقام الرسل، ومنهم من يقوم فى عالم مقام أولى العزم، ومنهم من يقوم فى عالم مقام أولى الاصطفاء»[٢٠٣].

وعلى ذلك قالوا:

«الولاية ظل النبوة، والنبوة ظل الالهية... فالأنبياء عليهم السلام مصادر الحق، والأولياء مظاهر الصدق... والأولياء خصوا باشارات نبوية، واطلاعات حقيقية، وأرواح نورية، وأسرار قدسية، وأنفاس روحانية، ومشاهدات أزلية»[٢٠٤].

وبمثل هذا قال الكمشخانوى فى كتابه جامع أصول الأولياء[٢٠٥].

وآخر قال بوضوح أكثر:

«ما قيل فى النبى يقال فى الولىّ»[٢٠٦].

وكذب على رسول الله ﷺ أنه حكى عن الله عز وجل أنه قال:

«أولئك كلامهم كلام الأنبياء»[٢٠٧].

---

(٢٠٢) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٥١٩، ٥٢٠.

(٢٠٣) جامع الأصول فى الأولياء للكمشخانوى ص٥ ط المطبعة الوهبية طرابلس ١٣٩٨هـ.

(٢٠٤) الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين لأبى الظفر ظهير الدين القادرى ص٥٢ ط المطبعة الخيرية مصر الطبعة الأولى ١٣٠٦هـ.

(٢٠٥) انظر ص٧٠ ط المطبعة الوهبية طرابلس الشام ١٢٩٨هـ.

(٢٠٦) الفتوحات الالهية لابن عجيبة الحسنى ص٢٦٤ ط عالم الفكر القاهرة ١٩٨٣م.

(٢٠٧) أيضا ص١١٦.

تفضيل الولي على النبي

ولم يقتصر القوم على مثل هذه السخافات والأباطيل، بل زادوا فى غلوائهم حيث فضلوا الولاية على النبوة والرسالة، والأولياء على الأنبياء والمرسلين، فقالوا: «خضنا بحورا وقفت الأنبياء بسواحلها»(٢٠٨).

و «معاشر الأنبياء، أوتيتم اللقب، وأوتينا ما لم تؤتوه»(٢٠٩).

ونقلوا عن البسطامى أنه قال:

«تالله ان لوائى، أعظم من لواء محمد ﷺ، لوائى من نور تحته الجان والجن والانس، كلهم من النبيين»(٢١٠).

وهذا ما صرّح به بعضهم:

«مقام النبوة فى برزخ فويق الرسول ودون الولىّ»(٢١١)

لأن «الولاية: هى الفلك الأقصى، من سبح فيه اطلع، ومن اطلع علم، ومن علم تحول فى صورة ما علم. فذلك الولىّ المجهول الذى لا يعرف، والنكرة التى لا تتعرّف، لا يتقيد بصورة، ولا تعرف له سريرة، يلبس لكل حالة لبوسها، امّا نعيمها وامّا بؤسها.

يوماً يصان اذا لاقيت ذايمن وإن لقيت معديا فعدنان

امّعة، لما فى فلكه من السعة»(٢١٢)

و «ان الولاية هى المحيطة العامة، وهى الدائرة الكبرى، فمن حكمها أن يتولىّ الله من شاء من عباده بنبوة وهى من أحكام الولاية، وقد يتولاه بالرسالة وهى

---

(٢٠٨) الابريز للدباغ ص٢٧٦ نقلا عن أبى يزيد البسطامى، أيضا جمهرة الأولياء للمنوفى ج١ ص٢٦٦، طبقات الشعرانى ج٢ ص١٦، الفتوحات الالهية لابن عجيبة ص٢٦١، كذلك الانسان الكامل للجيلى نقلا عن أبى الغيث ج١ ص١٢٤.

(٢٠٩) الانسان الكامل للجيلى ج١ ص١٢٤، كذلك الجواهر والدرر ص٢٨٦ بهامش الابريز، الجواب المستقيم لابن عربى ص٢٤٧ نقلا عن الجيلى.

(٢١٠) لطائف المنن والأخلاق للشعرانى ج١ ص١٢٥، أيضا شرح شطحيات (فارسى) روزبهان بقلى شيرازى ص١٣٢ بتصحيح هنرى كربين ط طهران ١٩٨١م.

(٢١١) انظر طبقات الشعرانى ج١ ص٦٨ ط دار العلم للجميع.

(٢١٢) كتاب التجليات ص٢٠ من رسائل ابن عربى ط الهند.

من أحكـام الـولايـة أيضـا . فكل رسول لابد أن يكون نبيا ، وكل نبيّ لابد أن يكون وليـا ، فكـل رسول لابد أن يكون وليا . فالرسالة بخصوص مقام فى الولاية . والرسالة فى الملائكة دنيا وآخرة ، لأنهم سفراء الحق لبعضهم . . . والرسالة فى البشر لا تكون إلا فى الـدنيـا ، وينقطـع حكمهـا فى الآخـرة . وكذلك تنقطع فى الآخرة بعد دخول الجنة والنار نبوة التشريع ، لا النبوة العامة .

وأصـل الـرسالة فى الأسماء الالهية . وحقيقة الرسالة ابلاغ كلام من متكلم إلى سامع . فهى حال لا مقام ، ولا بقاء لها بعد انقضاء التبليغ ، وهى تتجدد»(٢١٣) .

بخـلاف الـولايـة فانهـا لا تنقطـع أبـدا ، ولا تحدّ ، لا بالزمان ولا بالمكان ، ولها الانبـاء العـام «والله لم يتسمّ بنبى ولا رسـول ، وتسمّى بالولىّ ، واتصف بهذا الاسم ، فقال : الله ولىّ الذين آمنوا ، وقال : هو الولىّ الحميد ، وهذا الاسم باق جار على عباد الله دنيا وآخرة»(٢١٤) .

وان الولىّ يعلم علمين : علم الشريعة ، وعلم الحقيقة ، أى الظاهر والباطن ، والتنـزيـل والتأويـل ، حيث أن الـرسول من حيث هو رسول ليس له علم إلا بالظاهر والتنزيل والشريعة «فاذا رأيت النبى يتكلم بكلام خارج عن التشريع فمن حيث هو ولىّ عارف ، ولهـذا مقـامـه من حيث هو عارف أتمّ وأكمـل من حيث هو رسـول أو ذو تشريع وشرع»(٢١٥) .

وان النبى والرسول يستمدّ بالعلم والمعرفة من الملك الذى يبلغه الوحى الالهى بواسطتـه ، ولا يمكنـه الأخذ من الله مباشرة ، والولىّ يستمد المعرفة من حيث يأخذها الملك الـذى يؤدى بدوره الى الأنبيـاء والـرسـل «فمـرجع الرسول والنبى المشرع إلى الولاية والعلم»(٢١٦) .

فلذلك قال ابن عربى بصراحة لا تحتمل التأويل :

«ومـا يراه أحـد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسل الخاتم ، ولا يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولىّ الخاتم ، حتى أن الرسل لا يرونه ـ متى رأوه ـ إلا من

---

(٢١٣) الفتوحات المكية لابن عربى ج٢ ص٢٥٦ ، ٢٥٧ .

(٢١٤) فصوص الحكم لابن عربى بتعليقات الدكتور أبى العلاء العفيفى ج١ ص١٣٥ ط دار الكتاب العربى بيروت .

(٢١٥) أيضا فصّ حكمة قدرية فى كلمة عزيرية ص١٣٥ .

(٢١٦) أيضا الفصّ العزيرى .

مشكـاة خاتم الأوليـاء: فإن الـرسالة والنبوة ـ أعني نبوة التشريع ورسالته ـ تنقطعان، والـولايـة لا تنقطـع أبـداً. فالمـرسلون، من كونهم أوليـاء، لا يرون ما ذكـرناه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فكيف من دونهم من الأولياء؟ وإن كان خاتم الأولياء تابعاً فى الحكم لما جاء به خاتم الـرسـل من التشـريع، فذلك لا يقدح فى مقامه ولا يناقض ما ذهبنـا إليـه، فإنـه من وجـه يكون أنزل كما أنه من وجه يكون أعلى . . . لما مثل النبي ﷺ النبوة بالحائط من اللبِّن وقد كَمُلَ سوى موضع لبِنَة، فكان ﷺ تلك اللبنة. غير أنه ﷺ لا يراها كما قال لبِنَةً واحدةً. وأما خاتم الأولياء فلابد له من هذه الرؤيا، فيرى ما مثله به رسول الله ﷺ ، ويرى فى الحائط موضع لبِنَتين، واللبِنُ من ذهب وفضة. فيرى اللبنتين اللتين تنقص الحائط عنهما وتكمل بهما، لبنة ذهب ولبنة فضة، فلابد أن يرى نفسـه تنطبـع فى موضـع تينـك اللبنتـين، فيكـون خاتم الأولياء تينك اللبنتين. فيكمـل الحـائـط. والسبب المـوجب لكونه رآها لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل فى الظـاهـر وهـو موضع اللبنة الفضة، وهوظاهره وما يتبعه فيه من الأحكام، كما هوآخذ عن الله فى السـر ما هوبالصـورة الظـاهـرة متبع فيه، لأنه يرى الأمر على ما هوعليه، فلابـد أن يراه هكـذا وهوموضع اللبنة الذهبية فى الباطن، فإنه أخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به إلى الرسول. فإن فهمت ما أشرت به فقد حصل لك العلم النـافـع بكـل شىء. فكل نبي من لدن آدم إلى آخر نبي ما منهم أحد يأخذ إلا من مشكـاة خاتم النبيـين، وإن تأخـر وجـود طينتـه، فإنـه بحقيقته موجود، وهوقوله ﷺ : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين». وغيره من الأنبياء ما كان نبياً إلا حين بُعِثَ، وكذلك خاتم الأولياء كان ولياً وآدم بين الماء والطين، وغيره من الأولياء ما كان ولياً إلا بعـد تحصيله شرائـط الـولاية من الأخلاق الالهية فى الاتصاف بها من كون الله تعالى تسمّى «بالولي الحميد». خاتم الرسل من حيث ولايته، نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبيـاء والـرسـل معه، فإنه الولي الرسول النبي. وخاتم الأولياء الولي الوارث الآخذ عن الأصل المشاهد للمراتب»(٢١٧).

ولا أدرى كيف يدافــع من يدافـع عن ابن عربى بأنـه لا يفضـل الـولى على النبى، بعـد هذه التصـريحـات كلها؟ حيث يجعل خاتم الأولياء منبع العلوم، ومصدر الفيض لجميع الأنبياء والرسل، وأنهم لا يستمدّون إلا منه، ولا يستقون إلا من ذلك

---

(٢١٧) فصوص الحكم لابن عربى فصّ حكمة نفثية فى كلمة شيثية ص٦٢، ٦٣، ٦٤.

المنهـل والمـورد، ولا يستضيئون إلا من مشكاته، وهذا الفيض الشيئى والعزيرى نص فى القضية.

ولذلك ردّ شيخ الإسلام ابن تيمية فى رسائله بشدّة عليه، وعلى من نهج منهجه وسلك مسلكـه، فى رسـائله وكتبـه، ونسب كلامـه إلى الكفـر الـذى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّاً(٢١٨).

وقال شيخ الإسلام فى فتاواه:

«وكذا لفظ «خاتم الأولياء» لفظ باطل لا أصل له، وأول من ذكره محمد بن علي الحكيم الـترمـذي، وقد انتحله طائفة كل منهم يدعى انه خاتم الأولياء: كابن حمويه وابن عربى وبعض الشيوخ الضالين بدمشق وغيرها، وكل منهم يدعى انه أفضل من النبى عليـه السـلام من بعض الـوجوه، إلى غير ذلك من الكفر والبهتان، وكل ذلك طمعـاً فى ريـاسة خاتم الأولياء لما فاتتهم رياسة خاتم الأنبياء، وقد غلطوا؛ فان خاتم الأنبيـاء إنـما كان أفضلهم للأدلة الدالة على ذلك، وليس كذلك خاتم الأولياء. فان أفضـل أوليـاء هذه الأمـة السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، وخير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر رضي الله عنه، ثم عمر رضي الله عنه، ثم عثمان رضي الله عنه، ثم علي رضي الله عنه، وخير قرونها القرن الذى بعث فيه النبي ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، وخاتم الأولياء فى الحقيقة آخر مؤمن تقي يكون فى الناس، وليس ذلـك بخـير الأوليـاء، ولا أفضلهم بل خيرهم وأفضلهم أبـو بكر الصديق رضي الله تعـالى عنـه، ثم عمـر: اللذان ما طلعت شمس ولا غربت على أحـد بعـد النبيـين والمرسلين أفضل منهما»(٢١٩).

وقبـل أن نورد نصـوصـا أخـرى من القـوم ممن خلف ابن عربى فى مثـل هذه المقولات وسبقوه نودّ أن نلفت أنظار القراء والباحثين إلى أن خاتم الأولياء الذى صعد وارتقى تلك المنـزلـة الكـبرى، وحاز ذلك المنصب العظيم حتى ازداد على أنبياء الله ورسله، لم يكن عند ابن عربى إلا هو نفسه كما يقول فى فتوحاته:

«أنـا ختـم الـولايـة دون شك
لورثـى الهـاشـمـى مع المـسـيـح
كما أنـى أبـو بكـر عتـيـق

(٢١٨) انظر مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية ج٤ ص٥٧ ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
(٢١٩) فتاوى شيخ الاسلام ج١١ ص٤٤٤ جمع وترتيب عبد الرحمن بم محمد بن قاسم وابنه.

أجـاهــل كلّ ذى جســم وروح
بأرواح مثـقــفــة طوال
وتــرجمــة بقــرآن فصــيح
أشــدّ على كتــيـبــة كل عقــل
تنــازعـنــى على الــوحـى الـصــريـح
لى الــورع الــذى يســمــو اعــتــلاء
على الأحــوال بالــنــبأ الــصـحــيـح
وســاعــدنــى عليــه رجــال صدق
من الــورعــين من أهــل الــفــتــوح
يوالــون الــوجــوب وكــلّ ندب
ويــســتــثنــون سلطنــة المبيــح»[٢٢٠]

وهنـاك تصـريحات أخرى منه ومن أتباعه، نذكرها فى ترجمته فى باب مستقل فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، تحت تراجم كبراء المتصوفين ـ إن شاء الله الرحمان.

وأمـا الحكيم الـترمـذى الـذى منـه أخـذ ابن عربى تلك الفكرة فى أخذ النبى العلم والمعرفـة من الملك، وأخـذ الـولّى بدون واسطـة، فيقول فى جواب سؤال: ما الفرق بين النبوة والولاية؟ :

«الفرق بين النبوة والولاية أن النبوة كلام ينفصل من الله وحيا، ومعه روح من الله فيقضى الوحى ويختم بالروح . . . والولاية لمن ولى الله حديثه على طريق أخرى، فأوصله إليه فله الحديث، وينفصل ذلك الحديث من الله عز وجل، على لسان الحق معه السكينة، تتلقاه السكينة التى فى قلب المحدّث، فيقبله ويسكن إليه»[٢٢١].

ثم يذكر خاتم الأولياء فيقول:

«لما قبض الله عز وجل نبيه ﷺ صيرّ فى أمته أربعين صديقا بهم تقوم الأرض، وهم آل بيته، فكلما مات واحد منهم خلفه من يقوم مقامه، حتى اذا انقرض عددهم وأتى وقت زوال الـدنيـا ابتعث الله وليـا اصطفـاه واجتبـاه، وقـرّبه وأدناه، وأعطاه ما أعطى الأوليـاء، وخصّـه بخـاتم الـولايـة، فيكـون حجـة الله يوم القيـامة على سائر

---

(٢٢٠) الفتوحـات المكيـة لابن عربى ج٤ البـاب الثالث والأربعون ص٧١ بتحقيق عثمان ابراهيم يحيى مدكور ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

(٢٢١) كتاب ختم الولاية الفصل العاشر علامات الأولياء ص٣٤٦، ٣٤٧.

الأولياء، فيوجد عنده بذلك الختم صدق الولاية على سبيل ما وجد عند محمد ﷺ من صدق النبوة فلم ينله العدو، ولا وجدت النفس إليه سبيلا إلى الأخذ بحظها من الولاية.

فاذا برز الأولياء يوم القيامة واقتضوا صدق الولاية والعبودية وجد الوفاء عند هذا الذى ختم الولاية تماما، فكان حجة الله عليهم وعلى سائر الموحدين من بعدهم، وكان شفيعهم يوم القيامة، فهو سيدهم، ساد الأولياء، كما ساد محمد ﷺ الأنبياء، فينصب له مقام الشفاعة، ويثنى على الله تعالى ثناء ويحمده بمحامد يقرّ الأولياء بفضله عليهم فى العلم بالله تعالى.

فلم يزل هذا الولى مذكورا فى البدء، أولا فى الذكر، وأولا فى العلم، ثم هو الأول فى المشيئة، ثم هو الأول فى اللوح المحفوظ، ثم الأول فى الميثاق، ثم الأول فى المحشر، ثم الأول فى الجوار، ثم الأول فى الخطاب، ثم الأول فى الوفادة، ثم الأول فى الشفاعة، ثم الأول فى دخول الدار، ثم الأول فى الزيارة، فهو فى كل مكان أول الأولياء»(٢٢٢).

وقد سئل: أين مقامه؟ فقال:

«فى أعلى منازل الأولياء، فى ملك الفردانية، وقد انفرد فى وحدانيته، ومناجاته كفاحا فى مجالس الملك، وهداياه من خزائن السعى.

قال: وما خزائن السعى؟

قال: انما هى ثلاث خزائن: المنن للأولياء، وخزائن السعى لهذا الامام القائد، وخزائن القرب للأنبياء عليهم السلام، فهذا (خاتم الأولياء) مقامه من خزائن المنن، ومتناوله من خزائن القرب، فهو فى السعى أبدا، فمرتبته هنا، ومتناوله من خزائن الأنبياء عليهم السلام، قد انكشفت له الغطاء عن مقام الأنبياء ومراتبهم وتحفهم»(٢٢٣).

ويقول أيضا:

«وقد يكون فى الأولياء من هو أرفع درجة، وذك عبد قد ولى الله استعماله، فهو فى قبضته يتقلب، به ينطق، وبه يسمع، وبه يبصر، وبه يبطش، وبه يعقل، شهره فى

---

(٢٢٢) ختم الولاية للترمذى الحكيم الفصل التاسع ص٣٤٤، ٣٤٥.

(٢٢٣) أيضا ص٣٦٧.

أرضـه، وجعله امـام خلقـه، وصاحب لواء الأولياء، وأمان أهل الأرض، ومنظر أهل السماء، وريحانة الجنان، وخاصة الله، وموضع نظره، ومعدن سره، وسوطه فى أرضه، يؤدب به خلقـه، ويحيي القلوب الميتـة برؤ يتـه، ويـرد الخلق إلى طريقـه، وينعش به حقوقه. ـ مفتاح الهدى، وسراج الأرض، وأمين صحيفة الأولياء، وقائدهـم، والقائم بالثنـاء على ربـه، بين يدي رسـول الله، ﷺ ! ـ يبـاهي به الرسول فى ذلك الموقف، وينـوه الله باسمـه فى ذلـك المقـام، ويقر عين رسول الله، ﷺ ! قد أخذ الله بقلبه أيام الـدنيـا، ونحله حكمتـه العليـا، وأهدى اليه توحيده، ونزه طريقه عن رؤ ية النفس، وظـل الهـوى. ـ وأئتمنـه على صحيفـة الأوليـاء، وعـرّفـه مقـامـاتهم، وأطلعه على منـازلهم. فهـو سيد النجباء، وصالح الحكماء، وشفاء الادواء، وإمام الاطباء. كلامه قيد القلوب، ورؤ يته شفاء النفوس، وإقباله قهر الاهواء، وقربه طهر الادناس. ـ فهو ربيـع يزهـر نوْره أبـداً، وخـريف يجنى ثماره دأباً، وكهف يلجأ اليه، ومعدن يؤمل ما لديه، وفصل بين الحق والباطل. وهو الصديق والفاروق والولي والعارف والمحدّث. هو واحد الله فى أرضه»[٢٢٤].

وأما ما قاله المتأخرون فهو أظهر وأصرح، فيقول داود القيصرى:

«فالنبوة دائرة تامة مشتملة على دوائر متباينة متفاوتة فى الحيطة، وقد علمت أن الظـاهـر لا يأخـذ التأييـد والقوة والقدرة والتصرف والعلوم، وجميع ما يفيض من الحق تعـالى عليـه إلا بالباطن: وهو مقام الولاية، المأخوذة من الولى، وهو القرب، والولىّ بمعنى الحبيب أيضا منه.

فباطن النبوة الولاية، وهى تنقسم بالعامة والخاصة. فالأولى تشتمل على كل من آمن بالله وعمل صالحا، على حسب مراتبهم كما قال الله تعالى: الله ولىّ الذين آمنوا.

والثانية تشتمل على الواصلين من السالكين فقط، عند فنائهم فيه وبقائهم به فى الولاية الخاصة، عبارة عن فناء العبد فى الحق. فالولىّ هو الفانى فيه الباقى به.

. . . وهـذا الفنـاء موجب لأن يتعينّ العبد بتعيّنات حقانية وصفات ربانية مرة أخرى، وهو البقأ بالحق، فلا يرتفع التعين منه مطلقا، وهذا المقام دايرة أتمّ وأكبر من دايرة النبوة، لذلك انختمت النبوة، والولاية دائمة، وجعل الولىّ، اسما من أسماء الله

---

(٢٢٤) نوادر الأصول للترمذى ص١٥٧، ١٥٨ ط الآستانا.

تعالى دون النبى ، ولما كانت الولاية أكبر حيطة من النبوة وباطنا لها ، شملت الأنبياء والأولياء . فالأنبياء هم أولياء فانون بالحق ، باقون به ، منبئون عن الغيب وأسراره . . . ولا نهاية لكمال الولاية ، فمراتب الأولياء غير متناهية»(٢٢٥) .

هذا ومثل هذا كثير عنده .

وهناك تلميذ آخر لابن عربى شيعى ، فقال مثل ما قاله القيصرى :

«وفى الحقيقة : الولاية هى باطن النبوة ، والفرق بين النبى والرسول والولىّ أن النبى والرسول لهما التصرف فى الخلق بحسب الظاهر والشريعة ، والولى له التصرف فيهم بحسب الباطن والحقيقة ومن هذا قالوا : النبوة تنقطع ، والولاية لا تنقطع أبدا»(٢٢٦) .

وقال النسفى عزيز الدين بن محمد المتوفى ٦٧١هـ فى كتابه (زبدة الحقائق) :

«ان طائفة من الصوفية ذهبت إلى تفضيل الولاية على النبوة ، وقالوا : ان النبوة باطنها الولاية ، وأما الولاية فباطنها عالم الاله»(٢٢٧) .

هذا ما ذكره فى كتابه (زبدة الحقائق) ، وبمثل ذلك ذكر فى كتابه (الانسان الكامل)(٢٢٨) .

وأما ما قاله فى كتابه (كشف الحقائق) فهو :

«أيها العارف ، أن العارفين عند أهل الوحدة ثلاثة طوائف : حكماء وأنبياء وأولياء ، فالحكيم من يكون عارفا بطبائع الأشياء ، والنبى من يكون عارفا بطبائع الأشياء وخواصّها ، والولىّ من يكون عارفا بطبائع الأشياء وخواصّها وحقائقها ، فظهر أنه لا يوجد فى العالم أحد يضاهى الولىّ فى العلم والقدرة ، لأن الله له تجلّيان : تجلى عام ، وتجلى خاص .

فالتجلى العام عبارة عن أفراد الموجودات ، والتجلى الخاص عبارة عن الولىّ ، وهذا هو معنى قول الله عز وجل : فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شىء

(٢٢٥) مقدمة شرح الفصوص للقيصرى مخطوط ص٨٦ وما بعد المنقول من كتاب ختم الأولياء ص٤٩١ .

(٢٢٦) كتاب نص النصوص لحيدر الآملى مخطوط ص٩١ وما بعد .

(٢٢٧) زبد الحقائق للنسفى طبعة فارسية ص٥٩ بتصحيح تعليق حق وردى ناصرى ط ايران ١٤٠٥هجرى قمرى .

(٢٢٨) انظر ص١١٠ .

قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما»[٢٢٩].

ويقول فى موضع آخر من كتابه:

«المعرفة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: الأول معرفة طبيعة كل شيء، وهذه رتبة الحكماء، والثانى معرفة خاصية كل شيء، وهذه رتبة الأنبياء، والثالث معرفة حقيقة كل شيء، وهذه رتبة الأولياء، واعلم أن أهل الوحدة فضّلوا النبىّ على الحكيم، والولىّ على النبىّ، فان كل نبىّ حكيم، وكل ولىّ نبىّ، وليس كل نبى وليا»[٢٣٠].

وأما صوفى آخر سعد الدين حمويه فيقول فى مثنويّه:

«واو الولاية أقرب إلى الحضرة الالهية من نون النبوة، فلأجل هذا التقرب تعتبر الولاية أفضل من النبوة، ثم يبيّن ذلك فى أبياته قائلا:

الحرف الأول من كلمة الولاية هو الواو
والواو فى وسطها ألف أيها المريد
والحرف الأول من كلمة النبوة هو النون
والنون فى وسطها حرف الواو
فاذن الولىّ قلب النبى وروحه
وروح الولىّ هو ذات الله ونفسه»[٢٣١]

فهذه هى عقيدة المتصوفة فى الأولياء، والولاية، عين تلك العقيدة الشيعية الشنيعة التى ذكرناها من قبل، وهى تتضمن تفضيل الأولياء على أنبياء الله ورسله، والبعض الآخر كتموها عملا بالتقية التى لم يأخذوها أيضا إلا من الشيعة كما سنذكرها.

فإن الولىّ عندهم فوق الرسول والنبى، ودون الله قليلا، وأحيانا يحذفون هذا الفرق البسيط أيضا بينه وبين الله، ويجعلونه ذات الله وعينه، سواء اتحد به، أوذلك اتحد به، وعلى ذلك قالوا:

«لو كشف عن حقيقة الولىّ لعبد»[٢٣٢].

---

(٢٢٩) كشف الحقائق لعزيز الدين النسفى بتصحيح وتعليق دكتر أحمد مهدوى طبعة فارسية ص٥٩ ط طهران ١٣٥٩ هجرى قمرى.

(٢٣٠) كشف الحقائق للنسفى طبعة فارسية ص١٠٢.

(٢٣١) انظر جهل مجلس لعلاؤ الدين سمنانى بتصحيح عبد الرفيع حقيقت ص٤٥، ٤٦.

(٢٣٢) غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ج١ ص٢٣٥ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.

إجراء النبوة

وبهذه المناسبة نريد أن نذكر ههنا عقيدة صوفية خبيثة أخرى، أخذوها من بعض فرق الشيعة، من الخطابية، والخرمية، والمنصورية وغيرها بأن رسالة الله لا تنقطع أبدا، وأن النبوة جارية، ويأتى نبىّ حينا بعد حين(٢٣٣).

وهم بدورهم أخذوها من اليهودية مثل العقائد الأخرى كما ذكره ولهوزن: «ان النبى الصادق واحد يعود أبدا»(٢٣٤).

ومعلوم أن هذه العقيدة لم تعتنقها فرق الشيعة إلا للقضاء على الإسلام وهدم كيانه، وفتح الأبواب على الدجالين والكذابين لترويج نبواتهم الباطلة ودعاويهم الكاذبة، واخراج المسلمين عن حظيرة الاسلام، وادخالهم فى بؤرة الكفر والارتداد، وابعادهم عن محمد الصادق المصدوق الأمين عليه الصلاة والسلام وعن شريعته السماوية السمحاء، ونشر الفتن والقلاقل بينهم، وفكّ جمعيتهم، وتشتيت شملهم، وتفريق كلمتهم، وتمزيق جماعتهم، والقضاء على شأنهم وشوكتهم، وسدّ سيل النور كى لا يعمّ المعمورة، ويشمل الكون، ووضع العراقيل فى طريقه، مخالفين النصوص الصريحة المعارضة فى كلام الله المحكم، وحديث رسول الله الثابت عنه عليه الصلاة والسلام مثل قوله جل وعلا:

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾(٢٣٥).

وقوله تبارك وتعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا﴾**(٢٣٦).

وقوله جلّ من قائل: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**(٢٣٧).

---

(٢٣٣) انظر لذلك فرق الشيعة للنوبختى ص٧٠ وما بعد، كذلك كتاب المقالات والفرق للأشعرى القمى الشيعى ص٤٦ و٥٤ و٦٤، وانظر كذلك كتب السنة من مقالات الاسلاميين للأشعرى، والفرق بين الفرق للبغدادى والملل والنحل للشهرستانى وغيرها.

(٢٣٤) انظر «الأحزاب المعارضة الدينية السياسية فى صدر الاسلام لولهوزن ص٢٤٩ ترجمة عربية للبدوى.

(٢٣٥) سورة الأحزاب الآية ٤٠.

(٢٣٦) سورة المائدة الآية ٣.

(٢٣٧) سورة سبأ الآية ٢٨.

وقوله : ﴿قل ياأيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً﴾[٢٣٨] .

وقول رسول الله ﷺ : «أنا خاتم النبيين لا نبىّ بعدى»[٢٣٩] .

وقوله عليه الصلاة والسلام : «إنى آخر الأنبياء ومسجدى آخر المساجد»[٢٤٠] .

وقوله ﷺ : «مثلى ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه ، ترك منه موضع لبنة ، فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه إلا موضع تلك اللبنة ، فكنت أنا سددت موضع اللبنة ، ختم بى البنيان ، وختم بى الرسل»[٢٤١] .

وغيرها من الأحاديث الكثيرة الكثيرة فى هذا المعنى ولكن القوم يقولون عكس ذلك ، معرضين عن كلام الله وكلام رسوله ﷺ ، متبعين غير سبيل المؤمنين ، فيقول شيخهم الأكبر متفوّها الكفر الصريح :

«ويجمع النبوة كلها أمّ الكتاب ، ومفتاحها : بسم الله الرحمن الرحيم . فالنبوة سارية إلى يوم القيامة فى الخلق . وان كان التشريع قد انقطع ، فالتشريع جزء من أجزاء النبوة ، فانه يستحيل أن ينقطع خبر الله وأخباره من العالم ، اذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به فى بقاء وجوده : قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا ، : ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ، وقد أخبر الله أنه ما من شىء يريد ايجاده إلا يقول له : كن ، فهذه كلمات الله لا تنقطع ، وهى النداء العام لجميع الموجودات . فهذا جزء واحد من أجزاء النبوة لا ينفد ، فأين أنت من باقى الأجزاء التى لها»[٢٤٢] .

فهذه هى عقيدة القوم بلسان قدّيسهم ، وفى فتوحاته التى يقولون فيها ، وفيه :

فتوحات شيخى غادة مدنية ... كستها نفيسات العلوم ملابسا
فلا عجب لو تشتهيها نفوسنا ... وأبحاثها أبدت إلينا نفائسا
فلله درّ الشيخ أكبر عصره ... بأنفاسه لازال يحيى المجالسا

---

(٢٣٨) سورة الأعراف الآية ١٥٨ .

(٢٣٩) أخرجه أبو داود والترمذى .

(٢٤٠) أخرجه مسلم .

(٢٤١) متفق عليه .

(٢٤٢) الفتوحات المكية لابن عربى ج٢ ص٩٠ .

وهذه العقيدة هى التى شجعت الكثيرين من المتنبئين والكذابين على الله أن يدّعوا النبوة بعد محمد صلوات الله وسلامه عليه، مثل الغلام القاديانى الذى استشهد على تنبئه بكلام ابن عربى هذا[٢٤٣]، وغيره من الدجاجلة الآخرين، مع تصريح رسول الله ﷺ : «لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالون، كلهم يزعم أنه رسول الله، وأنا خاتم النبيين لا نبى بعدى»[٢٤٤].

ولكن ابن عربى يقول معاكسا لذلك فى فتوحاته :

«ويتضمن هذا الباب المسائل التى لا يعلمها إلا الأكابر من عباد الله، الذى هم فى زمانهم بمنزلة الأنبياء فى زمان النبوة، وهى النبوة العامة.

فان النبوة التى انقطعت بوجود رسول الله ﷺ إنما هى نبوة التشريع لا مقامها فلا شرع يكون ناسخا لشرعه ﷺ ، ولا يزيد فى حكمه شرعا آخر. وهذا معنى قوله ﷺ : ان الرسالة والنبوة انقطعت، فلا رسول بعدى ولا نبى : أى لا نبىّ بعدى يكون على شرع يكون مخالفا لشرعى، بل اذا كان، يكون تحت حكم شريعتى . . .

فهذا هو الذى انقطع وسدّ بابه، لا مقام النبوة»[٢٤٥].

فهل يقول المتنبئون الدجالون الكذابون غير هذا؟

فانهم لا يلتقطون إلا من موائد الصوفية وخوانها، ولا يستوحون إلا من أمثال شيخهم الأكبر.

ويقول ابن عربى كذلك مجيبا على سؤال الترمذى الملقب بالحكيم : أين مقام الأنبياء من مقام الأولياء؟ يجيب على هذا ويقول :

«وان كان سؤاله عن مقام الأنبياء من الأولياء، أى أنبياء الأولياء - وهى النبوة التى قلنا انها لم تنقطع، فانها ليست نبوة الشرائع - وكذلك فى السؤال عن مقام الرسل، الذين هم أنبياء - فلنقل فى جوابه : ان أنبياء الأولياء، مقامهم من الحضرات الالهية الفردانية؛ والاسم الالهي الذي تعبدهم (هو) الفرد؛ وهم المسمون الافراد. فهذا هو مقام نبوة الولاية، لا نبوة الشرائع. واما مقام الرسل، الذين هم أنبياء - فهم الذين لهم خصائص على ما تعبدوا به اتباعهم. كمحمد ﷺ ، فيما قيل له : «خالصة

---

(٢٤٣) انظر جريدة الحكم القاديانية الصادرة ١٠ ابريل/ ١٩٣٠م المنقول من كتابنا (القاديانية دراسات وتحليل) ص٢٨٦ الطبعة العشرون ط ادارة ترجمان السنة باكستان.

(٢٤٤) رواه أبو داود والترمذى.

(٢٤٥) الفتوحات المكية لابن عربى ج٢ ص٣.

لك من دون المؤمنين» فى النكاح بالهبة. فمن الرسل من لهم خصائص على أمتهم. ومنهم من لا يختصه الله بشيء دون أمته.

وكذلك الأولياء: فيهم أنبياء، أي خصوا بعلم لا يحصل إلا لنبي، من العلم الالهي. ويكــون حكمهم من الله، فيــما أخــبرهم به، حكم المـلائكـة. ولهـذا قال (تعالى) فى نبي الشرائع: «ما لم تحط به خبراً»، أي ما هو ذوقك، ياموسى! مع كونه كليم الله. فخرق (الخضر) السفينة، وقتل الغلام حكماً، واقام الجدار - مكارم خلق - عن حكم أمـر الالهى، (هـذا كله) كخسف البـلاد على يدي جبريـل ومن كان من المـلائكـة. ولهـذا كان الافراد من البشر بمنزلة المهيمين من الملائكة، وأنبياؤ هم منهم بمنزلة الرسل من الأنبياء»(٢٤٦).

هذا ويقول الآخرون مثل ما قاله ابن عربى، فيقول الفرغانى:

«أما الولاية فهى التصرف فى الخلق بالحق، وليست فى الحقيقة إلا باطن النبوة، لأن النبوة ظاهرة الأنباء، وباطنها التصرف فى النفوس باجراء الأحكام عليها.

والنبـوة مختـومـة من حيث الأنبـاء، اذ لا نبيّ بعد محمد ﷺ، دائمة من حيث الولاية والتصرف»(٢٤٧).

وأما السهروردى المقتول فيقول:

«ان اتفق فى الوقت متوغل فى التأله والبحث فله الرياسة، وان لم يتفق فالمتوغل فى التأله المتوسط فى البحث. وان لم يتفق فالحكيم المتوغل فى التأله عديم البحث، وهو خليفة الله.

ولا تخلو الأرض من متوغل فى التأله أبدا»(٢٤٨).

فهذه هى عقيدة أخرى منافية للإسلام ومخالفة له، ومعارضة لأسسه وقواعده، مناقضة لشرعته وتعاليمه، متبطنة الكفر أشد الكفر، ومتضمنة الارتداد كل الارتداد، مأخوذة من الشيعة واليهودية.

ومعـروف أنهم لم يخترعـوا هذه العقيـدة ولم يختلقوها ليوصلوا المتصوفة إلى مقام النبـوة ومكـانتهـا كما وصّـل الشيعـة إليها أئمتهم، فوصفوهم بجميع أوصاف النبوة، واختصاصاتها. ومن أهمها العصمة.

---

(٢٤٦) الجواب المستقيم عما سأل عنه الترمذى الحكيم سؤال رقم ١٨ ص١٦٧، ١٦٨ من كتاب ختم الأولياء.
(٢٤٧) المقدّمات للفرغانى مخطوط آيا صوفيا رقم ١٨٩٨ نقلا عن ختم الأولياء للترمذى ص٤٨٧ ط بيروت.
(٢٤٨) مجموعة فى الحكمة المشرقية للسهروردى ص٢٣، ٢٤.

العصمة

فالعصمة فى تبليغ رسالات الله ضرورية للأنبياء والرسل كى لا يقع الخطأ والغلط فى أداء أوامر الله ونواهيه، وأحكام الله وارشاداته، فيدعمون ويسددون بالوحى ونزول الملائكة عليهم، فما ينطقون عن الهوى، ويجب اتباعهم فى كل ما يقولونه ويأمرون به، لسلامتهم من الخطأ، والزلل بخلاف غيرهم، فانهم يمكن عليهم الخطأ والنسيان، والزلل والغلط، فلا يؤمن جانبهم من هذه الأمور كلها.

ولكن الشيعة الذين جعلوا أئمتهم كالأنبياء أو المشاركين فى النبوة والمضاهين لها، اختلقوا لهم هذه المكانة، وادعوا لهم هذه المنزلة، فقالوا:

«ان الامام يجب أن يكون معصوما»(٢٤٩).

وقال ابن بابويه القمى الملقب بالصدوق عند الشيعة:

«اعتقادنا فى الأنبياء والرسل والأئمة والملائكة عليهم السلام أنهم معصومون مطهرون من كل دنس، وأنهم لا يذنبون ذنبا لا صغيرا ولا كبيرا، ولا يعصون ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، ومن نفى عنهم العصمة فى شىء من أحوالهم فقد جهلهم، ومن جهلهم فهو كافر.

واعتقادنا فيهم أنهم معصومون موصوفون بالكمال والتمام والعلم من أوائل أمورهم وأواخرها، لا يوصفون فى شىء من أحوالهم بنقص ولا عصيان ولا جهل»(٢٥٠).

وقال خاتمة محدثى الشيعة ملاّ باقر المجلسى:

«الشرط الثانى فى الامام أن يكون معصوما، واجماع الامامية منعقد على أن الامام مثل النبىّ صلى الله عليه وآله معصوم من أول عمره إلى آخر عمره من جميع الذنوب الصغائر والكبائر والأحاديث المتواترة على هذا المضمون واردة»(٢٥١)

---

(٢٤٩) منهاج الكرامة للحلى ص٧١ المنشور مع منهاج السنة النبوية لابن تيمية ط باكستان أيضا تلخيص الشافى للطوسى ج١ ص١٨١ ط قم ايران، كمال الدين للقمى ج١ ص١٠.

(٢٥٠) اعتقادات الصدوق ص١٠٨.

(٢٥١) حق اليقين للمجلسى ص٣٩.

ورووا فى هذا الخصوص روايات مكذوبة على النبى ﷺ ، وعلى عليّ رضى الله عنه وأولاده .

منها ما رواها ابن بابويه القمى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه أنه قال : «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : أنا وعلي والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون»(٢٥٢) .

وروى المفيد فى أماليه عن جعفر بن محمد أنه قال :

«ان الله فرض ولايتنا ، وأوجب مودتنا ، والله ، ما نقول بأهوائنا ، ولا نعمل بآرائنا ، ولا نقول إلا ما قال ربنا عز وجل»(٢٥٣) .

وقال ابن بابويه القمى فى كتاب الخصال مفسرا قول الله عز وجل : لا ينال عهدى الظالمين ، يقول فى تفسير : «فاذن لا يكون الامام إلا معصوما ، ولا تعلم عصمته إلا بنصّ الله عز وجل عليه»(٢٥٤) .

وبمثل ذلك قال المتصوفة فى كبرائهم وأوليائهم .

وقبل أن نذكر النصوص فى هذا الخصوص نورد ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية فى هذا الباب عن الشيعة ومن تبعهم فى ذلك من المتصوفين :

«وكذلك الرافضة موصوفون بالغلو عند الأمة فان فيهم من ادّعى الالهية فى علي وهؤلاء شر من النصارى وفيهم من ادعى النبوة فيه ومن أثبت نبيا بعد محمد فهو شبيه بأتباع مسيلمة الكذاب وأمثاله من المتنبئين إلا أن عليا رضى الله عنه برىء من هذه الدعوة بخلاف من ادعى النبوة لنفسه كمسيلمة وأمثاله وهؤلاء الامامية يدعون ثبوت امامته بالنص وأنه كان معصوما هو وكثير من ذريته وأن القوم ظلموه وغصبوه ودعوى العصمة تضاهى المشاركة فى النبوة فان المعصوم يجب اتباعه فى كل ما يقول لا يجوز أن يخالف فى شيء وهذه خاصة الأنبياء ولهذا أمرنا أن نؤمن بما أنزل إليهم فقال تعالى **﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾** فأمرنا أن نقول آمنا بما أوتى النبيون وقال تعالى **﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من**

---

(٢٥٢) عيون أخبار الرضا لابن بابوية القمى ج١ ص٦٤ ط طهران .

(٢٥٣) الأمالى للمفيد ص٥٩ ، ٦٠ ط قم ايران ١٤٠٣هـ .

(٢٥٤) كتاب الخصال لابن بابويه القمى باب الخمسة ج١ ص٣١٠ ط ايران .

رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ وقال تعالى ﴿ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ فالايمان بما جاء به النبيون مما أمرنا أن نقوله ونؤمن به وهذا مما اتفق عليه المسلمون أنه يجب الايمان بكل نبى ومن كفر بنبى واحد فهو كافر ومن سبه وجب قتله باتفاق العلماء وليس كذلك من سوى الأنبياء سواء سموا أولياء أو أئمة أو حكماء أو علماء أو غير ذلك فمن جعل بعد الرسول معصوما يجب الايمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة وان لم يعطه لفظها ويقال لهذا ما الفرق بين هذا وبين أنبياء بنى اسرائيل الذين كانوا مأمورين باتباع شريعة التوراة وكثير من الغلاة فى المشايخ يعتقد أحدهم فى شيخه نحو ذلك ويقولون الشيخ محفوظ ويأمرون باتباع الشيخ فى كل ما يفعل لا يخالف فى شىء أصلا وهذا من جنس غلو الرافضة والنصارى والاسمعيلية تدعى فى أئمتها أنهم كانوا معصومين وأصحاب ابن تومرت الذى ادعى أنه المهدى يقولون انه معصوم ويقولون فى خطبة الجمعة الامام المعصوم والمهدى المعلوم ويقال انهم قتلوا بعض من أنكر أن يكون معصوما ومعلوم أن كل هذه الأقوال مخالفة لدين الاسلام للكتاب والسنة واجماع سلف الأمة وأئمتها فان الله تعالى يقول ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم فان تنازعتم فى شىء فردّوه إلى الله والرسول﴾ الآية فلم يأمرنا بالرد عند التنازع إلا إلى الله والرسول فمن أثبت شخصا معصوما غير الرسول أوجب رد ما تنازعوا فيه إليه لأنه لا يقول عنده إلا الحق كالرسول وهذا خلاف القرآن وأيضا فان المعصوم تجب طاعته مطلقا بلا قيد ومخالفه يستحق الوعيد والقرآن إنما أثبت هذا فى حق الرسول خاصة قال تعالى ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ وقال ﴿ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا﴾ . فدل القرآن فى غير موضع على أن من أطاع الرسول كان من أهل السعادة ولم يشترط فى ذلك طاعة معصوم آخر ومن عصى الرسول كان من أهل الوعيد وان قدر أنه أطاع من ظن أنه معصوم فالرسول ﷺ هو الذى فرق الله به بين أهل الجنة وأهل النار وبين الأبرار والفجار وبين الحق والباطل وبين الغى والرشاد والهدى والضلال وجعله القسيم الذى قسم الله به عباده إلى شقى وسعيد فمن اتبعه فهو السعيد ومن خالفه فهو الشقى وليست هذه المرتبة لغيره ولهذا اتفق أهل العلم أهل الكتاب والسنة على أن كل شخص سوى الرسول فانه يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ فانه يجب تصديقه فى كل ما أخبر وطاعته فى كل ما أمر فانه المعصوم

الذي لا ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى»(٢٥٥).

وهو كما قال شيخ الاسلام ان الصوفية يعتقدون فى أوليائهم ما يعتقد الشيعة فى أئمتهم من تأليههم، وجعلهم أنبياء أوكالأنبياء، معصومين، ولو أنهم كثيرا ما يتجنبون عن استعمال هذه اللفظة، ويستبدلونها بالحفظ، ولا يقصدون من ورائها إلا العصمة التى يستعملها الشيعة توقيا وتحفظا من طعن الطاعنين واعتراض المعترضين، وسترا لتلك الصلة الوثيقة التى تربطهم مع الشيعة، ولو أن بعض المتهورين منهم لم يراعوا هذا الكتمان والاخفاء، وباحوا بهذا السر جهرا وعلنا، عارفين بأن تقيتهم هذه لا تسمن ولا تغنى من جوع، لأن المراد من كلتا اللفظتين واحد، لا اختلاف بينهما من حيث المدلول، فقال قائلهم:

«وأما صور تلقيات الموحدين الخطابية فهو أن تنبعث اللطيفة الانسانية مجردة عن الفكر طالبة ما لا تعلم ممن لا تعلم منه إلا نسبة الوجود إليه بتقييدها به فاذا نزل هذا العقل بحضرة من الحضرات نزل إليه بحكم التدلى أوبرز له أوظهر له اسم من الأسماء الحسنى بما فيه من الأسرار فيهبه بحسب تجريده وصحة قصده وعصمته فى طريقه فيرجع إلى عالم كونه عالما بما القى إليه من علم ربه بربه أومن علم ربه بضرب من كونه ثم ينزل نزولا آخر هكذا ابدا (ما ادرى ما يفعل بى ولا بكم - ان اتبع إلا ما يوحى إلى) وهو خير البشر وأكثرهم عقلا وأصحهم فكرة وروية فأين الفكر هنا هيهات تلف أصحاب الأفكار والقائلون باكتساب النبوة والولاية كيف لهم ذلك والنبوة والولاية مقامان وراء طور العقل ليس للعقل فيهما كسب بل هما اختصاصان من الله تعالى لمن شاء»(٢٥٦).

فاستعمل الشيخ الأكبر للصوفية العصمة للأنبياء والأولياء، وسوّى بينهما، ولم ير الفرق فى كونهما مصطفين مختارين من قبل الله عز وجل، ومنزلتهما ومكانتهما لا تدركان بالعقل، ومنصبهما لا يكتسب.

وقال فى مقام آخر:

«ان من شرط الامام الباطن (يعنى الولى) أن يكون معصوما، وليس الظاهر ان كان غيره مقام العصمة»(٢٥٧).

---

(٢٥٥) منهاج السنة النبوية لشيخ الاسلام ص١٧٤، ١٧٥.

(٢٥٦) كتاب التراجم لابن عربى من مجموعة رسائله ص٤.

(٢٥٧) الفتوحات المكية لابن عربى ج٣ ص١٨٣.

وبمثل ذلك قال أبو الحسن الشاذلى :

«ان من خواص القطب امداد الله له بالرحمة والعصمة والخلافة والنيابة»(٢٥٨).

وروى صوفى قديم أبو عبد الرحمن السُلمى فى (طبقات الصوفية) عن أبى بكر محمد الدينورى أنه سئل عن علامة الصوفى ما هى؟

فقال : «أن يكون مشغولا بكل ما هو أولى به من غيره ، ويكون معصوما عن المذمومات»(٢٥٩).

ونقل الدكتور عبد الحليم محمود عن صوفى متقدم أبى بكر الواسطى المتوفى **٣٢٠هـ** أنه قسّم المتصوفة على ثلاثة أقسام ، فقال :

«الناس على ثلاث طبقات ، الطبقة الأولى : منّ الله عليهم بأنوار الهداية ، فهم معصومون من الكفر والشرك والنفاق .

والطبقة الثانية : منّ الله عليهم بأنوار العناية فهم معصومون من الصغائر والكبائر .

والطبقة الثالثة : منّ الله عليهم بالكفاية فهم معصومون عن الخواطر الفاسدة وحركات أهل الفضيلة»(٢٦٠).

ويزيل السهروردى عبد القاهر فى عوارفه بعض الحجاب عن ذلك السرّ الذى طالما أخفاه المتصوفة اخفاء على تشيّعهم ، ومصدر تصوفهم ، ومنبع أفكارهم ، فيقول :

«الشيخ للمريدين أمين الالهام ، كما أن جبريل أمين الوحى ، فكما لا يخون جبريل فى الوحى ، لا يخون الشيخ فى الالهام ، وكما أن رسول الله ﷺ لا ينطق عن الهوى فالشيخ مقتد برسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا ، لا يتكلم بهوى النفس»(٢٦١).

لأن الشيخ «والعارف معدن علم الله ، مرضع أرواح الطالبين بنفسه ، صحف

---

(٢٥٨) كتاب القصد للشاذلى المنقول من كتاب (الصلة بين التصوف والتشيع) ج١ ص٤١٧ .

(٢٥٩) طبقات الصوفية للسلمى ص١٠٩ ط مطابع الشعب القاهرة ١٣٨٠هـ .

(٢٦٠) انظر غيث المواهب العلية فى شرح الحكم العطائية للنفزى الرندى ج١ ص١٦٠ حاشية رقم ٢ لعبد الحليم محمود الطبعة الأولى القاهرة ١٩٧٠ .

(٢٦١) عوارف المعارف للسهروردى ص٤٠٤ ط دار الكتاب العربى بيروت ١٩٨٣م .

أسرار ربّ العالمين بروحه، العارف وان كان بدويا وحشيا فهو معدن العقل والعلم»[٢٦٢].

وهم معصومون «لأنهم أطفال فى حجر الحق»[٢٦٣].

«كالأب الشفيق»[٢٦٤].

أو «كولد اللبوة فى حجرها»[٢٦٥].

و«انهم قائمون بالله، قد تولى الله أمرهم، فاذا ظهرت منهم طاعة، لم يرجوا عليها ثوابا، لأنهم لم يروا أنفسهم محالا لها، وان ظهرت منهم زلّة فالدية على العاقلة، لم يشاهدوا غيره فى الشدة والرخاء، قيامهم بالله، ونظرهم إليه، وخوفهم هيبتهم، ورجاؤهم الأنس به»[٢٦٦].

و«انهم لا يعرفون إبليس والشيطان»[٢٦٧].

«أو ما خلق الله خلقا أهون عليهم من إبليس، ولولا أن الله أمرهم أن يتعوذوا منه ما تعوذوا منه»[٢٦٨].

ولربما استعملوا الحفظ على أوليائهم ومتصوفيهم، بدل العصمة الشيعية لأئمتهم، لكن فى نفس المعنى والمقصود، فقالوا:

«ومن شرط الولىّ أن يكون محفوظا، كما أن من شرط النبى أن يكون معصوما»[٢٦٩].

---

(٢٦٢) مناقب العارفين للأفلاكى ج١ ص٢٨٦ . ملحوظة: ان الدكتور الشيبى أخطأ فى فهم عبارة الأفلاكى نقلا عن جلال الدين الرومى فى منقبة الحلاج حيث ظنّ مقولة رسول الله المتمثل المتجسد أمام الحلاج ـ حسب زعم القوم ـ مقولة الحلاج، متضمنة معنى العصمة لذاته (انظر كتاب الصلة بين التصوف والتشيع ج١ ص٤١٩)، وليس الأمر كذلك كما قلنا.

(٢٦٣) التعرف للكلاباذى ص١١٠.

(٢٦٤) الأخلاق المتبولية للشعرانى ج٣ ص٢٦١.

(٢٦٥) طبقات الشعرانى ج٢ ص١٢.

(٢٦٦) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٤٢٣.

(٢٦٧) غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ج٢ ص١٥٣، أيضا جمهرة الأولياء للمنوفى الحسينى ج٢ ص٢٤١.

(٢٦٨) غيث المواهب العلية ج٢ ص ١٥٣ نقلا عن أبى سليمان الدارانى.

(٢٦٩) الرسالة القشيرية ج٢ ص٥٢١، وروضة التعريف ص٥٢١، مواقع النجوم لابن عربى ص٨٠، غيث المواهب للنفزى ص١٣١، جمهرة الأولياء ج١ ص٩٧، مشارق أنوار القلوب للدباغ ص١٠٣، فوائح الجمال لنجم الدين الكبرى ص٨٢ وغيرها من الكتب الكثيرة.

لأن الحق يتولى تصريفه «فيصرّفه فى وظائفه وموافقاته، فيكون محفوظاً فيما لله عليه، مأخوذا عما له وعن جميع المخالفات، فلا يكون له إليها سبيل وهو العصمة»(٢٧٠).

و«أن تصير الأشياء كلها له واحدة، فتكون كل حركاته فى موافقات الحق دون مخالفاته»(٢٧١).

و«لطائف الله فى عصمة أنبيائه وحفظ أوليائه أكثر من أن تقع تحت الاحصاء والعدّ»(٢٧٢).

وبمثل ذلك قال القشيرى:

«الولىّ له معنيان: أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره، قال الله تعالى: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾، فلا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق سبحانه رعايته.

والثانى: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذى يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجرى على التوالى، من غير أن يتخللها عصيان.

وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولىّ وليا: يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء، ودوام حفظ الله تعالى إياه فى السراء والضراء»(٢٧٣).

وقال أيضا:

«فان قيل: ما معنى الولىّ؟

قيل: يحتمل أمرين: أحدهما أن يكون فعيلا مبالغة من الفاعل، كالعليم والقدير وغيره فيكون معناه: من توالت طاعاته من غير تخلل معصية.

ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول، كقتيل بمعنى مقتول، وجريح بمعنى مجروح، وهو الذى يتولى الحق سبحانه، حفظه وحراسته على الادامة والتوالى، فلا يخلق له الخذلان الذى هو قدرة العصيان، وإنما يديم توفيقه الذى هو قدرة الطاعة،

---

(٢٧٠) التعرف للكلاباذى ص١٤٧.
(٢٧١) أيضا ص٤٨.
(٢٧٢) أيضا ص١٥٥.
(٢٧٣) الرسالة القشيرية ج٢ ص٥٢٠.

قال الله تعالى: ﴿وهو يتولى الصالحين﴾(٢٧٤).

وبمثل ذلك قال الحكيم الترمذى تحت عنوان «ولى حق الله وولىّ الله»:
«فهؤلاء كلهم أولياء حقوق الله، وهم أولياء الله يصيرون إلى الله تعالى فى مراتبهم، فيحلون بها ويتنسمون روح القرب، ويعيشون فى فسحة التوحيد والخروج عن رقّ النفس، قد لزموا المراتب، فلا يشتغلون بشىء إلا بما أذن لهم فيه من الأعمال. فاذا صرفهم الله من المرتبة إلى عمل أبدانهم حرسهم، فيمضون مع الحرس فى تلك الأعمال، ثم ينقلبون إلى مراتبهم، هذا دأبهم»(٢٧٥).

وعلق ابن عجيبة على قول الشبلى: «الصوفية أطفال فى حجر الحق تعالى»، علق عليه بقوله:
«يعنى أنه يتولى حفظهم وتدبيرهم على ما فيه صلاحهم ولا يكلهم إلى أنفسهم»(٢٧٦).

وظاهر أن من يكون هذا شأنه لا يكون إلا معصوما محضا، لذلك ان الصوفية حينما يستعملون الحفظ، لا يريدون من وراء ذلك إلا العصمة، ولذلك ذكر الهجويرى كلتا اللفظتين فى معنى واحد، بصورة الألفاظ المترادفة حيث حكى عن الجنيد أنه قال:

«تمنيت وقتا ما أن أرى إبليس ـ عليه اللعنة ـ وذات يوم كنت واقفا بباب المسجد، فاذا بشيخ يقبل من بعيد متجها إليّ، فلما رأيته أحسست وحشة فى قلبى، فلما اقترب منى قلت: من أنت أيها الشيخ، اذ لا طاقة لعينى برؤية وجهك من الوحشة، ولا طاقة لقلبى بالتفكير فيك من الهيبة؟ قال: أنا الذى تتمنى مشاهدتى. قلت: ياملعون! ما منعك أن تسجد لآدم؟ قال: ياجنيد! كيف تصور أنى أسجد لغيره؟ قال الجنيد: فتحيرت فى كلامه، فنوديت فى سرى أن: «قل له: كذبت، ولو

---

(٢٧٤) أيضا ج٢ ص٦٦٤، ٦٦٥.
(٢٧٥) كتاب ختم الأولياء للترمذى ص١٣٩.
(٢٧٦) ايقاظ الهمم فى شرح الحكم لابن عجيبة الحسنى ص١٦٨ الطبعة الثالثة ١٩٨٢ القاهرة.

كنت عبدا لما خرجت عن أمره ونهيه. فسمع النداء من قلبى، فصاح وقال: أحرقتنى بالله! وغاب»(٢٧٧).

ثمّ علق عليها بقوله:
«وفى هذه الحكاية دليل على حفظه وعصمته، لأن الله سبحانه وتعالى يحفظ أولياءه فى كل الأحوال من كيد الشيطان»(٢٧٨).

وتؤيد وتدعم أنهم يعدّون أولياءهم ومتصوفيهم معصومين، مقولاتهم فى كتبهم أنه لا يجوز الاعتراض على ولىّ من أوليائهم أو على أحد من متصوفيهم، ولو كان عمله يعارض الشرع، أو يظهر بصورة منكرة، فيقول الشعرانى:

«من دخل فى صحبة شيخ، ثم اعترض عليه بعد ذلك فقد نقض عهد الصحبة»(٢٧٩).

ثم نقل حكايتين خبيثتين تدلان على عقيدة القوم فى مشائخهم وكونهم معصومين، فيقول:

«كان أبو سهل الصعلوكى رحمه الله يقول:
كان لبعض الأشياخ مجلس يفسر فيه القرآن العظيم فأبدله بمجلس قوال، فقال مريد بقلبه: كيف يبدل مجلس القرآن بمجلس قوال؟
فناداه الشيخ: يافلان، من قال لشيخه: لم، لا يفلح.
فقال المريد: التوبة... وزار أبوتراب النخشبى وشقيق البلخى أبا يزيد البسطامى، فلما قدّم خادمه السفرة قالا له: كل معنا يافتى، فقال: لا، إنى صائم.
فقال له أبو تراب: كل، ولك أجر صوم شهر.
فقال: لا، فقال له شقيق: كل، ولك أجر صوم سنة، فقال: لا، فقال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين رعاية الله عز وجل، فسرق ذلك الشاب بعد سنة، فقطعت يده عقوبة له على سوء أدبه مع الأشياخ - ثمّ نقل عن الشيخ برهان الدين أنه قال -:

---

(٢٧٧) كشف المحجوب للهجويرى ص٣٤٢ ترجمة عربية للدكتورة اسعاد عبد الهادى قنديل ط دار النهضة بيروت ١٩٨٠م.
(٢٧٨) أيضا.
(٢٧٩) انظر الأنوار القدسية فى معرفة القواعد الصوفية للشعرانى ج١ ص١٧٤.

من لم ير خطأ الشيخ أحسن من صوابه لم ينتفع به»(٢٨٠).

وبمثل ذلك قال شيخ الأزهر السابق نقلا عن سيده أحمد الدردير أنه قال: «فـالآداب التى تطلب من المـريـد فى حق شيخه أوجبها تعظيمه وتوقيره ظاهرا وباطنا، وعدم الاعتراض عليه فى أىّ شىء فعله، ولو كان ظاهره أنه الحرام، ويؤول ما انبهم عليـه، وتقـديمـه على غيره، وعدم الالتجاء لغيره من الصالحين، فلا يزور وليا من أهل العصر، ولا صالحا إلا بإذنه، ولا يحضر مجلس غيره إلا بإذنه، ولا يسمع من سواه حتى يتمّ سقيه من ماء سرّ شيخه»(٢٨١).

فهل هناك ضلال بعد هذا الضلال، وتسفيه للعقول بعد هذا كله؟

ومن رجل جعل شيخا لأكبر جامعة اسلامية وأقدمها فى العالم؟

﴿ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾(٢٨٢).

ولطرافة كلام الشيخ ننقل ههنا ما كتبه فى آداب المريد، فيقول:

«ومن آداب المريد للشيخ: أن لا يكثر الكلام بحضرته ولو باسطه، ولا يجلس على سجـادتـه، ولا يسبـح بسبحتـه، ولا يجلس فى المكـان المعدّ له، ولا يلح عليه فى أمـر، ولا يسـافـر، ولا يتزوج، ولا يفعل فعلا من الأمور المهمة إلا باذنه، ولا يمسك يده للسلام مثلا ويده مشغولة بشىء كقلم أو أكل أو شرب، بل يسلم بلسانه، وينتظر بعـد ذلـك ما يأمـر به، وأن لا يمشى أمـامه ولا يساويه فى مشى إلا بليل مظلم ليكون مشيه أمامه صونا له من مصادفة ضرر. . . وأن يرى كل بركة حصلت له من بركات الـدنيـا والآخرة فببركته. . . وأن يصبر على جفوته واعراضه عنه، ولا يقول: لم فعل بفلان كذا ولم يفعل بى كذا، وإلا لم يكن مسلما له قياده: اذ من أعظم الشروط تسليم قياده له ظاهرا وباطنا. . . وأن يجعل كلامه على ظاهره فيمتثله الا لقرينة صارفة عن ارادة الظاهر، فاذا قال له: اقرأ كذا، أو صلّ كذا، أو صم كذا وجب عليه المبادرة، وكـذا اذ قال له وهـو صائم: أفطـر وجب عليـه الفطر، أو قال: لا تصلّ كذا إلى غير

---

(٢٨٠) الأنوار القدسية للشعرانى ج١ ص١٧٥، ١٧٦.

(٢٨١) انظر كتاب سيدى أحمد الدردير للدكتور عبد الحليم محمود ص١١٩ ط دار الكتب الحديثة القاهرة.

(٢٨٢) سورة آل عمران الآية ٨.

ذلك . . . وأن لا يدخل عليه فى خلوة إلا باذنه ، وأن لا يرفع الستارة التى فيها الشيخ إلا باذنه وإلا هلك كما وقع لكثير»[٢٨٣] .

فلنرجع إلى موضوعنا ونقول : ان القوم يجعلون متصوفيهم معصومين حيث لا يجيزون الاعتراض عليهم ، ويقولون :

«من قال لأستاذه : لم لا يفلح»[٢٨٤] .

لأن «الشيخ فى أهله كالنبى فى أمته»[٢٨٥] .

وعلى ذلك قال القشيرى :

«من شرط المريد أن لا يكون بقلبه اعتراض على شيخه»[٢٨٦] .

وهناك حكايات ومقولات كثيرة فى هذا المعنى تنبىء وتدلّ صراحة على أن عصمة المتصوفة وأوليائهم ، مثل عصمة الأنبياء ، وبتعبير صحيح كعصمة أئمة الشيعة ، مثل الحكاية التى رواها ابن عجيبة فى فتوحاته ، عن بعض مشائخه قال :

«رأيت يوما شخصا استحسنته فاذا لطمة وقعت على عينى ، فسالت على خدى ، فقلت : آه فقيل لى : لحظة بلطمة ، ولو زدت لزدناك»[٢٨٧] .

فمن كان هذا القائل يا ترى؟

فانظر كيف يدّعون العصمة حتى من النظر إلى أحد بتلذذ؟

وكذلك نقل أحد الرفاعيين عن الرفاعى أنه قال :

«قال لى الشيخ يعقوب : رأيت الشيطان واقفا على باب دارى فهممت بضربه ، فقال : أى يعقوب ، أنتم أهل الانصاف ، ان فى بيتكم الأحمر والأصفر (أى الذهب والفضة أو الدنانير والدراهم) ، وهما لى كيف لم أجىء إلى بيتكم؟»[٢٨٨] .

---

(٢٨٣) كتاب سيدى أحمد الدردير للدكتور عبد الحليم محمود ص ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢٨٤) انظر غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ج١ ص١٩٧ .

(٢٨٥) انظر كشف المحجوب للهجويرى ص٢٥٢ ، غيث المواهب ج١ ص١٩٧ ، صوم القلب لعمار البدليسى مخطوط ورقة رقم ١٩ المنقول من ملحق كتاب فوائح الجمال لنجم الدين الكبرى تعليقة رقم ٢٢ ط ألمانيا ١٩٥٧م ، أيضا كتاب العروة للسمنانى مخطوط المنقول من ختم الأولياء ص٤٨٩ ، كذلك الفتوحات الالهية لابن عجيبة الحسنى ص١٧٣ .

(٢٨٦) الرسالة القشيرية ج٢ ص٧٣٦ ، أيضا التدبيرات الالهية لابن عربى ص٢٢٦ ، جامع الأصول للكمشخانوى ص٢ .

(٢٨٧) الفتوحات الالهية ص١٦٣ .

(٢٨٨) انظر قلادة الجواهر لمحمد أبي الهدى الرفاعى ص١٣٥ ط دار الكتب العلمية . بيروت .

صوفىّ رأى الشيطـان وهمّ بضـربـه، فالمعنى أن الصـوفى لا يمكن أن يغـويّـه الشيطان، فاذن هو معصوم عن الوقوع فى المعاصى والخطايا، والزلات والسيئات.

هذا ومثل هذا كثير.

فهـذه هى العقيـدة الأخـرى التى أخذها الصوفية عن الشيعة، ان دلت على شىء دلت على روابط عتيقة وثيقة بين التصوف والتشيع، وكون الأول مأخوذا عن الثانى.

عَدَمُ خُلُوِّ ٱلأَرْضِ مِنَ ٱلْحُجَّةِ

من العقائد الشيعية المعروفة، الخاصة بهم أن الأرض لا تخلو من الحجة، وهو الإمـام عنـدهم فلقـد بوّب محدثـوهم وفقهاؤ هم ومتكلموهم أبوابا مستقلة لبيان هذه العقيـدة المختلقـة المصطنعـة، وأوردوا فيهـا روايـات مكـذوبة على رسول الله ﷺ، وعـلى علىّ رضى الله عنـه وأولاده، أئمـة القـوم حسب زعمهم، وآراء كبرائهم، وعبارات قادتهم.

فلقد أورد محدثهم الكبير الكلينى - وهو بمنزلة البخارى عند المسلمين السنة - فى كافيّه الذى هو أحد الصحاح الأربعة الشيعية، وبمنزلة صحيح البخارى عند أهل السنة روايـات عديـدة تحت عنـوان: لو لم يبق فى الأرض إلا رجـلان لكـان أحـدهما الحجة: ومنها ما رواها عن جعفر بن محمد الباقر أنه قال:

«لو لم يكن فى الأرض إلا اثنان لكان الامام احدهما»(٢٨٩).

كما أورد روايات كثيرة فى باب: «أن الأرض لا تخلو من حجة»: منها ما رواها أيضا عن جعفر أنه سئل:

«أتخلو الأرض بغير إمام؟

قال: لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت بأهلها»(٢٩٠).

وبمثـل ذلـك روى ابن بابـويـه القمى المتـوفى ٣٨١هـ أحـد رجـال الصحاح

---

(٢٨٩) الأصول من الكافى للكلينى المتوفى ٣٢٩هـ ج١ ص١٨٠ ط دار الكتب الاسلامية طهران الطبعة الثالثة ١٣٨٨هـ.

(٢٩٠) أيضا كتاب الحجة ج١ ص١٧٩.

الأربعـة الشيعيـة ، فى عيـونه عن على بن موسى الرضا ـ الامام الثامن المعصوم لدى القوم ـ أنه سئل :

أتخلو الأرض من حجة ؟ فقال : لو خلت الأرض طرفة عين من حجة لساخت بأهلها»(٢٩١) .

وكذلك بوّب القمى بابا مستقلا فى كتابه (كمال الدين وتمام النعمة) العلة التى من أجلها يحتاج إلى الامام : وأورد فيه أكثر من عشرين رواية : منها ما رواها عن الباقر بن على زين العابدين :

«لو أن الامام رفع من الأرض ساعة لماجت بأهلها كما يموج البحر بأهله»(٢٩٢) .

وأورد المـلا باقـر المجلسى فى بحـاره أكثـر من مائـة حديث عن أئمتـه فى هذا المعنى ، منها ما رواها عن على بن الحسين أنه قال :

«ولم تخل الأرض منـذ خلق الله آدم عليـه السـلام من حجـة الله فيهـا ، ظاهـر مشهور أو غائب مستور ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة لله فيها ، ولولا ذلك لم يعبد الله»(٢٩٣) .

وكتب القوم مليئة من مثل هذه الروايات والأحاديث ، نكتفى على هذا القدر من البيان .

وان الصـوفيـة لأخذوها منهم بكاملها بدون أىّ تغيير وتبديل ، غير أنهم جعلوا الحجـة وليّـا من أوليـائهم ، أو صوفيا من جماعتهم بدل الامام لدى الشيعة ، فيقول أبو طالب المكى فى قوتـه ، مستعمـلا حتى الألفـاظ الشيعية ومصطلحاتهم نقلا عن على رضى الله عنه أنه قال :

«لا تخلو الأرض من قائم لله تعـالى بحجـة ، امّـا ظاهـر مكشوف ، وامّا خائف مقهور لئلا تبطل حجج الله تعالى وبيّناته»(٢٩٤) .

ومثل ذلك أورد الطوسى السراج أبو نصر عنه :

---

(٢٩١) عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمى ج١ ص٢٧٢ ط انتشارات جهان طهران .

(٢٩٢) كما الـدين وتمـام النعمـة لابن بابـويـه القمى البـاب الحـادى والعشـرون ج١ ص٢٠٢ ط دار الكتب الاسلامية طهران الطبعة الثانية ١٣٩٥ هجرى قمرى .

(٢٩٣) بحار الأنوار للمجلسى ج٢٣ فى مواضع شتى .

(٢٩٤) قوت القلوب فى معاملة المحبوب لأبى طالب المكى ج١ ص١٣٤ .

«لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة لئلا تبطل آياته، وتدحض حججه»(٢٩٥).

وبمثل ذلك قال الحكيم الترمذى، وأحمد بن زرّوق:

«لا تخلو الدنيا فى هذه الأمة من قائم بالحجة»(٢٩٦).

وقال السلمى فى مقدمة طبقاته:

«وأتبع (الله) الأنبياء عليهم السلام بالأولياء، يخلفونهم فى سننهم، ويحملون أمتهم على طريقتهم وسمتهم، فلم يخل وقتا من الأوقات من داع اليه بحق أو دال عليه ببيان وبرهان. وجعلهم طبقات فى كل زمان، فالولىّ يخلف الولىّ... فعلم ﷺ أن آخر أمته لا يخلو من أولياء وبدلاء، يبيّنون لأمته ظواهر شرائعه وبواطن حقائقه»(٢٩٧).

وقال ابن عربى:

«لا يخلو زمان عن كامل»(٢٩٨).

وقال أحد اتباعه البارزين علاء الدولة السمنانى:

«ولابدّ فى كل حين من مرشد يرشد الخلق إلى الحق، خلافة عن النبىّ المحق، ولابدّ للمرشد من التأييد الالهى، ليمكن له تسخير المسترشدين، وافادة المستفيدين، وتعليم المتعلمين... وهو العالم، الولىّ، الشيخ. وإلى هذا أشار النبى عليه السلام حيث قال: الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته... ولا يكون قطب الارشاد فى كل زمان من الأزمان إلا واحد يكون قلبه على قلب المصطفى صاحب الوراثة الكاملة»(٢٩٩).

وقال صاحب الجمهرة:

«قد صحت الروايات والنصوص المؤكدة الثابتة بالكتاب والسنة على أن الأرض لا تخلو من قائم لله بحجة، ومن عارف بالحقيقة الكامنة خلف الظواهر، ومن مميّز بين اللباب والقشور، وعابد لله على الوجه الصحيح، وسائر إلى الله على بصيرة

---

(٢٩٥) كتاب اللمع للطوسى أبى نصر السراج بتحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقى سرور ص٤٥٨ ط دار الكتب الحديثة مصر ١٩٦٠م، أيضا جمهرة الأولياء للمنوفى الحسينى ج٢ ص٣٢.

(٢٩٦) كتاب ختم الأولياء للترمذى الحكيم ص٣٦٠، قواعد التصوف لابن زروق ص٤٨ ط القاهرة ١٩٧٦م.

(٢٩٧) كتاب طبقات الصوفية، المقدمة للسلمى ص٧.

(٢٩٨) عقلة المستوفز لابن عربى ص٩٧ ط ليدن.

(٢٩٩) كتاب العروة للسمنانى مخطوط ورقة ٨٨ ب المنقول من كتاب ختم الأولياء ص٤٨٩ ط بيروت.

صريحة، وعقيدة وضّاءة إلى أن تقوم الساعة»[٣٠٠].

ونقل عن قطب الدين القسطلانى فى كتاب له فى التصوف:

«ان الله بحكمته ونعمته أقام فى كل عصر من جعل له لسانا معبرا عن عوارف المعارف الالهية، مخبرا عن لطائف العواطف الربانية، يصل الله به ما انقطع من علوم الأنبياء ومعارف الأولياء»[٣٠١].

وقال لسان الدين بن الخطيب:

«ولابدّ عندهم أن يكون فى العالم شخص واصل اليه فى كل زمان، وهو الخليفة المتلقى عن الله أسرار الموجودات، ان ظاهرا فنبىّ ورسول أو باطنا فقطب»[٣٠٢].

وقال الشعرانى نقلا عن علىّ الخواص أنه قال:

«من نعم الله تعالى على عباده كونه تعالى لا يخلى الأرض من قائم له بحجة فى دينه، رضيه لولايته، واختاره لمعاملته، يبين به دلالاته، ويوضح به طرقاته، فطوبى لمن كان كذلك فى هذا الزمان»[٣٠٣].

وهذا ما أشار إليه شيخ الاسلام ابن تيمية فى فتاواه بعد ذكر كلام الصوفية فى هذا الخصوص:

«وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لابدّ فى كل زمان من إمام معصوم يكون حجة الله على المكلفين، لا يتم الايمان إلا به»[٣٠٤].

وجوب معرفة الإمام

وبمناسبة ما ذكرناه آنفا نريد أن نورد ههنا معتقدا شيعيا آخر مرتبطا بالعقيدة السالف ذكرها، وهو أنه يجب على الناس معرفة ذلك الإمام الذى لا تخلو الأرض منه، ومن مات ولم يعرف ذلك الامام فقد مات ميتة جاهلية، أو ميتة كفر وضلال كما قال الشريف المرتضى الشيعى الملقب بعلم الهدى عند القوم:

---

(٣٠٠) جمهرة الأولياء ج١ ص٧.

(٣٠١) أيضا ج١ ص٩٤.

(٣٠٢) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٥٨٠.

(٣٠٣) الأخلاق المتبولية للشعرانى ج٢ ص١١٦، ١١٧.

(٣٠٤) فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ج١١ ص٤٣٩ ط ١٣٩٨هـ.

«ان المعرفة بهم (يعنى بالأئمة) كالمعرفة به تعالى، فانها إيمان وإسلام، وان الجهل والشك فيهم كالجهل والشك فيه فانه كفر، وخروج من الايمان، وهذه المنزلة ليست لأحد من البشر إلا لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من بعده، على وأولاده الطاهرين. . . والذى يدل على أن معرفة إمامة من ذكرناه من الأئمة عليهم السلام من جملة الايمان، وأن الاخلال بها كفر ورجوع عن الايمان باجماع الامامية»(٣٠٥).

وقال الطوسى الملقب بشيخ الطائفة:

«دفع الامامة كفر، كما أن دفع النبوة كفر، لأن الجهل بهما على حدّ واحد، وقد روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

من مات وهو لا يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية، وميتة الجاهلية لا تكون إلا على كفر»(٣٠٦).

ولقد أورد محدثو الشيعة روايات كثيرة فى هذا المعنى فى أبواب مستقلة بوّبوها فى مصنفاتهم، مثل الكلينى فى كافيّه، وابن بابويه القمى فى كتبه، والطوسى فى شافيه، والبرقى فى محاسنه، والنعمانى فى غيبته، والحر العاملى فى فصوله، والمجلسى فى بحاره، والبحرانى فى برهانه، وغيرهم فى غيره، حتى قال محدثهم العاملى:

«الآيات والروايات من طريق العامة والخاصة، والأدلة فى ذلك أكثر من أن تحصى»(٣٠٧).

فهذا المعتقد من المبادىء الشيعية الأساسية التى بنى عليها مذهب القوم.

والمقصود منه أنه يجب على كل شخص أن يعتقد بعدم خلو الأرض من إمام، ثم يوجب على نفسه أن يعرفه، ويجعله قدوة له، وهاديا ومرشدا ومطاعا، فيأخذ منه معالم الدين، ويهتدى بهديه، ويسلك مسلكه، وينهج بمنهجه، وبدونه وبدون ارشاده وتوجيهه يضلّ الطريق، ويهوى فى المزالق والمهالك، مزالق الكفر ومهالك الجاهلية.

هذا ما يعتقده الشيعة، ولم يكن غريبا أن يؤمن بهذا المبدأ، ويعتقد بهذا المعتقد مشائخ الصوفية، وكبراء التصوف، لأنهم وراءهم حذو القذة بالقذة، فقالوا:

---

(٣٠٥) الرسالة الباهرة فى العترة الطاهرة - نقلا عن مقدمة البرهان ص٢٠.

(٣٠٦) تلخيص الشافى للطوسى ج٤ ص١٣١، ١٣٢.

(٣٠٧) انظر الفصول المهمة فى معرفة الأئمة للحر العاملى المتوفى ١١٠٤، باب وجوب معرفة الامام ص١٤١ ط مكتبة بصيرتى قم ايران.

من لم يكن له شيخ فامامه الشيطان كما ذكر ذلك المتصوفة عن أبى يزيد أنه قال:

«من لم يكن له أستاذ فامامه الشيطان»(٣٠٨).

ويقول لسان الدين بن الخطيب:

«يكـون المـرتـاض يعتمـد على شيخ، يلقى أزمته بيده، ليهديه قبل أن تسبقه إليها يد الشيطان.

كن المـعـزى لا المـعـزى به ان كان لابـدّ من الـواحـد

ومما ينقل: من لم يكن له شيخ كان الشيطان شيخه»(٣٠٩).

وبمثل ذلك قال ابن عربى:

«اعلم ان مقـام الـدعـوة إلى الله، وهومقام النبوة والوراثة الكاملة، والحاصل فيه يقال له النبى فى زمان النبوة، ويقال له الشيخ والوارث والأستاذ فى حق العلماء بالله من غير أن يكونوا أنبياء وهو الذى قالت فيه السادة من أهل طريق الله، من لم يكن له أستاذ فان الشيطان أستاذه»(٣١٠).

وقال الشعرانى:

«اعلم يا أخى أن أحدا من السالكين لم يصل إلى حالة شريفة فى الطريق أبدا إلا بملاقاة الأشياخ ومعانقة الأدب معهم، والاكثار من خدمتهم، ومن ادعى الطريق بلا شيخ كان شيخه إبليس... وقد كان الامام أبو القاسم الجنيد رحمه الله يقول: من سلك بغير شيخ ضلّ وأضلّ»(٣١١).

وكتب فى كتابه (الأخلاق المتبولية) نقلا عن على المرصفى أنه قال:

«لو أن مريدا عبد الله تعالى كما بين السماء والأرض بغير شيخه فعبادته كالهباء المنثور... وسمعت سيدى على الخواص رحمه الله يقول:

(٣٠٨) انظر الرسالة القشيرية ج٢ ص٧٣٥، عوارف المعارف للسهروردى ص٩٦، وكذلك جامع الأصول فى الأولياء للكمشخانوى ص١٢٠، الفتوحات الالهية لابن عجيبة ص٨٨، أيضا كتاب سيدى أحمد الدردير ص١٠٠، أيضا قلادة الجواهر لمحمد الرفاعى ص١٤٣.

(٣٠٩) روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٤٦٩ ط دار الفكر العربى.

(٣١٠) الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل طريق الله من الشروط لابن عربى ص٢٦٥، ٢٦٦ المنشور مع ذخائر الأعلاق له أيضا بتحقيق محمد عبد الرحمن الكروى ط القاهرة.

(٣١١) الأنوار القدسية للشعرانى ص١٧٣، ١٧٤ ط دار احياء التراث العربى بغداد العراق.

«لـو أن العبـد قرأ ألف كتـاب فى العلم ولا شيخ له فهو كمن حفظ كتب الطبّ مع جهله بالداء والدواء. . . وان كل من لم يسلك الطريق على يد شيخ حكمه حكم من يعبد الله على حرف»(٣١٢).

وهذا مثل ما قاله الشيعة نقلا عن أبى جعفر محمد الباقر أنه قال:

انما يعرف الله عز وجل ويعبده من عرف الله وعرف امامه منّا أهل البيت، ومن لا يعرف الله عز وجل ولا يعرف الامام منّا أهل البيت فانما يعرف ويعبد غير الله هكذا والله ضلالا»(٣١٣).

وعنه أنه قال:

«كل من دان الله عز وجل بعبادة يجهد فيها نفسه ولا امام له من الله فسعيه غير مقبول»(٣١٤).

وعلى ذلك يقول نيكلسون بعد نقل كلام أبى يزيد البسطامى: «من لم يكن له شيخ كان الشيطان شيخه، يقول بعده:

هى فكرة يظهر أن لها صلة بالنظرية الشيعية، الذى كان عبد الله بن سبأ أول من قال بها»(٣١٤).

الولاية والوصاية

وتشابه آخر بين الصوفية والشيعة هو أن الصوفية أضفوا على أوليائهم عين تلك الأوصاف والاختيارات التى أضفى الشيعة على أئمتهم وأوصيائهم، فان الشيعة يقولون:

«ان الأئمة ولاة أمر الله، وخزنة علم الله، وعيبة وحى الله»(٣١٥).

ويـروى أبـو جعفـر محمد بن الحسن الصفار المتوفى ٢٩٠هـ شيخ الكلينى، فى بصائره، عن محمد الباقر بن على زين العابدين أنه يقول:

«نحن جنب الله ونحن صفـوتـه ونحن خيرتـه ونحن مستـودع مواريث الأنبياء

(٣١٢) الأخلاق المتبولية للشعرانى ج١ ص١٢٩، ١٣٠.

(٣١٣) الكافى للكلينى ج١ ص١٨١.

(٣١٤) أيضا ص ١٨٣.

(٣١٥) فى التصوف الاسلامى وتاريخه لنيكلسون ترجمة عربية لأبى العلاء العفيفي ص١٩.

ونحن امناؤ الله ونحن حجّة الله، ونحن أركان الايمان، ونحن دعائم الاسلام، ونحن من رحمة الله على خلقه، ونحن الذين بنا يفتح الله وبنا يختم، ونحن أئمة الهدى، ونحن مصابيح الدجى، ونحن منار الهدى، ونحن السّابقون، ونحن الاخرون، ونحن العلم المرفوع للخلق، من تمسك بنا لحق، ومن تخلف عنا غرق، ونحن قادة الغر المحجلين، ونحن خيرة الله، ونحن الطريق، وصراط الله المستقيم إلى الله، ونحن من نعمة الله على خلقه، ونحن المنهاج ونحن معدن النبوة، ونحن موضع الرسالة، ونحن الذين الينا مختلف الملائكة، ونحن السراج لمن استضاء بنا، ونحن السبيل لمن اقتدى بنا، ونحن الهداة الى الجنة، ونحن عز الاسلام، ونحن الجسور والقناطر من مضى عليها سبق، ومن تخلف عنها محق، ونحن السنام الاعظم، ونحن الذين بنا نزل الرحمة وبنا تسقون الغيث، ونحن الذين بنا يصرف عنكم العذاب، فمن عرفنا ونصرنا وعرف حقنا وأخذ بأمرنا فهو منا والينا»(٣١٦).

وروى الكليني عنه أيضا أنه قال:

«نحن خزان علم الله، ونحن تراجمة وحى الله، ونحن الحجة البالغة على من دون السماء ومن فوق الأرض»(٣١٧).

ورووا عنه أيضا أنه قال:

«نحن المثانى التى أعطاها الله النبى صلى الله عليه وآله، ونحن وجه الله نتقلب فى الأرض بين أظهركم، عرفنا من عرفنا، وجهلنا من جهلنا. من عرفنا فامامه اليقين، ومن جهلنا فامامه السعير»(٣١٨).

والروايات فى هذا المعنى كثيرة جدا، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتبنا الأربعة فى هذا الموضوع، أوكتب الشيعة كبصائر الدرجات للصفار، والكافى للكلينى، وبحار الأنوار للمجلسى، والفصول المهمة للعاملى، والبرهان للبحرانى وغيرها من الكتب الشيعية الكثيرة.

مع العلم بأن كتاب الله القرآن الكريم، وكتب السنة النبوية المطهرة، وتراجم أصحاب النبى ﷺ خالية عن مثل هذه الخرافات والهفوات، والشركيات واليهوديات.

---

(٣١٦) بصائر الدرجات الكبرى للصفار الجزء الثانى ص٨٣ ط منشورات الأعلمى طهران ١٤٠٤ هجرى قمرى.

(٣١٧) الكافى للكلينى كتاب الحجة ج١ ص١٩٢.

(٣١٨) بحار الأنوار للمجلسى ج٢ ص١١٤.

ولكن الصوفية استقوا مبادئهم وأفكارهم ومعتقداتهم من التشيع والشيعة، بدل الكتاب والسنة، فقالوا فى أوليائهم ومتصوفيهم نفس ما قاله الشيعة فى أئمتهم وأوصيائهم، فانظر ما كتبه أعظم مؤرخ صوفى فى التاريخ القديم والحديث أبو نصر السراج الطوسى - حسب ما قاله طه عبد الباقى، والدكتور عبد الحليم محمود - ولاحظ التوافق الكامل والتشابه التام بين ألفاظه وعبارته وبين عبارة الشيعة وألفاظهم فهو ينبىء عن المصدر الأصلى، والمأخذ الحقيقى، والمنبع الأصيل، فيكتب:

«ان هذه العصابة أعنى الصوفية هم أمناء الله عز وجل فى أرضه، وخزنة أسراره وعلمه وصفوته من خلقه، فهم عباده المخلصون، وأولياؤه المتقون، وأحباؤه الصادقون الصالحون؛ منهم الأخيار والسابقون، والأبرار والمقربون، والبدلآء والصديقون، هم الذين أحيا الله بمعرفته قلوبهم، وزيّن بخدمته جوارحهم، وألهج بذكره ألسنتهم، وطهر بمراقبته أسرارهم، سبق لهم منه الحسنى بحسن الرعاية ودوام العناية، فتوجهم بتاج الولاية، وألبسهم حلل الهداية، وأقبل بقلوبهم عليه تعطفاً، وجمعهم بين يديه تلطفاً، فاستغنوا به عما سواه، وآثروا على ما دونه، وانقطعوا إليه، وتوكلوا عليه، وعكفوا ببابه، ورضوا بقضائه، وصبروا على بلائه، وفارقوا فيه الأوطان، وهجروا له الاخوان، وتركوا من أجله الأنساب، وقطعوا فيه العلائق، وهربوا من الخلائق، مستأنسين به مستوحشين مما سواه: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ الآية: ﴿فمنهم ظالم لنفسه﴾ الآية: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾»(٣١٩).

وتقلوا عن ذى النون المصرى أنه قال:

«هم حجج الله تعالى على خلقه، ألبسهم النور الساطع عن محبّته، ورفع لهم أعلام الهداية إلى مواصلته، وأقامهم مقام الأبطال لارادته، وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته، وطهر أبدانهم بمراقبته، وطيبهم بطيب أهل مجاملته، وكساهم حالا من نسج مودّته، ووضع على رؤسهم تيجان مسرته، ثم أودع القلوب من ذخائر الغيوب، فهى معلقة بمواصلته، فهمومهم اليه ثائرة، وأعينهم اليه بالغيب ناظرة، قد أقامهم على باب النظر من قربه، وأجلسهم على كرسى أطباء أهل معرفته(٣٢٠).

وأيضا: «هم خرس فصحاء، وعمى بصراء، عنهم تقصر الصفات، وبهم

---

(٣١٩) كتاب اللمع للطوسى مقدمة ص١٩.

(٣٢٠) جمهرة الأولياء للمنوفى الحسينى ج١ ص١٠٢.

تدفع النقمات، وعليهم تنزل البركات، فهم أحلى الناس منقطعا ومذاقا، وأوفى الناس عهدا وميثاقا، سراج العباد، ومنار البلاد، ومصابيح الدجى، ومعادن الرحمة، ومنابع الحكمة»[٣٢١].

وقال ابن عجيبة:

«هم باب الله الأعظم، ويد الله الآخذة بالداخلين إلى حضرة الله، فمن مدحهم فقد مدح الله، ومن ذمّهم فقد ذمّ الله»[٣٢٢].

وقال ابن قضيب البان:

«القطب فاروق الوقت، وقاسم الفيض، واليه مفوّض أزمّة الأمور، وقلب قطب خزانة أرواح الأنبياء، وله بكل وجه وجه، وأرواح الأنبياء خزائن أسرار الحق... الكون كله صورة القطب... وهو الباب الذى لا دخول ولا خروج إلا منه... وفؤاد القطب شمعة نصبت لفراش أرواح العالم، ونطقه شهد حقائق المعارف، الذى فيه شفاء أسرار المقرّبين، وصلاح مشاهد العارفين، وغذاء أفئدة الواصلين... نفس القطب صور برزخ الشؤن الصفاتية، وعقله اسرافيله، ومن نفسه قيام عمود السموات الروحية والأرضين الجسمية، وارادته المأثرة فيهما، ومن اختياره همم أهل زمانه... القطب الفرد الواحد فى كل زمان الحقيقة المحمدية، ولكل زمان قطب منها، وهو خطيب سر الولاء بكلمة: بلى»[٣٢٣].

هذا وان ابن عربى قال بصراحة ووضوح بدون ابهام ولا ايهام:

«أنا القرآن والسبع المثانى وروح الروح لا روح الأوانى
فؤادى عند معلومى مقيم يشاهده وعندكم لسانى»[٣٢٤]

ويعتقد الشيعة أن أئمتهم يعرفون جميع الألسن واللغات، وحتى لغات الطيور والوحوش.

فيذكر الصفار فى بصائره العناوين الأربعة لبيان علوم أئمته:

«باب فى الأئمة عليهم السلام أنهم يعرفون الألسن كلها».

(٣٢١) أيضا ص١٠٣.

(٣٢٢) ايقاظ الهمم لابن عجيبة ص٢٧٢.

(٣٢٣) المواقف الالهية لابن قضيب البان ١٩٠.

(٣٢٤) الفتوحات المكية لابن عربى ج١ ص٧٠ بتحقيق وتقديم دكتور عثمان يحيى ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٥م.

«باب فى الأئمة أنهم يتكلمون الألسن كلها».

«باب فى الأئمة أنهم يعرفون منطق الطير».

«باب فى الأئمة عليهم السلام أنهم يعرفون منطق البهائم. ويعرفونهم، ويجيبونهم اذا دعوهم»(٣٢٥).

ثم يورد تحتها روايات كثيرة تنبىء وتدل على كل ما ذكره فى العناوين.

فمثلا يروى عن جعفر بن الباقر أنه قال:

«قال الحسن بن علي عليه السلام: ان لله مدينتين، احداهما بالمشرق، والأخرى بالمغرب، عليهما سوران من حديد، وعلى كل مدينة ألف ألف مصراع من ذهب، وفيها سبعون ألف ألف لغة يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبه، وأنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما وما عليهما حجة غيرى والحسين أخى»(٣٢٦).

ويروى عن محمد الباقر أنه قال:

«علمنا منطق الطير، وأوتينا من كل شىء»(٣٢٧).

وغير ذلك من الروايات الكثيرة، وأورد مثلها كل من الكلينى فى كافيّه، والحرّ العاملى فى الفصول المهمة.

ومثل ذلك ذكر المتصوفة فى كتبهم عن أوليائهم ومشائخهم، فيقول الشعرانى فى طبقاته عن ابراهيم الدسوقى:

«وكان رضى الله عنه يتكلم بالعجمى والسريانى والعبرانى والزنجى، وسائر لغات الطيور والوحوش»(٣٢٨).

وقال عماد الدين الأموى:

«العارفون يفهمون كلام المخلوقين من الحيوانات والجمادات»(٣٢٩).

وكتب الشعرانى فى كتابه (الأنوار القدسية):

---

(٣٢٥) انظر بصائر الدرجات الكبرى للصفار الجزء التاسع ص٣٥٧ وما بعد، ومثل ذلك فى الفصول المهمة فى أصول الأئمة للحر العاملى ص١٥٥، كذلك فى الأصول من الكافى ج١ ص٢٢٧.

(٣٢٦) انظر بصائر الدرجات الجزء السابع ص٣٥٩.

(٣٢٧) أيضا ص٣٦٢.

(٣٢٨) طبقات الشعرانى ج١ ص١٦٦.

(٣٢٩) انظر حياة القلوب لعماد الدين الأموى بهامش قوت القلوب لأبى طالب المكى ج٢ ص٢٧٥.

«الولىّ يعطيه الله تعالى معرفة سائر الألسن الخاصة بالانس والجن، فلا يخفى عليه فهم كلام أحد منهم»(٣٣٠).

وذكر القوم حكايات كثيرة عن متصوفيهم تشتمل على تكلمهم مع السباع والطيور وغيرها، سنذكرها فى الجزء الثانى من هذا الكتاب فى باب مستقل إن شاء الله.

ولكن للطرافة نذكر حكاية واحدة ذكرها الشعرانى فى طبقاته الكبرى، فيقول:

«أقام الشيخ أبويعزى فى بدايته خمس عشرة سنة فىء البرّ، لا يأكل إلا من حبّ الشجر فى البادية، وكانت الاسد تأوى إليه، والطير يعكف عليه.

وكان اذا قال للأسد: لا تسكنى هنا، تأخذ أشبالها وتخرج بأجمعها.

قال الشيخ أبومدين رضى الله عنه: زرته مرة فى الصحراء وحوله الأسد والوحوش والطير، تشاوره على أحوالها، وكان الوقت وقت غداء، فكان يقول لذلك الوحش: اذهب الى مكان كذا وكذا، فهناك قوتك، ويقول للطير مثل ذلك فتنقاد لأمره.

ثم قال: يا شعيب، ان هذه الوحوش والطيور أحبت جوارى فتحملت ألم الجوع لأجلى، رضى الله عنه»(٣٣١).

فهذا هو التطابق الكلى بين الشيعة والصوفية فى هذه القضية.

الحلول والتناسخ

وان فرقا من الشيعة يعتقدون فى أئمتهم بأنهم هم الذين ظهروا فى مختلف الصور فى الأزمنة المتعددة، والأمكنة المختلفة، وهم الذين ظهروا أيام آدم بصورة آدم، وفى دور نوح بنوح، وكذلك شيث وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم فى زمانهم، وان أئمتهم هم الذين نجّوا نوحا، وأغرقوا الخلق فى عهد نوح، وخرقوا السفينة، وقتلوا الغلام وغير ذلك.

---

(٣٣٠) الأنوار القدسية فى معرفة القواعد الصوفية للشعرانى ج٢ ص١١٥ ط دار احياء التراث العربى بغداد - العراق.

(٣٣١) طبقات الشعرانى ج١ ص١٣٦.

فها هم يكذبون على عليّ رضى الله عنه أنه قال:

«أنا ومحمد نور واحد من نور الله... أنا صاحب الرجفة، صاحب الآيات... أنا أهلكت القرون الأولى، وأنا النبأ العظيم الذى هم فيه مختلفون... أنا الكتاب... أنا اللوح المحفوظ... أنا القرآن الحكيم... أنا محمد ومحمد أنا... ان ميتنا لم يمت، وقتيلنا لم يقتل، ولا نلد ولا نولد... وأنا الذى نجّيت نوحا... ونطقت على لسان عيسى بن مريم فى المهد، فآدم وشيث ونوح وسام وابراهيم واسماعيل وموسى ويوشع وعيسى وشمعون ومحمد وأنا كلنا واحد... أنا أحيى وأميت... وكذلك الأئمة المحقون من ولدى، لأنا كلنا شىء واحد يظهر فى كل زمان»(٣٣٢).

ورووا عنه أيضا أنه قال لسلمان: «أنا أحيي الموتى، واعلم ما فى السموات والأرض، وأنا الكتاب المبين، يا سلمان، محمد مقيم الحجة، وأنا حجة الحق على الخلق، وبذلك الروح عرج به الى السماء، أنا حملت نوحاً فى السفينة، أنا صاحب يونس فى بطن الحوت، وأنا الذى حاورت موسى فى البحر، وأهلكت القرون الأولى، أعطيت علم الأنبياء والأوصياء، وفصل الخطاب، وبي تمت نبوة محمد، أنا اجريت الأنهار والبحار، وفجرت الأرض عيوناً، أنا كاب الدنيا لوجهها، أنا عذاب يوم الظلمة، أنا الخضر معلم موسى، أنا معلم داود وسليمان، أنا ذو القرنين، أنا الذي دفعت سمكها بإذن الله عز وجل، أنا دحوت أرضها، أنا عذاب يوم الظلمة، أنا المنادي من مكان بعيد، أنا دابة الأرض، أنا كما يقول لي رسول الله (ص): أنت يا علي ذو قرنيها، وكلا طرفيها، ولك الآخرة والأولى، يا سلمان إن ميتنا إذا مات لم يمت، ومقتولنا لم يقتل، وغائبنا إذا غاب لم يغب، ولا نلد ولا نولد فى البطون، ولا يقاس بنا أحد من الناس، أنا تكلمت على لسان عيسى فى المهد، أنا نوح، أنا ابراهيم، أنا صاحب الناقة، أنا صاحب الرجفة، أنا صاحب الزلزلة، أنا اللوح المحفوظ، إليّ انتهى علم ما فيه، أنا أنقلب فى الصور كيف شاء الله، من رآهم فقد رآنى، ومن رآنى فقد رآهم، ونحن فى الحقيقة نور الله الذى لا يزول ولا يتغيّر»(٣٣٣).

ورووا عن جعفر بن الباقر أنه قال:

---

(٣٣٢) انظر زهر المعانى لادريس عماد الدين الباب السابع عشر ص٧٤ وما بعد من (المنتخب من بعض الكتب الاسماعيلية) لايوانوف ط أجمل بريس بومبى.

(٣٣٣) مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البرسى ص١٦١ ط دار الأندلس بيروت، أيضا طرائق الحقائق للحاج معصوم شيرازى ج١ ص٧٧، ٧٨ ط طهران ١٣٣٩ هجرى شمسى.

«أنــا من نور الله ، نطقت على لســان عيسى بن مريم فى المهـد ، فآدم وشيث ونـوح وسـام وابـراهيم واسماعيل وموسى ويوشع وعيسى وشمعون ومحمد كلّنا واحد ، من رآنـا فقـد رآهم . . . أنـا أحيى وأميت وأخلق وأرزق ، وأبرىء الأكمة والأبرص ، وأنبئكم بما تأكلون وتدخرون فى بيوتكم بإذن ربى ، وكذلك الأئمة المحقون من ولدى لأنا كلنا شيء واحد»(٣٣٤) .

وذكروا عن راشد الدين بن سنان السورى الداعى الاسماعيلى أنه قال :
«ظهـرت بدور نوح فغـرقت الخـلائق . . . وظهرت فى دور ابراهيم على ثلاث مقالات . . . خرقت السفينة ، وقتلت الغلام ، وأقمت الجدار . . . ثم ظهرت بالسيد المسيح ، فمسحت بيدى الكريمة عن أولادى الذنوب ، وكنت بالظاهر شمعون - إلى آخر الهفوات والخرافات»(٣٣٥) .

فهذه الروايات تدل صراحة على اعتقاد القوم بالحلول والتناسخ ، وأن أئمتهم خلقوا من نور الله الذى لم يتغير ولم يتبدل ، ولكن هذا النور كان يحل فى أجسام مختلفة فى أزمنة مختلفة ، وكان يلبس ألبسة متنوعة متفرقة ، فبذلك الجسد واللباس كان يسمّى بتلك الأسماء ، فتارة بآدم ، وتارة بنوح ، وتارة بابراهيم ، وتارة بموسى ، وتارة بعيسى ، وتارة بمحمد ، مع أن هذا النور كان بجوهره واحدا .

فهـذا عين ما قالتـه الصـوفية حيث سمّوا ذلك النور الأزلى ، والجوهر الأصلى الحقيقة المحمدية والصورة المحمدية . فهذه الحقيقة هى التى كانت تتجلى فى أجسام مختلفـة ، وتنـادى بذلك الاسم ، فاختلفت أسماؤ ها حسب الزمان والأجساد ، مع أنها كانت واحدة . كما يقول الجيلى :

«اعلـم حفظـك الله أن الإنسـان الكـامـل هو القطب الـذى تدور عليـه أفلاك الوجود من أوله إلى آخره ، وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الآبدين ، ثم له تنوع فى ملابس ويظهر فى كنائس ، فيسمى به باعتبار لباس ، ولا يسمى به باعتبار لباس آخر؛ فاسمه الأصلى الذى هو له محمد ، وكنيته أبو القاسم ، ووصفه عبد الله ، ولقبه شمس الـدين ، ثم له باعتبـار ملابس أخـرى أسـام ، وله فى كل زمان اسم ما يليق بلباسه فى

---

(٣٣٤) كتـاب بيت الـدعـوة الاسـلامية نسخة خطية ص١٠ نقلا عن تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب الاسماعيلى ص٨١، ٨٢ .

(٣٣٥) أجـزاء عن العقـائد الاسماعيلية ، كتاب الداعى إبراهيم تقديم المستشرق الفرنساوى كويارد ط أمبير ين نيشنل بريس ١٧٨٤م .

ملحوظة : انظر لتفصيل ذلك كتابنا الاسماعيلية .

ذلك الزمان، فقد اجتمعت به ﷺ وهو فى صورة شيخى الشيخ شرف الدين اسماعيل الجبرتى، ولست أعلم أنه النبى ﷺ، وكنت أعلم أنه الشيخ، وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعمائة، وسرّ هذا الأمر تمكنه ﷺ من التصور بكل صورة، فالأديب إذا رآه فى الصور المحمدية التى كان عليها فى حياته فإنه يسميه باسمه، وإذا رآه فى صورة ما من الصور وعلم أنه محمد، فلا يسميه إلا باسم تلك الصورة، ثم لا يوقع ذلك الاسم إلا على الحقيقة المحمدية، ألا تراه ﷺ لما ظهر فى صورة الشبلى رضى الله عنه قال الشبلى لتلميذه: أشهد أنى رسول الله، وكان التلميذ صاحب كشف فعرفه، فقال: أشهد أنك رسول الله، وهذا أمر غير منكور، وهو كما يرى النائم فلانا فى صورة فلان. وأقل مراتب الكشف أن يسوغ به فى اليقظة ما يسوغ به فى النوم، لكن بين النوم والكشف فرق، وهو أن الصورة التى يرى فيها محمد ﷺ فى النوم ولا يوقع اسمها فى اليقظة على الحقيقة المحمدية، لأن عالم المثال يقع التعبير فيه فيعبر عن الحقيقة المحمدية إلى حقيقة تلك الصورة فى اليقظة، بخلاف الكشف فإنه اذا كشف لك عن الحقيقة أنها متجلية فى صورة من صور الآدميين، فيلزمك إيقاع اسم تلك الصورة على الحقيقة المحمدية. ويجب عليك أن تتأدب مع صاحب تلك الصورة تأدبك مع محمد ﷺ، لما أعطاك الكشف أن محمدا ﷺ متصور بتلك الصورة، فلا يجوز ذلك بعد شهود محمد ﷺ فيها أن تعاملها بما كنت تعاملها به من قبل؛ ثم إياك أن تتوهم شيئا فى قولى من مذهب التناسخ، حاشا لله وحاشا رسول الله ﷺ أن يكون ذلك مرادى، بل إن رسول الله ﷺ له من التمكين فى التصور بكل صورة حتى يتجلى فى هذه الصورة، وقد جرت سنته ﷺ أنه لا يزال يتصور فى كل زمان بصورة أكملهم ليعلى شأنهم ويقيم ميلانهم، فهم خلفاؤه فى الظاهر وهو فى الباطن حقيقتهم»(٣٣٦).

وهذا ما قاله الدكتور أبو العلاء العفيفى معلقا على الفصّ السابع والعشرين (فصّ حكمة فردية فى كلمة محمدية) من فصوص ابن عربى، فقال:

«شاع من أوائل عهد الاسلام القول بأزلية محمد عليه السلام، أو بعبارة أدق بأزلية «النور المحمدي». وهو قول ظهر بين الشيعة أولاً ولم يلبث أهل السنة أن أخذوا به، واستند الكل فى دعواهم إلى أحاديث يظهر أن أكثرها موضوع. من ذلك أن النبى (ﷺ) قال: «أنا أول الناس فى الخلق» ومنها: «أول ما خلق الله نوري»، ومنها:

---

(٣٣٦) الانسان الكامل للجيلى عبد الكريم ج٢ ص٧٤، ٧٥.

«كنت نبيا وآدم بين الماء والطين» وغير ذلك من الأحاديث التى استنتجوا منها أنه كان لمحمد عليه السلام وجود قبل وجود الخلق، وقبل وجوده الزماني فى صورة النبي المرسل؛ وأن هذا الوجود قديم غير حادث، وعبروا عنه بالنور المحمدى. وقد أفاضت الشيعة فى وصف هذا النور المحمدي، فقالوا إنه ينتقل فى الزمان من جيل إلى جيل، وأنه هو الذي ظهر بصورة آدم ونوح وابراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء، ثم ظهر أخيراً بصورة خاتم النبيين محمد عليه السلام. وبهذا أرجعوا جميع الأنبياء من آدم إلى محمد، وكذلك ورثة محمد إلى أصل واحد. وهو قول نجد له صدى في الغنوصية المسيحية. يقول الأب كليمنت الأسكندري: «ليس فى الوجود إلا نبى واحد وهو الانسان الذي خلقه الله على صورته، والذي يحل فيه روح القدس، والذى يظهر منذ الأزل في كل زمان بصورة جديدة».

نجد لكل هذا الكلام نظيراً في كتب ابن عربي فيما يسميه الكلمة المحمدية أو الحقيقة المحمدية أو النور المحمدى. فهو لا يقصد بالكلمة المحمدية فى هذا الفص محمداً الرسول، وإنما يقصد الحقيقة المحمدية التى يعتبرها أكمل مجلىً خلقيٍ ظهر فيه الحق، بل يعتبره الانسان الكامل والخليفة الكامل بأخص معانيه. وإذا كان كل واحد من الموجودات مجلى خاصاً لبعض الأسماء الالهية التي هى أرباب له، فإن محمداً قد انفرد بأنه مجلى للاسم الجامع لجميع تلك الأسماء، وهو الاسم الأعظم الذى هو «الله». ولهذا كانت له مرتبة الجمعية المطلقة، ومرتبة التعين الأولِ الذي تعينت به الذات الأحدية، إذ ليس فوقه إلا هذه الذات المنزهة في نفسها عن كل تعين وكل صفة واسم ورسم.

ولهذه الحقيقة المحمدية التي هي أول التعينات - وإن شئت فقل أول المخلوقات - وظائف أخرى ينسبها إليها ابن عربي. فهي من ناحية صلتها بالعالم مبدأ خلق العالم، إذ هي النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء. أو هي العقل الالهي الذى تجلى الحق فيه لنفسه فى حالة الأحدية المطلقة، فكان هذا التجلي بمثابة أول مرحلة من مراحل التنزّل الالهي فى صور الوجود. فلما انكشفت له حقيقة ذاته وكمالاتها، وما فيها من أعيان الممكنات التى لا تحصى، أحب إظهار كمالاته في صور تكون له بمثابة المرايا التي يرى فيها نفسه، فكانت أعيان الممكنات الخارجية تلك المرايا.

ومن ناحية صلة الحقيقة المحمدية بالانسان، يعتبرها ابن عربي صورة كاملة

للإنسان الكامل الذي يجمع في نفسه جميع حقائق الوجود، ولذلك يسميها آدم الحقيقي، والحقيقة الانسانية. ويعدها من الناحية الصوفية مصدر العلم الباطن، ومنبعه، وقطب الأقطاب.

فى هذا الوصف الاجمالي لما يسميه ابن عربي «الكلمة المحمدية»، أو الحقيقة المحمدية، عناصر مختلفة مستمدة من الفلسفة الأفلاطونية الحديثة، والفلسفة المسيحية واليهودية، مضافاً إلى ذلك بعض أفكار من مذهب الاسماعيلية الباطنية والقرامطة. مزج جميع تلك العناصر على طريقته الخاصة، فضيع بذلك معالم الأصول التي أخذ عنها، وخرج على العالم بنظرية في طبيعة الحقيقة المحمدية، لا تقل في خطرها وأهميتها في تاريخ الأديان عن النظريات التى وضعها المسيحيون فى طبيعة المسيح، أو النظريات اليهودية أو الرواقية، أو اليونانية التي تأثرت بها النظرية المسيحية»[٣٣٧].

وبمثل ذلك قال الفرغانى:

«وكل نبى من آدم عليه السلام إلى محمد ﷺ مظهر من مظاهر نبوة الروح الأعظم. فنبوته ذاتية دائمة، ونبوة المظاهر عرضية منصرمة، إلا نبوة محمد ﷺ، فانها دائمة غير منصرمة، اذ حقيقته حقيقة الروح الأعظم، وصورته صورة الحقيقة التى ظهر فيها بجيمع أسمائها وصفاتها. وسائر الأنبياء مظاهرها ببعض الأسماء والصفات، تجلت فى المظهر المحمدى بذاتها وجميع صفاتها، وختم به النبوة، فكان الرسول ﷺ سابقا على جميع الأنبياء من حيث الحقيقة، متأخرا عنهم من حيث الصورة، كما قال: نحن الآخرون السابقون، وقال: كنت نبيا وآدم بين الماء والطين: وفى رواية أخرى: بين الروح والجسد: أى لا روحا ولا جسدا»[٣٣٨].

ويدل أيضا على اعتقاد الصوفية بالتناسخ ما ذكره الدباغ فى الابريز بأن روح الوليّ تقدر على أن تخرج من ذات الولى وتتصور بصورة غير صورته[٣٣٩].

وأيضا ما ذكره الشعرانى عن صوفى أنه «ظهر لأعدائه فى هيئة أسد عظيم»[٣٤٠].

---

(٣٣٧) فصوص الحكم لابن عربى ــ قسم التعليقات الثانى ص٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١.

(٣٣٨) المقدمات للفرغانى مخطوط ورقة ١١ إلى ١٤ نقلا عن كتاب ختم الأولياء ص٤٨٦ ط بيروت.

(٣٣٩) انظر الابريز للدباغ ص٢٠٤.

(٣٤٠) انظر طبقات الشعرانى ج٢ص٣.

وكذلك ذكر المنوفى فى جمهرته صوفيا «كان يظهر فى مظهر السباع والفيلة»(٣٤١)

فالحاصل أن الصوفية اقتبسوا من الشيعة هذه الأفكار، وأخذوا منهم هذه العقائد الزائفة الزائغة الباطلة، وقالوا عن أوليائهم مثل ذلك، بل زادوا عليهم فى غلوائهم وغيّهم وضلالهم، حيث قالوا نقلا عن ابراهيم الدسوقى أنه قال عن نفسه فى أبياته:

«أنا ذلك القطب المبارك أمره ... فإن مدار الكل من حول ذروتى
أنا شمس إشراق العقول ولم أفل ... ولا غبت إلا عن قلوب عمية
يرونى فى المرآة وهى صدية ... وليس يرونى بالمرآة الصقيلة
وبى قامت الأنبياء فى كل أمة ... بمختلف الآراء والكل أمتى
ولا جامع إلا ولى فيه منبر ... وفى حضرة المختار فزت ببغيتى
بذاتى تقوم الذات فى كل ذروة ... أجدد فيها حلة بعد حلة
فليلى وهند والرباب وزينب ... وعلوى وسلمى بعدها وبثينة
عبارات أسماء بغير حقيقة ... وما لوّحوا بالقصد إلا لصورتى
نعم نشأتى فى الحب من قبل آدم ... وسرى فى الأكوان من قبل نشأتى
أنا كنت فى العلياء مع نور أحمد ... على الدرة البيضاء فى خلويتى
أنا كنت فى رؤيا الذبيح فداءه ... بلطف عنايات وعين حقيقة
أنا كنت مع إدريس لما أتى العلا ... وأسكن فى الفردوس أنعم بقعة
أنا كنت مع عيسى على المهد ناطقا ... وأعطيت داودا حلاوة نغمة
أنا كنت مع نوح بما شهد الورى ... بحارا وطوفانا على كف قدرة
أنا القطب شيخ الوقت فى كل حالة ... أنا العبد إبراهيم شيخ الطريقة»(٣٤٢)

ورووا عن أحد المتصوفة البارزين أنه كان يقول:

«أنا موسى الكليم فى مناجاته، أنا علىّ فى حملاته، أنا كل ولىّ فى الأرض خلقته بيدى، ألبس منهم من شئت، أنا فى السماء شاهدت ربى، وعلى الكرسى خاطبته، أنا بيدى أبواب النار ان أغلقتها أغلقها بيدى، وبيدى جنة الفردوس ان فتحتها أفتحها، ومن زارنى أدخلته جنة الفردوس»(٣٤٣).

---

(٣٤١) انظر جمهرة الأولياء للمنوفى الحسينى ج٢ ص٢٦٤.

(٣٤٢) طبقات الشعرانى ج١ ص١٨٠، ١٨١.

(٣٤٣) طبقات الشعرانى ج١ ص١٨٠، أيضا النفحة العلية فى أوراد الشاذلية جمع عبد القادر زكى ص٢٥٦ ط مكتبة المتبنى القاهرة.

وقال فتح الله بوراس :

«أنـــا كلّ ولـــى فى الأرض قد أولـــيـتــه
أنـــا كل حكـيـم من أهـــل الســماء قد علمتــه
وأيـــوب من جميـــع الأمـــراض قد أشـــفـيتــه
وبـــصـــر يعـــقـــوب أنـــا الـــذى قد رددتـــه
وابنــه يوسف من الجبّ الغـــريق قد أظهـــرتــه
ويـــونس من بطن الحـــوت بالعـــراء قد نبـــذتـه
ونـــوح من بحـــر الطـــوفـان أنـا الـذى أنجيتـه
وفى الســماء الســابعـة شاهـدت ربّى وكلّمته
وبـيـــدى باب الجـنـــان قد فتـحـتـــه ودخلتـــه
ومـــا فيـــه من الحـــور العـين قد رأيتـه وحصيتـه
ومـــن رآنـــى ورأى من رآنـى وحـضـــر مجلسى
فى جنـــة عدن وبستـــانهـــا قد أسكنتـــه»(٣٤٤) .

وذكـر فريـد الـدين العطـار عن أبى يزيـد البسطـامى أنـه سئـل عن العـرش والكرسى فقال : «أنا العرش والكرسى ، وقال : أنا ابراهيم ، وأنا موسى ، وأنا محمد»(٣٤٥) . وهذا عين ما رواه الشيعة أنفسهم عن علي رضى الله عنه أنه قال :

«أنـا اللوح ، وأنـا القلم ، وأنـا العرش ، وأنا الكرسى ، وأنا السموات السبع ، وأنا السموات الحسنى ، والكلمات العليا»(٣٤٦) .

والجـديـر بالـذكر أن الصوفية ينقلون لبيان معتقداتهم نفس الروايات الموضوعة المكذوبة التى يرويها الشيعة عن علىّ رضى الله عنه وأولاده .

فمثلا يروى الشعرانى ومحمد الرفاعى وغيرهما عنه رضى الله عنه أنه كان يقول فى خطبته على رؤوس الأشهاد :

«أنـا نقطـة بسم الله ، أنـا جنب الله ، الـذى فرطتم فيـه ، أنـا القلم وأنا اللوح المحفوظ ، وأنا العرش وأنا الكرسى ، وأنا السموات السبع والأرضون»(٣٤٧) .

---

(٣٤٤) الوصية الكبرى لعبد السلام الفيتورى ص٧٤، ٧٥ ط طرابلس ليبيا ١٣٩٦هـ .
(٣٤٥) انظر تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص٩٩ ط باكستان .
(٣٤٦) مشارق أنوار اليقين لحافظ رجب البرسى ص١٥٩ ط دار الأندلس بيروت الطبعة الحادية عشر .
(٣٤٧) الجواهر والدرر للشعرانى ج٢ ص٣١١ بهامش الابريز للدباغ ط مصر .

مَراتِبُ الصّوفيَّة

وأما مراتب الصوفية، التى وضعوها لبيان طبقات المتصوفة ومكانتهم، وقدرتهم واختيارهم على الخلق، وأعدادهم، وهم حسب كلام لسان الدين بن الخطيب: «خواصّ الله فى أرضه، ورحمة الله فى بلاده على عباده: الأبدال، والأقطاب، والأوتاد، والعرفاء، والنجباء، والنقباء، وسيدهم الغوث»(٣٤٨).

ولدى الهجويرى هم: «أهل الحل والعقد، وقادة حضرة الحق جل جلاله، فثلاثمائة يدعون الأخيار، وأربعون آخرون يسمون الأبدال، وسبعة آخرون يقال لهم: الأبرار، وأربعة يسمون الأوتاد، وثلاثة آخرون يقال لهم: النقباء، وواحد يسمى القطب والغوث.

وهؤلاء جميعا يعرفون أحدهم الآخر، ويحتاجون فى الأمور لأذن بعضهم البعض»(٣٤٩).

ومثل ذلك ذكرهم الجرجانى فى تعريفاته:

«القطب، وهو الغوث: عبارة عن الواحد الذى هو موضع نظر الله من العالم فى كل زمان ومكان، وهو على قلب اسرائيل عليه السلام.

الامامان: هما شخصان، أحدهما عن يمين الغوث ونظره فى الملكوت، والآخر عن يساره، ونظره فى الملك، وهو أعلى من صاحبه، وهو الذى يخلف الغوث.

الأوتاد: عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم: شرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة.

البدلاء: هم سبعة، ومن سافر من القوم عن موضعه وترك جسدا على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد، فذلك هو البدل لا غير، وهم على قلب ابراهيم عليه السلام.

النجباء: أربعون، وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق فلا يتصرفون إلا فى حق الغير.

---

(٣٤٨) انظر روضة التعريف ص٤٣٢ .

(٣٤٩) كشف المحجوب للهجويرى ترجمة عربية ص٤٤٧، ٤٤٨

النقباء: هم الذين استخرجوا خبايا النفوس، وهم ثلاثمائة»(٣٥٠).

وهذا الترتيب مأخوذ عن ابن عربى فى فتوحاته كما قال:

«والمجمع عليه من أهل الطريق أنهم على ست طبقات أمهات: أقطاب، وأئمة، وأوتاد، وأبدال، ونقباء، ونجباء»(٣٥١).

ومثل ذلك ورد فى (الوصية الكبرى) لشيخ العروسية عبد السلام الفيتورى(٣٥٢).

وفى (جامع الأصول فى الأولياء) للكمشخانوى(٣٥٣).

وفى (طبقات السلمى) للسلمى(٣٥٤).

ولا بأس من ايراد عبارة داود بن محمود القيصرى ههنا، لما فيها من زيادة توضيح لهذا الأمر، فيقول:

«ولهم مراتب. الأولى مرتبة القطبية، ولا يكون فيها أبداً إلا واحد بعد واحد. ويسمى غوثاً، لكونه مغيثاً للخلق فى أحوالهم. ثم مرتبة الامامين، وهما كالوزيرين للسلطان. أحدهما صاحب اليمين، وهو المتصرف بإذن القطب فى عالم الملكوت والغيب، وثانيهما صاحب اليسار، وهو المتصرف فى عالم الملك والشهادة. وعند ارتحال القطب إلى الآخرة، لا يقوم مقامه، منهما، الا صاحب اليسار، لكونه أكمل فى السير من صاحب اليمين: لأنه، بَعْدُ، ما نزل فى السير من عالم الملكوت إلى عالم الملك، وصاحب اليسار نزل اليه، وكملت دايرته فى السير والوجود. ثم مرتبة الأربعة، كالأربعة من الصحابة، رضي الله عنهم أجمعين! ثم مرتبة البدلاء السبعة، الحافظين للاقاليم السبعة. وكل منهم قطب للاقليم الخاص به. ثم مراتب الأولياء العشرة، كالعشرة المبشرة. ثم مراتب الاثنى عشر، الحاكمين على البروج الاثنى عشر، وما يتعلق بها ويلزمها من حوادث الاكوان. ثم العشرين والأربعين والتسعة والتسعين، مظاهر الأسماء الحسنى، الى الثلاثمائة والستين.

«وهؤلاء قايمون فى العالم على سبيل البدل، فى كل زمان، لا يزيد عددهم ولا

---

(٣٥٠) التعريفات للجرجانى ص ١٥٤.

(٣٥١) الفتوحات المكية لابن عربى ج٢ ص٤٠.

(٣٥٢) انظر ص ٤٨.

(٣٥٣) انظر ص ١٠٧.

(٣٥٤) انظر ص ٥٧.

ينقص إلى يوم القيامة . وغيرهم من الأولياء يزيدون وينقصون، بحسب ظهور التجلي الالهي وخفائه . وبعدهم : مرتبة الزهاد والعبّاد والعلماء من المؤمنين، الكائنين فى كل زمان إلى يوم الدين. وجميع هؤلاء المذكورين، داخلون فى حكم القطب.

«والأفراد الكمّل، الذين تعادل مرتبتهم مرتبة القطب إلا فى الخلافة، هم الخارجون من حكمه. فانهم يأخذون من الله، سبحانه، ما يأخذون من المعاني والأسرار الالهية بخلاف الداخلون فى حكمه، فانهم لا يأخذون شيئاً إلا منه»(٣٥٥).

وقد ذكرهم المستشرق الفرنساوى ماسينيون بقوله :

«ويزعم الصوفية أن العالم يدوم بقاؤه بفضل تدخل طبقة من الأولياء المستورين عددهم محدود، وكلما قبض منهم واحد خلفه غيره، ورجال الغيب هم : ثلاثمائة من النقباء، وأربعون من الأبدال، وسبعة أمناء، وأربعة عمد، ثم القطب، وهو الغوث»(٣٥٦).

فهذه المراتب والترتيب والأعداد لم يأخذها المتصوفة إلا من الشيعة أيضا، وخاصة من الشيعة الاسماعيلية والنصيرية كما ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية فى رسائله وفتاواه :

«وأما الأسماء الدائرة على ألسنة كثير من النساك والعامة مثل الغوث الذى يكون بمكة، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة، والأبدال الأربعين، والنجباء الثلاثمائة، فهذه الأسماء ليست موجودة فى كتاب الله، ولا هى أيضا مأثورة عن النبى ﷺ لا باسناد صحيح ولا ضعيف محتمل، إلا لفظ الأبدال فقد روى فيهم حديث شامى منقطع الاسناد عن علي بن أبى طالب مرفوعا الى النبى ﷺ أنه قال: ان فيهم - يعنى أهل الشام - الأبدال أربعين رجلا، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا: ولا توجد هذه الأسماء فى كلام السلف كما هى على هذه الترتيب. . . وهذا من جنس دعوى الرافضة أنه لابد فى كل زمان من امام معصوم يكون حجة الله على المكلفين لا يتم الايمان إلا به، ثم مع هذا يقولون: انه كان صبيا دخل السرداب من أكثر من أربعمائة وأربعين سنة، ولا يعرف له عين ولا أثر، ولا يدرك له حس ولا خبر.

---

(٣٥٥) شرح مقدمة التائية الكبرى للقصيرى مخطوط ص١٠٤ نقلا عن كتاب ختم الأولياء للترمذى الحكيم ص٤٩٥ ط بيروت.

(٣٥٦) التصوف لماسينيون ترجمة عربية ص ٤٥ ، ٤٦ .

وهؤلاء الذين يدعون هذه المراتب فيهم معناها للرافضة من بعض الوجوه، بل هذا الترتيب والاعتداد يشبه من بعض الوجوه ترتيب الاسماعيلية والنصيرية ونحوهم فى السابق والتالى والناطق والأساس والحدّ وغير ذلك من الترتيب الذى ما أنزل الله به من سلطان»(٣٥٧).

وبـذلـك قال ابن خلدون فى هذا الخصـوص، والمسائل الأخرى التى ذكرناها بأن المتصوفة أخذوها من التشيع، فيقول:

«إن هؤلاء المتأخـرين من المتصـوفـة المتكلمـين فى الكشف وفيـما وراء الحس توغلوا فى ذلك فذهب الكثير منهم إلى الحلول والوحدة كما أشرنا إليه وملأوا الصحف منه مثل الهروي فى كتاب المقامات له وغيره وتبعهم ابن العربي وابن سبعين وتلميذهما ابن العفيف وابن الفـارض والنجم الاسـرائيلى فى قصـائـدهم وكان سلفهم مخالطين للاسماعيلية المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضاً بالحلول وإلهية الأئمة مذهباً لم يعرف لأولهم فأشـرب كل واحـد من الفـريقـين مذهب الآخـر واختلط كلامهم وتشـابهت عقائدهم وظهر في كلام المتصوفة القول بالقطب ومعناه رأس العارفين يزعمون أنه لا يمكن أن يسـاويـه أحـد في مقامه في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان وقد أشار إلى ذلك ابن سينا فى كتاب الاشارات فى فضول التصوف منها فقال جل جناب الحق أن يكون شرعة لكل وارد أو يطلع عليه إلا الواحد بعد الواحد وهـذا كلام لا تقعوم عليـه حجـة عقلية ولا دليل شرعي وإنما هو من أنواع الخطابة وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به ثم قالوا بترتيب وجود الابدال بعد هذا القطب كما قاله الشيعة فى النقباء»(٣٥٨).

هذا وقد أقر بذلك أحمد أمين المصرى، فكتب: «أن الصوفية اتصلت بالتشيع اتصالاً وثيقاً، وأخذت فيما أخذت عنه فكرة المهدى، وصاغتها صياغة جديدة وسمته «قطباً»، وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح، وعلى رأس هذه المملكة الروحية القطب، وهو نظير الإمام أو المهدى فى التشيع؛ والقطب هو الذى «يدبر الأمر فى كل عصر، وهو عماد السماء، ولولاه لوقعت على الأرض»؛ ويلى القطب النجباء، قال ابن عربى فى الفتوحات المكية: «وهم اثنا عشر نقيباً فى كل زمان، لا يزيدون ولا

---

(٣٥٧) انظر مجموعة الرسائل والمسائل للامام ابن تيمية ج١ ص٥٧ و٦٠ ط بيروت ١٩٨٣م، كذلك مجموعة فتاوى ابن تيمية ج١١ ص٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٩.

(٣٥٨) انظر مقدمة ابن خلدون الفصل الحادى عشر فى علم التصوف ص ٤٧٣ ط القاهرة.

ينقصون، على عدد بروج الفلك الاثنى عشر، كل نقيب عالم بخاصية كل برج وبما أودع الله تعالى فى مقامه من الأسرار والتأثيرات . . . واعلم أن الله تعالى قد جعل بأيدى هؤلاء النقباء علوم الشرائع المنزلة، ولهم استخراج خبايا النفوس وغوائلها، ومعرفة مكرهات وخداعها، وإبليس مكشوف عندهم، يعرفون منه ما لا يعرفه من نفسه، وهم من العلم بحيث اذا رأى أحدهم وطأة شخص فى الأرض علم أنها وطأة سعيد أو شقىّ مثل العلماء بالآثار والقيافة»[٣٥٩] .

وأما من أراد مقارنة هذه المراتب بالمراتب الاسماعيلية فليرجع إلى كتابنا (الاسماعيلية القدامى تاريخ وعقائد) الباب السابع منه (ماهية الدعوة الاسماعيلية ونظامها) .

ولا بأس من ايراد عبارة عن القاضى الاسماعيلى النعمان بن محمد المغربى، ذكر فيها أصحاب المراتب العليا، فيقول:

«والحدود السفلية هم: الأسس، الأئمة، والحجج، والنقباء، والأجنحة»[٣٦٠] .

ومثل ذلك ذكر الداعى الاسماعيلى حميد الدين الكرمانى فى كتابه راحة العقل[٣٦١] .

وابراهيم بن الحسين الحامدى[٣٦٢] .

فهذه هى العقيدة الشيعية الأخرى التى تسربت إلى التصوف، وتحكمت فيهم، وسنوضح معانى هذه المصطلحات مع القضايا الأخرى فى جزء مستقل من هذا الكتاب إن شاء الله .

---

(٣٥٩) ضحى الاسلام لأحمد أمين ص٢٤٥ ط القاهرة ١٩٥٢م .

(٣٦٠) انظر أساس التأويل للنعمان القاضى المغربى ص٧٠، ٧١ ط دار الثقافة بيروت .

(٣٦١) انظر ص٢٥٢ وما بعد .

(٣٦٢) انظر تحفة القلوب ورقة ١٤٤ نسخة خطية فى مكتبتى .

التقيــة

من أهم المبادىء الشيعية وأسسهم ومعتقداتهم الاخفاء والكتمان، واظهار ما لا يعتقـدونـه فى السـر، واعلان ما يبطنون خلافه، وهذا من أخطر ما يؤمن به الشيعة، ويميزهم من الطوائف المسلمة الأخرى، ويحول بينهم وبين الالتقاء بهم، لأنه لا يعلم ظاهرهم من باطنهم، وكذبهم من صدقهم، كما قال السيد محب الدين الخطيب:

«وأول موانع التجاوب الصادق بالاخلاص بيننا وبينهم ما يسمونه التقية، فانها عقيـدة دينيـة تبيـح لهم التظـاهـر لنـا بغـير ما يبطنـون، فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم فى التفاهم والتقارب، وهم لا يريدون ذلك ولا يرضون به ولا يعملون له»(٣٦٣).

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية:

«النفاق والزندقة فى الرافضة أكثر منه فى سائر الطوائف، بل لابد لكل منهم من شعبة نفاق، فان أساس النفاق الذى بنى عليه الكذب، وأن يقول الرجل بلسانه ما ليس فى قلبه كما أخبر الله تعالى عن المنافقين: انهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم.

والرافضة تجعل هذا من أصول دينها وتسميه التقية، وتحكى هذا عن أئمة أهل البيت الذين برّأهم الله عن ذلك حتى يحكوا ذلك عن جعفر الصادق أنه قال: التقية دينى ودين آبـائى، وقـد نزّه الله المؤمنـين من أهل البيت وغيرهـم عن ذلك، بل كانوا من أعظم الناس صدقا وتحقيقا للايمان، وكان دينهم التقوى، لا التقية»(٣٦٤).

فهناك روايات كثيرة فوق الحصر، التى أوردها الشيعة فى كتبهم لاعتناق هذه العقيـدة من أئمتهم المعصـومـين، ونحن أوردنا العديد منها فى كتابنا الشيعة والسنة، وخصصنا بابا مستقلا لبيان هذا المبدأ وأهميته عند القوم، كما عقدنا فصلا مستقلا فى كتـابنـا الجـديد (بين الشيعة وأهل السنة) لهذا الموضوع، فمن أراد التعمق والتفصيل فليرجع اليهما، ولكن نذكر هنا روايتين عن القوم:

---

(٣٦٣) الخطوط العريضة للأسس التى قام عليها مذهب الشيعة الاثنى عشرية ص٨ الطبعة السادسة.
(٣٦٤) منهاج السنة النبوية لشيخ الاسلام ابن تيمية ج١ ص١٥٩ ط باكستان.

روى الكشى عن حسين بن معاذ بن مسلم النحوى: «عن أبى عبد الله (ع) قال:

«قال لى (أبو عبد الله): بلغنى أنك تقعد فى الجامع، فتفتى الناس؟ قال: قلت: نعم، وقد أردت أن أسألك عن ذلك قبل أن أخرج إنى أقعد فى الجامع، فيجىء الرجل، فيسألنى عن الشىء فاذا عرفته بالخلاف أخبرته بما يقولون . . . قال (أى معاذ بن مسلم) فقال لى (أبو عبد الله): اصنع كذا، فانى أصنع كذا»(٣٦٥).

ورواية أخرى رواها الكلينى عن جعفر أنه قال لأصحابه معلى بن خنيس:

«يا معلى، اكتم لأمرنا ولا تذعه، فانه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به فى الدنيا، وجعله نورا بين عينيه فى الآخرة، يقوده فى الجنة.

يا معلّى، من أذاع أمرنا ولم يكتمه أذله الله به فى الدنيا، ونزع النور من بين عينيه فى الآخرة، وجعله ظلمة تقوده إلى النار.

يا معلى، ان التقية من دينى ودين آبائى، ولا دين لمن لا تقيه له»(٣٦٦).

وعلى ذلك قال صدوقهم ابن بابويه القمى:

«اعتقادنا فى التقية أنها واجبة، لا يجوز رفعها إلى أن يقوم القائم، ومن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الامامية، وخالف الله ورسوله والأئمة»(٣٦٧).

وقال مفيدهم:

«التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، ومكاتمة المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا فى الدين أو الدنيا، وفرض ذلك اذن علم بالضرورة أو قوى فى الظن»(٣٦٨).

فهذا هو معتقد الشيعة ومبدؤهم الذى اشتهروا به، وعيّروا عليه، وطعنوا فيه.

ولكن المتصوفة أخذوه بكامله عنهم، وزادوا عليهم حيث اتهموا رسول الله بتهمة برّأ الله ساحته عنها بقوله: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾(٣٦٩).

---

(٣٦٥) رجال الكشى ص٢١٨ تحت ترجمة معاذ بن مسلم ط مؤسسة الأعلمى كربلاء العراق.

(٣٦٦) الأصول من الكافى للكلينى ج٢ ص٢٢٣، ٢٢٤ ط إيران.

(٣٦٧) الاعتقادات لابن بابويه القمى ص٤٤ .

(٣٦٨) شرح اعتقادات الصدوق فصل التقية ص٢٤١ .

(٣٦٩) سورة التكوير الآية ٢٤ .

واستندوا بحديث مكذوب على رسول الله ﷺ مع علمهم بأنه هو القائل : «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار»(٣٧٠) .

فقالوا :

«أمر الله نبينا محمدا ﷺ بكتم أشياء مما لا يسعه غيره للحديث المرويّ عنه ﷺ أنه قال : أوتيت ليلة أسرى بى ثلاثة علوم ، فعلم أخذ عليّ فى كتمه ، وعلم خيّرت فى تبليغه ، وعلم أمرت بتبليغه .

فالعلم الذى أمر بتبليغه هو علم الشرائع ، والعلم الذى خير فى تبليغه هو علم الحقائق ، والعلم الذى أخذ عليه فى كتمه هو الأسرار الإلهية ولقد أودع الله جميع ذلك فى القرآن . فالذى أمر بتبليغه ظاهر . والذى خير فى تبليغه باطن لقوله (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) وقوله (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) وقوله (وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه) وقوله (ونفخت فيه من روحى) فإن جميع ذلك له وجه يدلّ على الحقائق ووجه يتعلق بالشرائع ، فهو كالتخير ، فمن كان فهمه إلهيا فقد بلغ ذلك ، ومن لم يكن فهمه ذلك الفهم وكان مما لو فوجىء بالحقائق أنكرها ، فإنه ما بلغ إليه ذلك لئلا يؤدى ذلك إلى ضلالته وشقاوته . والعلم الذى أخذ عليه فى كتمه فإنه مودع فى القرآن بطريق التأويل لغموض الكتم ، فلا يعلم ذلك إلا من أشرف على نفس العلم أولا ، وبطريق الكشف الإلهى ، ثم سمع القرآن بعد ذلك ، فإنه يعلم المحلّ الذى أودع الله فيه شيئا من العلم المأخوذ على النبيّ ﷺ فى كتمه وإليه الاشارة بقوله تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) على قراءة من وقف هنا ، فالذى يطلع تأويله فى نفسه هو المسمى بالله فافهم»(٣٧١) .

ويقول أبو نصر السراج الطوسى :

«ان حقائق رسالة محمد ﷺ وما خصّه الله تعالى به من العلم ، لو وضعت على الجبال لذابت إلا أنه كان يظهرها لهم على مقاديرهم»(٣٧٢) .

أى لم يظهر النبى ﷺ جميع العلوم التى كان قد خصّه الله بها ـ حسب زعمهم ـ وذلك لأجل أن الناس لم يكونوا يقدرون على حملها ومعرفتها .

---

(٣٧٠) رواه البخارى وأبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد وغيرهم .
(٣٧١) الانسان الكامل لعبد الكريم الجيلى ج١ ص١١٧ الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ مصر .
(٣٧٢) كتاب اللمع للطوسى ص١٥٩ .

وبمثل ذلك نقل الشعرانى عن سيده محمد الحنفى أنه قال:

«وههنا كلام لو أبديناه لكم لخرجتم مجانين لكن نطويه عمن ليس من أهله»[٣٧٣].

وهذا عين ما ذكره الشيعة عن جعفر بن الباقر أنه قال:

«ان عندنا والله سرا من سرّ الله، وعلما من علم الله، أمرنا الله بتبليغه، فبلّغنا عن الله عز وجل ما أمرنا بتبليغه، فلم نجد له موضعا ولا أهلا ولا حمالة يحتملونه»[٣٧٤].

ونسبوا إلى على رضى الله عنه أنه قال:

«ان أمرنا صعب مستصعب لا يحمله إلا عبد امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعى حديثنا إلا صدور أمينة، وأحلام رزينة»[٣٧٥].

أيضا «لا يحتمله ملك مقرب، ولا نبى مرسل، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للايمان»[٣٧٦].

هذا وان الصوفية اتهموا أبا هريرة رضى الله عنه أنه قال:

«حفظت من رسول الله ﷺ جرابين من العلم: أما أحدهما فبثثته فى الناس، وأما الآخر فلو بثثته لقطع منى هذا البلعوم»[٣٧٧].

كما كذبوا على علىّ بن الحسين زين العابدين أنه قال:

«يا ربّ جوهر علم لو أبوح به
لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا
ولاستحل رجال مسلمون دمى
يرون أقبح ما يأتونه حسنا
إنى لأكتم من علمى جواهره
كى لا يرى الحق ذوجهل فيفتتنا»[٣٧٨]

---

(٣٧٣) طبقات الشعرانى ج ٢ ص٩٨.

(٣٧٤) الأصول من الكافى ج١ ص٤٠٢، أيضا بصائر الدرجات الكبرى للصفار ص٤٠.

(٣٧٥) انظر نهج البلاغة.

(٣٧٦) الأصول من الكافى ج١ ص٤٠٢.

(٣٧٧) ايقاظ الهمم لابن عجيبة الحسنى ص١٤٥ ط مصر.

(٣٧٨) أيضـــا.

وقال النفزى الرندى:

«فى قلوب الأحرار قبور الأسرار، والسر أمانة الله تعالى عند العبد، فافشى بالتعبير عنه خيانة، والله تعالى لا يحب الخائنين، وأيضا فان الأمور المشهودة لا يستعمل فيها إلا الاشارة والايماء، واستعمال العبارات فيها افصاح بها واشهار لها، وفى ذلك ابتذالها واذاعتها، ثم ان العبارة عنها لا تزيدها إلا غموضا وانغلاقا، لأن الأمور الذوقية يستحيل ادراك حقائقها بالعبارات النطقية، فيؤدى ذلك إلى الانكار والقدح فى علوم السادة الأخيار.

قال أبو على الروذبارى رضى الله تعالى عنه: علمنا هذا اشارة، فاذا صار عبارة خفى»[٣٧٩].

وأما لسان الدين بن الخطيب فقال:

«حملة علم النبوة هم الذين عناهم رسول الله ﷺ بقوله: علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل، قالوا: وهذا العلم هو الذى لا يجوز كشفه، ولا اذاعته ولا ادعاؤه، ومن كشفه واذاعه وجب قتله واستحل دمه وينسبون فى ذلك إلى خواص النبوة وخلفائها كثيرا كقوله:

يارُبّ جوهر علم لو أبوح به
لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحلّ رجال مسلمون دمى
يرون أقبح ما يأتونه حسنا»[٣٨٠]

وكان كبار المتصوفة يعملون بهذا المبدأ، ولم يكونوا يظهرون للناس علومهم وأفكارهم كما روى الكلاباذى عن الجنيد أنه قال للشبلى:

«نحن حبّرنا هذا العلم تحبيرا، ثم خبأناه فى السراديب، فجئت أنت، فأظهرته على رؤس الملأ.

فقال: أنا أقول وأنا أسمع، فهل فى الدارين غيرى»[٣٨١].

ونقل الشعرانى كذلك عن الجنيد أنه «كان يستر كلام أهل الطريق عمن ليس

---

(٣٧٩) غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ج١ ص٢١٤ .

(٣٨٠) روضة التعريف بالحب الشريف ص٤٣٢ .

(٣٨١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ص١٧٢ ط القاهرة .

منهم، وكان يستتر بالفقه والافتاء على مذهب أبى ثور، وكان إذا تكلم فى علوم القوم أغلق باب داره، وجعل مفتاحه تحت وركه»[٣٨٢].

وأيضا روى عن الشاذلى أنه كان يقول:

«امتنعت عنى الرؤيا لرسول الله ﷺ، ثم رأيته، فقلت: يارسول الله، ماذ نبى؟ فقال: انك لست بأهل لرؤيتنا لأنك تطلع الناس على أسرارنا»[٣٨٣].

والصوفية يكتمون آراءهم ومعتقداتهم عن غيرهم، ويوصون مريديهم فى كتبهم ومؤلفاتهم التى كتبت للخاصة وخاصة الخاصة، فالصوفى الشهير عبد السلام الفيتورى يكتب فى كتابه (الوصية الكبرى):

«اخوانى، وسنذكر لكم كلاما فى المغيبات لكن يجب الامساك عنها إلا لأهله الذين يكتمونه، ولا ينبغى اظهاره للسفهاء الذين يلحقون به إلى الأمراء والجبابرة وأهل الدنيا»[٣٨٤].

وهناك نص مهمّ جدا ذكره الشعرانى يقطع فى هذا الموضوع فيقول:

وكان بعض العارفين يقول:

«نحن قوم يحرم النظر فى كتبنا على من لم يكن من أهل طريقنا، وكذلك لا يجوز لأحد أن ينقل كلامنا إلا لمن يؤمن به، فمن نقله إلى من لا يؤمن به دخل هو والمنقول إليه جهنم الانكار، وقد صرح بذلك أهل الله تعالى على رؤس الأشهاد وقالوا: من باح بالسرّ استحق القتل»[٣٨٥].

وقد ذكر الدباغ حكايات كثيرة عن الذين لم يكتموا السرّ فابتلاهم الله ببلايا عديدة، من القتل والصلب والحرق والعمى وغير ذلك[٣٨٦].

وكان منهم الحلاج، لأنه لم يقتل إلا لأفشاء سرّه[٣٨٧].

وكما يروون أن الخضر عبر على الحلاج وهو مصلوب، فقال له الحلاج:

«هذا جزاء أولياء الله؟

---

(٣٨٢) اليواقيت والجواهر للشعرانى ج٢ ص٩٣ ط مصطفى البابى الحلبى مصر ١٣٧٨هـ.

(٣٨٣) انظر طبقات الشعرانى ج٢ ص٧٥.

(٣٨٤) الوصية الكبرى لعبد السلام الأسمر الفيتورى ص١٠٥ ط مكتبة النجاح طرابلس ليبيا الطبعة الأولى.

(٣٨٥) اليواقيت والجواهر للشعرانى ص١٧ ط مصطفى البابى الحلبى مصر.

(٣٨٦) انظر الابريز للدباغ ص١٢.

(٣٨٧) انظر تذكرة الأولياء لفريد الدين العطار ص٢٥٢ ط باكستان.

فقال له الخضر: نحن كتمنا فسلمنا، وأنت بحت فمتّ»(٣٨٨).

وكما رووا عن أبى بكر الشبلى أنه قال:

«كنت أنا والحسين بن منصور شيئا واحدا إلا أنه أظهر وكتمت»(٣٨٩).

ونقل أخيرا أن أحمد بن زروق، وابن عجيبة ذكرا عن الجنيد أنه كان يجيب عن المسألة الواحدة بجوابين مختلفين، فكان يجيب هذا بخلاف ما يجيب ذاك(٣٩٠).

هذا عين ما رواه الشيعة على محمد الباقر كما ذكر الكلينى عن زرارة بن أعين أنه قال:

«سألت أبا جعفر عن مسألة فأجابنى، ثم جاءه رجل فسأله عنها فأجابه بخلاف ما أجابنى. ثم جاء رجل آخر فأجابه بخلاف ما أجابنى وأجاب صاحبى، فلما خرج الرجلان قلت: يابن رسول الله، رجلان من أهل العراق من شيعتكم قدما يسألان فأجبت كل واحد منهما بغير ما أجبت به صاحبه؟

فقال: يازرارة، ان هذا خير لنا وأبقى لنا ولكم، ولو اجتمعتم على أمر واحد لصدّقكم الناس علينا، ولكان أقل لبقائنا وبقائكم.

قال: ثم قلت لأبى عبد الله عليه السلام: شيعتكم لو حملتموهم على الأسنة أو على النار لمضوا وهم يخرجون من عندكم مختلفين، قال: فأجابنى بمثل جواب أبيه»(٣٩١).

فهذا هو المبدأ الخطير الآخر الذى أخذه المتصوفة من الشيعة ليكونوا حزبا سرّيا يعمل فى الخفاء لهدم مبادىء الاسلام وتعاليمه، ولتأسيس ديانة جديدة تعمل لتوهين القوى الاسلامية ونشاط المسلمين لنشر الكتاب والسنة، والتقاعد عن الجهاد والغزوات، وبناء المجتمع الاسلامى على أسس كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقد وضعناه أمام الباحثين والقراء مع المقارنة بين أفكار الآخذين والذين أخذ عنهم، معتمدين على أوثق الكتب وأثبتها وأهمها لدى الطرفين.

---

(٣٨٨) شرح حال الأولياء لعز الدين المقدسى مخطوط ورقة ٢٥١.

(٣٨٩) أربعة نصوص ص ١٩ بتحقيق ماسينيون. ط باريس.

(٣٩٠) انظر قواعد التصوف لابن زروق ص١١. ط القاهرة، أيضا ايقاظ الهمم لابن عجيبة ص١٤٤.

(٣٩١) الأصول من الكافى كتاب فضل العلم باب اختلاف الحديث ج١ ص٦٥. ط طهران.

الظاهر والباطن

وأما الفكرة الأخرى التى تسرّبت إلى التصوف من التشيع، واعتنقها الصوفية بتمامها هى فكرة تقسيم الشريعة إلى الظاهر والباطن، والعام والخاص.

ومنهـا تدرّجت وتطـرّقت إلى التأويـل البـاطنى والتفسـير المعنـوى، وتفـريق المسلمـين بين العـامة والخاصة، فان الشيعة بجيمع فرقها، وخاصة الاسماعيلية منهم يعتقـدون أن لكـل ظاهـر باطنـا، وقـد اختص بمعـرفة الباطن علىّ رضى الله عنه، وأولاده أى أئمتهم المعصـومـون حسب زعمهم، فسمّـوا المـوالين لهم بالخاصة، وغير المؤمنين بهذه الفكرة بالعامة.

فلقد قالوا:

«لابدّ لكل محسوس من ظاهر وباطن، فظاهره ما تقع الحواسّ عليه، وباطنه ما يحويه ويحيط العلم به بأنه فيه، وظاهره مشتمل عليه»(٣٩٢).

وكذبوا على رسول الله ﷺ أنه قال:

«ما نزلت علىّ آية إلا ولها ظهر وبطن، ولكل حرف حدّ، ولكل حدّ مطلع»(٣٩٣).

ثم قسموا الظاهر والباطن بين النبى والوصىّ حيث قالوا:

«كـانت الـدعـوة الظـاهـرة قسـط الرسول صلوات الله وسلامه عليه، والدعوة الباطنة قسط وصيّه الذى فاض منه جزيل الانعام»(٣٩٤).

ثم قالوا:

«ان الظـاهـر هو الشريعة، والباطن هو الحقيقة، وصاحب الشريعة هو الرسول محمد صلوات الله عليه، وصاحب الحقيقة هو الوصىّ علىّ بن أبى طالب»(٣٩٥).

هذا ولقد فصّلنا القول فى ذلك فى كتابنا (الاسماعيلية القدامى تاريخ وعقائد)

---

(٣٩٢) **كتاب أساس التاويل للنعمان القاضي** ص٢٨. ط دار الثقافة بيروت.

(٣٩٣) أعلام النبوة لأبي حاتم الرازى تحقيق صلاح الصادى. ط انجمن فلسفة ايران ١٣٩٧هـ.

(٣٩٤) كتب الذخيرة في الحقيقة للداعى الأسماعيلى على بن الوليد المتوفى سنة ٦١٢هـ ص١١٣. ط دار الثقافة بيروت.

(٣٩٥) انظر الافتخار للداعى أبي يعقوب السجستانى ص ٧١. ط لبنان.

حيث بوّبنا بابا مستقلا لبيان هذه العقيدة الخطرة للتلاعب بنصوص القرآن والسنة. فمن أراد الاستزادة فليرجع إليه.

وان الشيعة الآخرين كالشيعة الاثنى عشرية يقولون بهذا القول أيضا كما روى كلينيهم فى كافيّه عن موسى الكاظم - الامام السابع عندهم - أنه قال:
«ان القرآن له ظهر وبطن»(٣٩٦).

وأيضا ما رواه ابن بابويه القمى عن علي بن أبى طالب رضى الله عنه فى حديث طويل أنه قال:
«ان رسول الله صلى الله عليه وآله علمنى ألف باب من العلم يفتح كل باب ألف باب، ولم يعلم ذلك أحد غيري»(٣٩٧).

ويقولون: ان هذه العلوم توارثها أئمتهم بعده، فعلى ذلك يقول الكلينى محدّث الشيعة فى خطبة كتابه:
«فأوضح الله بأئمة الهدى من أهل بيت نبينا صلى الله عليه وآله عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل مناهجه، وفتح بهم عن باطن ينابيع علمه، وجعلهم مسالك لمعرفته، ومعالم لدينه، وحجّابا بينه وبين خلقه، والباب المؤدىّ إلى معرفة حقه، وأطلعهم على المكنون من غيب سره.
كلّما مضى منهم إمام نصب لخلقه من عقبه إماما بيّنا، وهاديا نيّرا، وإماما قيّما، يهدون بالحق وبه يعدلون»(٣٩٨).

والجدير بالذكر أن التفريق بين الشريعة والحقيقة، وبين الظاهر والباطن من خواص التشيع إلا أنه لا توجد طائفة شيعية إلا وتؤمن بذلك، وكتب الفرق والكلام شاهدة على هذا، بل انهم لم يختلفوا فيما بينهم فى تعيين الامام إلا بناء على هذا المبدأ، حيث أنهم اختلفوا: «إلى من أفضى الامام الراحل أسرار العلوم واطلاعه على مناهج تطبيق الآفاق على الأنفس، وتقدير التنزيل على التأويل، وتصوير الظاهر على الباطن، لأنهم كلهم مؤمنون بأن لكل ظاهر باطنا، ولكل شخص

---

(٣٩٦) انظر كتاب الحجة من أصول الكاف للكلينى ج١ ص٣٧٤. ط طهران.

(٣٩٧) كتاب الخصال لابن بابويه القمى أبواب السبعين وما فوقه ص٥٧٢. ط مكتبة الصدوق ١٣٨٩هجرى قمرى.

(٣٩٨) الأصول من الكافى خطبة الكتاب ج ١ ص ٤.

روحا، ولكل تنزيل تأويلا، ولكل مثال حقيقة فى هذا العالم»(٣٩٩).

فحاصل ما قلناه ان تقسيم الشريعة والعلوم إلى الظاهر والباطن من أهم الميزات التى تتميّز بها الشيعة بفرقها عن الآخرين من المسلمين، وهم الذين تقوّلوا بها متأثرين باليهودية التى استقوا منها أفكارهم، بوساطة عبد الله بن سبأ اليهودى، المؤسس الحقيقى الأول لديانتهم ومذهبهم.

ثم أخذ المتصوفة بدورهم أفكار الشيعة ومعتقداتهم، فآمنوا بها واعتقدوها، وجعلوها من الأصول والقواعد لعصابتهم، فقالوا مثل ما قاله الشيعة والفرق الباطنية:

«العلوم ثلاثة: ظاهر، وباطن، وباطن الباطن، كما أن الانسان له ظاهر، وباطن، وباطن الباطن.

فعلم الشريعة ظاهر، وعلم الطريقة باطن، وعلم الحقيقة باطن الباطن»(٤٠٠).

وقال الطوسى أبو نصر السراج:

«ان العلم ظاهر وباطن... ولا يستغنى الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر، وقد قال الله عز وجل: ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم: فالمستنبط هو العلم الباطن، وهو علم أهل التصوف، لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك... فالعلم ظاهر وباطن، والقرآن ظاهر وباطن، وحديث رسول الله ﷺ ظاهر وباطن، والاسلام ظاهر وباطن»(٤٠١).

وذكر المتصوفة نفس تلك الرواية التى نقلها الشيعة والاسماعيلية، وهى:

«لكل آية ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع»(٤٠٢).

ولم يكن التشابه والتوافق مع الشيعة، والاستفادة والاقتباس منهم منحصرا فى

(٣٩٩) انظر الملل والنحل للشهرستانى ج١ ص٢٠١ بهامش الفصل لابن حزم.

(٤٠٠) انظر الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص ٣٣٣.

(٤٠١) كتاب اللمع للطوسى ص ٤٣، ٤٤.

(٤٠٢) لطائف المنن لابن عطاء الله الأسكندرى ص ٢٤٨ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود. ط مطبعة حسان القاهرة. ١٩٧٤م، أيضا عوارف المعارف للسهروردى ص٢٥، أيضا روضة التعريف للسان الدين بن الخطيب ص٤٣١، أيضا ايقاظ الهمم لابن عجيبة ص٤٦١، ومثله فى جمهرة الأولياء للمنوفى ج١ ص١٦٠، تفسير ابن عربى ج١ ص٢.

هذا فحسب، بل كان هنـاك تجانس وتـداخـل أكثر من هذا، حيث قالوا باختصاص علي رضى الله عنه دون الآخرين بعلم الباطن، فقال قائلهم:

ان جبريـل عليـه السـلام نزل إلى رسـول الله ﷺ أولا بالشريعة، فلما تقررت ظواهـر الشـريعـة واستقـرت نزل إليـه بالحقيقة المقصودة، والحكمة المرجوة من أعمال الشـريعـة، هي: الايـمان والاحسـان، فخص رسـول الله ﷺ بباطن الشريعة بعض أصحابه دون البعض.

وكان أول من أظهر علم القوم وتكلم فيه سيدنا علي كرم الله وجهه عن رسول الله ﷺ . . . ثم انتشر هذا الطريق انتشارا لا ينقطع حتى ينقطع عمر الدنيا»(٤٠٣).

وأوردوا في كتبهم تلك الرواية الشيعية بعينها، التى نحن ذكرناها منهم عن علي رضى الله عنه أنه قال:

«علمنى رسول الله ﷺ سبعين بابا من العلم لم يعلم ذلك أحدا غيرى»(٤٠٤).

وهنـاك روايـات شيعيـة أخـرى كثـيرة أوردهـا المتصوفة فى كتبهم ومؤلفاتهم، مؤيـدين لها، مؤمنـين بها، مستـدلـين منهـا، مثل هذا الحديث الموضوع: «أنا مدينة العلم وعلى بابها»(٤٠٥).

ومنهـا ما رووه عن أبى سعيـد الخـدرى رضى الله عنه كذبا عليه أنه قال: «كنا نمشى مع النبى ﷺ فانقطع نعله، فتناولها على يصلحها، ثم مشى، فقال:
«يا أيها الناس، ان منكم من يقاتله علىّ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»(٤٠٦).

ومثل ذلك ذكر عبد الرحمن الصفورى فى كتابه (نزهة المجالس ومنتخب النفائس)(٤٠٧).

وقال ابن الفارض فى تائيته:
«وأوضـح بالـتأويـل ما كان مشكـلا   علىّ بعـلـم ما نالـه بالـوصـيـة(٤٠٨)

---

(٤٠٣) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفى الحسينى ج١ ص١٥٩.
(٤٠٤) انظر درر الغواص على فتاوى سيدى على الخواص ص٧٣ بهامش الأبريز للدباغ. ط مصر.
(٤٠٥) انظر مطالع المسرات لمحمد المهدى بن أحمد. ط مصطفى البابى الحلبى ١٩٧٠م.
(٤٠٦) جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفى الحسينى ج٢ ص٢٨.
(٤٠٧) انظر ص ٢٠٩. ط دار الكتب العلمية بيروت. لبنان.
(٤٠٨) ديوان ابن الفارض ص٨١. ط مكتبة القاهرة ١٣٩٩هـ.

وهذا تشيع محض بدون شك ولا شبهة.

وكذلك ما قاله ابن عربى فى تفسيره مفسرا قول الله عز وجل: ﴿عم يتساءلون عن النبأ العظيم﴾.

«انـه القيـامة الكبرى، ولهذا قيل: ان أمير المؤمنين علي هو النبأ العظيم، وهو فلك نوح أى الجمع والتفصيل - باعتبار الحقيقة والشريعة - لكونه جامعا لهما»(٤٠٩).

وعلى ذلك قال الهجويرى:

«على بن أبى طالب رضى الله عنه هو ابن عم المصطفى، وغريق بحر البلاء، وحريق نار الولاء، وقدرة الأولياء والأصفياء أبو الحسن على بن أبى طالب كرم الله وجهه.

وله فى هذه الطريقة شأن عظيم، ودرجة رفيعة. وكان له حظ تام فى دقة التعبير عن أصول الحقائق إلى حدّ أن قال الجنيد رحمه الله: شيخنا فى الأصول والبلاء على المرتضى رضى الله عنه.

أى أن عليـا رضى الله عنـه هو إمـام هذه الطـريقـة فى العلم والمعـاملة، فأهل الطريقة يطلقون على علم الطريقة اسم الأصول، ويسمون تحمل البلاء فيها بالمعاملات»(٤١٠).

والطوسى قال نقلا عن أبى على الروذبارى أنه قال:

«سمعت جنيدا رحمه الله يقول: رضوان الله على أمير المؤمنين علىّ رضي الله عنه، لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معانى كثيرة، ذاك امرؤ أعطى علم اللدنى، والعلم اللدنّى هو العلم الـذى خص به الخضـر عليه السلام، قال الله تعالى: وعلمناه من لدنّا علما»(٤١١).

ثم نقل عن على رضى الله عنه أشياء وقال بعده:

«ولعلى رضى الله عنـه أشبـاه ذلـك كثير من الأحوال والأخلاق والأفعال التى يتعلق بها أرباب القلوب وأهل الاشارات وأهل المواجيد من الصوفية»(٤١٢).

---

(٤٠٩) تفسير ابن عربى ج٢ ص١٨٤.

(٤١٠) كشف المحجوب للهجويرى ترجمة عربية ص٢٧٣، ٢٧٤.

(٤١١) كتاب اللمع للطوسى ص١٧٩. ط دار الكتب الحديثة مصر.

(٤١٢) أيضا ص ١٨٢.

فهذه العبارات كلها لم تكن مقتبسة منقولة من التشيع ، بل انها شيعية صرفة .

وبعد هذا كله نريد أن نبيّن توغل الصوفية فى علم الباطن وعلاقتهم به ، وسبب التجائهم اليه ، فنقول :

«إن الصوفية يقولون : إن علم الباطن هو المسمى بعلم القلب وبعلم التصوف ، علم جليل شريف نفيس ، وهو أجلّ العلوم وأشرفها ، وهو الزبدة الممخوضة من الشريعة التى لم تبعث الأنبياء عليهم السلام إلا لأجلها . . . وهو علم طريق الآخرة ، وهو العلم الذى درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، وهو العلم الذى لم يبعث الله الأنبياء إلا لأجله . وقد سماه الله تعالى فى كتابه فقها وعلما وضياء ونورا وهدى ورشدا ، وهو مستخرج من القرآن والسنة ، ومدلول عليه منهما نصّا وتصريحا وتلويحا وكتابة واشارة وغير ذلك من أصناف الدلالة .

قال الغزالى : علم الباطن هو علم يقين المقربين ، وثمرته الفوز برضا الله تعالى ، ونيل سعادة الأبد ، وبه تزكية النفس وتطهيرها ، وتنوير القلب وصفاؤ ه بحيث ينكشف بذلك النور أمور جليلة ، ويشهد أحوالا عجيبة ، ويعاين ما نمت عنه بصيرة»[٤١٣] .

وقالوا :

«هل ظاهر الشرع وعلم الباطن إلا كجسم فيه روح ساكن
والعلم الظاهر هو علم العبودية والعلم الباطن هو علم الربوبية»[٤١٤]

وقالوا :

«لا تجعلوا أحدا من أهل الظاهر حجة على أهل الباطن»[٤١٥] .

وخلاصة هذا أن علم الباطن هو التصوف بعينه ، وهو ما أشار اليه الكلاباذى نقلا عن عبد الواحدبن زيد أنه قال :

«سألت الحسن عن علم الباطن فقال : سألت حذيفة بن اليمان عن علم الباطن فقال : سألت رسول الله عن علم الباطن فقال : سألت جبريل عن علم الباطن فقال : سألت الله عزوجل عن علم الباطن فقال : هو سرّ من سرّى ، أجعله فى

---

(٤١٣) حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبب لعماد الدين الأموى ج١ ص٢٥٩ و ٢٦١ بهامش قوت القلوب لأبي طالب المكى . ط دار صادر بيروت .

(٤١٤) الفتوحات الإلهية لابن عجيبة ص٣٣٣ .

(٤١٥) قواعد التصوف

قلب عبدى، لا يقف عليه أحد من خلقى .

قال أبو الحسن بن أبى ذر فى كتابه منهاج الدين أنشدونا للشبلى :

علم التصوف لا نفاذ له علم سنىّ سماوىّ ربوبىّ
فيه الفوائد للأرباب يعرفها أهل الجزالةِ والصنع الخصوصى»(٤١٦)

وبالغوا فى مدحه حتى قالوا :

«سئل بعض العلماء عن علم الباطن : أى شىء هو؟

فقال : سرّ من سرّ الله تعالى يقذفه فى قلوب عباده لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا»(٤١٧) .

و«علم الباطن سرّ من أسرار الله»(٤١٨) .

وكذب الآخر على رسول الله ﷺ حيث نسب هذا الكلام اليه صلوات الله وسلامه عليه فقال :

«علم الباطن سر من أسرار الله تعالى وحكمته من حكمته يقذفه فى قلوب من يشاء من عباده»(٤١٩) .

ولقد بيّن داود القيصرى من هم أصحاب العلم الباطن، وما هى قيمتهم ومنزلتهم مقابل أصحاب الظاهر، شارحا مبيّنا الحديث الموضوع الذى ذكرنا فيما سبق، فيقول :

«ولما كان للكتاب ظهر وبطن وحد ومطلع، كما قال، عليه السلام : «إن للقرآن ظهراً وبطناً وحداً ومطلعاً»، وقال عليه السلام : «إن للقرآن بطناً ولبطنه بطناً، إلى سبعة أبطن» وفى رواية «إلى سبعين بطناً» ؛ ـ وظهره : ما يفهم من الفاظه ويسبق الذهن اليه . وبطنه : المفهومات اللازمة للنظر الأول . وحدّه : ما اليه ينتهى غاية ادراك الفهوم والعقول ؛ ومطلعه : ما يدرك منه على سبيل الكشف والشهود، من الأسرار الالهية والاشارات الربانية . والمفهوم الأول، الذى هو الظهر، للعوام والخواص . والمفهومات اللازمة له (هي) للخواص ولا مدخل فيها للعوام . والحدّ للكاملين . والمطلع لخلاصة أخص الخواص كأكابر الأولياء . وكذلك التقسيم فى

(٤١٦) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ص١٠٥، ١٠٦ .

(٤١٧) قوت القلوب لأبي طالب المكى ج١ ص١٢٠ .

(٤١٨) جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوى ص٢٥٨ .

(٤١٩) جمهرة الأولياء للمنوفى الحسينى ج١ ص٨٨ .

الأحاديث القدسية والكلمات النبوية: فان لكل من العوام والخواص وأخص الخواص فيها انباءات رحمانية واشارات الاهية. - (من أجل هذا كله،) كان للشريعة ظاهر وباطن.

«ومراتب العلماء أيضاً فيهما متكثرة. ففيهم فاضل ومفضول، وعالم وأعلم، والذي نسبته إلى نبيه أتم وقربه من روحه اقوى، كان علمه بظاهر شريعته وباطنها أكمل. والعالم بالظاهر والباطن منه أحق ان يتبع، لغاية قربه من نبيه، وقوة علمه بربه، وأحكامه، وكشفه حقايق الأشياء، وشهوده إياها. ثم من هو دونه فى المرتبة إلى أن ينزل الى مرتبة علماء الظاهر فقط»(٤٢٠).

و«هو العلم المخزون والعلم اللدنّى الذى اختزنه عنده، فلم يؤته إلا للمخصوصين من الأولياء كما قال الله تعالى فى شأن الخضر عليه السلام: وعلّمناه من لدنّا علما... وقال بعضهم: هى أسرار الله تعالى يبديها الله إلى أنبيائه وأوليائه وسادات النبلاء من غير سماع ولا دراسة، وهى من الأسرارا التى لم يطلع عليها أحد إلا الخواص.

وقال أبو بكر الواسطى رضى الله عنه فى قوله تعالى: والراسخون فى العلم: وهم الذين رسخوا بأرواحهم فى غيب الغيب، وفى سر السر، فعرفهم ما عرفهم، وخاضوا فى بحر العلم بالفهم لطلب الزيادة، فانكشف لهم من مذخور الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النظر بحارا، فاستخرجوا الدرر والجواهر، ونطقوا بالحكمة»(٤٢١).

وقالوا:

«أهل الظاهر هم: أهل الخبر واللسان، وعلماء الباطن هم: أرباب القلوب والعيان... وعلم الظاهر حكم، وعلم الباطن حاكم، والحكم موقوف حتى يأتى الحاكم بحكم فيه»(٤٢٢).

و«أهل الظاهر هو أهل الشريعة، وأهل الباطن هم أهل الحقيقة»(٤٢٣).

---

(٤٢٠) مقدمة التائية الكبرى للقيصرى مخطوط ص٢٠٧، ٢٠٨ المنقول من ملحقات كتاب ختم الأولياء ص٤٩٣.

(٤٢١) غيث المواهب العلية للنفزى الرندى ج٢ ص٢٣٨، ٢٣٩.

(٤٢٢) قوت القلوب لأبي طالب المكى ج١ ص١٥٨.

(٤٢٣) انظر جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوى ص٢٥٨.

وأما سبب التجاء المتصوفة إلى علم الباطن، ومنه إلى التأويل هو أن الصوفية لم يجدوا فى القرآن والسنة ما يمكن أن يكون سندا لهم على منهجهم ومسلكهم، ودليلا على طرقهم التى اختاروها، والمناهج التى اخترعوها للوصول إلى الله، والحصول على معرفته ورضائه، فالتجأوا إلى العلم الباطن والتأويل الباطنى كما قال نيكلسون:

«لا يمكن أن يكون القرآن أساسا لأىّ مذهب صوفى، ومع ذلك استطاع الصوفية متبعين فى ذلك الشيعة ـ أن يبرهنوا بطريقة التأويل نصوص الكتاب والسنة تأويلا يلائم أغراضهم، على أن كل آية، بل كل كلمة فى القرآن، تخفى وراءها معنى باطنا لا يكشفه الله إلا للخاصة من عباده الذين تشرق هذه المعانى فى قلوبهم فى أوقات وجدهم. ومن هنا نستطيع أن نتصور كيف سهل على الصوفية بعد أن سلموا بهذا المبدأ أن يجدوا دليلا من القرآن لكل قول من أقوالهم ونظرية من نظرياتهم أيا كانت، وأن يقولوا إن التصوف ليس فى الحقيقة إلا العلم الباطن الذى ورثه علي بن أبى طالب عن النبى. ويلزم من هذا المبدأ أيضا (مبدأ التأويل) أن تأويل الصوفية لتعاليم الإسلام قد يأتى على أنحاء وأشكال لا حصر لعددها، وربما أدى إلى تناقض فى العبادات والمسائل العملية. وكل ذلك مفروض صدقه فى النوع لا فى الدرجة؛ لأن معانى القرآن لا حصر لها، وهى تنكشف لكل صوفى بحسب ما منحه الله من الاستعداد الروحى. ولهذا لم تتألف من الصوفية فرقة خاصة، ولا كان لهم مذهب محدود يصح أن نسميه مذهب التصوف. بل إن التعريفات العديدة التى وضعت للفظ التصوف نفسه لتدل على تعدد وجوه النظر فى فهم معناه.

كذلك الحال فى موقف الصوفية من الشريعة، فإن هذا الموقف يختلف بحسب حال كل صوفى. ولذلك تجد بعضهم قد قام بشعائر الدين بكل دقة بالرغم من أنهم كانوا يعتبرون أن صور العبادات ليس لها من القيمة ما لأعمال القلوب، أو أنها لا قيمة لها ألبتة إلا من حيث دلالتها على الحقائق الروحية. فالحج مثلا رمز للبعد عن المعاصى، والإحرام خلع الشهوات والملذات مع خلع الثياب. وهذا الأسلوب من البحث أسلوب معروف عند الإسماعيلية الباطنية، والظاهر أن الصوفية أخذوه عنهم.

وآخرون منهم قالوا برفع التكاليف الدينية سواء أكانوا من الصوفية الذين تحرروا من القيود الشرعية فى تفكيرهم وأعمالهم، أم من الصوفية الصادقين فى تصوفهم كالملامتية الذين دفعهم الخوف من مدح الناس إلى الظهور فيهم بما

يستجلب الملامة والذم، أم من «العارفين» الذين لم يأبهوا بمظاهر الشرع ورسومه ولا بأخلاق هذا العالم الزائل . . . وقد سبق أن ذكرنا أن الصوفية اعتبروا أنفسهم خاصة أهل الله الذين منحهم الله أسرار العلم الباطن المودع فى القرآن والحديث، وأنهم استعملوا فى التعبير عن هذا العلم لغة الرمز والاشارات التى لا يقوى على فهمها غيرهم من المسلمين»(٤٢٤).

وسبب آخر أنهم تقوّلوا بكلمات كلها كفر والحاد، ونقل عن الباطنية والتشيع والفرق الباطلة الأخرى، فلما سمع العلماء هذه المقولات كفروهم بها، ورموهم بالالحاد والزندقة فلم يسعهم آنذاك إلا القول بالظاهر والباطن، والهروب إلى التأويل، وفى كتب التصوف أمثلة كثيرة مبعثرة فى ذلك.

فمثلا الطوسى يذكر متصوفة كثيرين رموا بالزندقة والالحاد، ولكنه يبرّىء ساحتهم من هذه التهم بهذه المقولة، فمثلا يقول عن أبى عبد الله الحسين بن مكى الصبيحى أنه «تكلم بشىء من علم الأسماء والصفات وعلم الحروف فكفره أبو عبد الله الزبيرى، وهيّج عليه العامة، فقال: ان سهل بن عبد الله قال له: نحن فتحنا للناس جراب الهلتيت فلم يصبروا علينا، فلم كلمتهم أنت بما لا يعرفون، فكان ذلك سبب خروجه من البصرة ـ ثم قال: وكان اذا تكلم بعلوم المعارف يدهش العالم»(٤٢٥).

ومثل ذلك ذكر أبا سعيد أحمد بن عيسى الخراز فقال:
«أنكر عليه جماعة من العلماء، ونسبوه إلى الكفر بألفاظ وجدوها فى كتاب صنّفه وهو: كتاب السرّ، فلم يفهموا معناه، وهو قوله: عبد رجع إلى الله، وتعلق بالذكر، وذكر فى قرب الله وطالع ما أذن له من التعظيم لله، ونسى نفسه وما سوى الله، فلو قلت له: من أين أنت وأين تريد؟ لم يكن جواب غير قول (الله)»(٤٢٦).

هذا، وذكر الآخرين كذلك، وقبل ذلك علّل سبب تكفير العلماء إياهم بقوله:

«فمنهم قوم لم يفهموا معانى ما أشاروا إليه فى كلامهم من غامض العلم وجليل

---

(٤٢٤) فى التصوف الإسلامى وتاريخه لنيكلسون ترجمة عربية لأبي العلاء العفيفى ص٧٦، ٧٧.
(٤٢٥) انظر كتاب اللمع للطوسى ص٥٠٠.
(٤٢٦) أيضا ص ٤٩٩.

الخطب، ولم يكن لهم زاجر من العقل ولا واعظ من الدين أن يستبحثوا عن المعانى التى أشكلت عليهم ويسألوا ذلك عن أهلها، وقاسوا من ذلك بما علموا من العلوم المبثوثة بين عوام الناس حتى هلكوا»(٤٢٧).

والأمثلة فى هذا الباب كثيرة لا تعدّ ولا تحصى.

وأخيرا يحسن بنا أن نورد بعض الأمثلة للتأويلات الصوفية فى القرآن والحديث النبوى الشريف لتمام الفائدة واكمال البحث.

فيذكر ابن عطاء الله الأسكندرى فى لطائفه نقلا عن بعض مشائخه أنه فسّر الآية: ﴿**يهب لمن يشاء إناثا**﴾ الحسنات ﴿**ويهب لمن يشاء الذكور**﴾ العلوم، ﴿**أو يزوّجهم ذكرانا وإناثا**﴾ علوما وحسنات، ﴿**ويجعل من يشاء عقيما**﴾ لا علم ولا حسنة، كما مضى أيضا من قول الله عز وجل: ﴿**إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾.

فقال الشيخ: بقرة كل إنسان نفسه، والله أمرك بذبحها، وكما سيأتى إن شاء الله فى تفسير الأحاديث، فذلك ليس احالة للظاهر عن ظاهره، ولكن ظاهر الآية مفهوم منه ما جلبت له الآية، ودلت عليه فى عرف اللسان، وثمّ افهام باطنة تفهم عند الآية والحديث، لمن فتح الله على قلبه»(٤٢٨).

وقال الجيلى مفسرا قول الله عز وجل: ﴿**هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا**﴾. يقول فى تفسيره:

«اتفقت العلماء على أن (هل) فى هذا الموضوع بمعنى قد: يعنى قد أتى على الإنسان حين من الدهر، والدهر هو الله، والحين تجل من تجلياته (لم يكن شيئا) يعنى أن الإنسان لم يكن شيئا (مذكورا)، ولا وجود له فى ذلك التجلّى، لا من حيث الوجود العينى ولا من حيث العلمى، لأنه لم يكن شيئا مذكورا، فلم يكن معلوما، وهذا التجلىّ هو أزل الحق الذى لنفسه»(٤٢٩).

ثم يؤوّل الجيلى الصوم والصلاة والزكاة والحج تأويلا باطنيا محضا، كالاسماعيلية تماما، فيقول:

«وأما الصلاة فانها عبارة عن واحدية الحق تعالى، واقامتها اشارة إلى اقامة

---

(٤٢٧) أيضا ص ٤٩٧.

(٤٢٨) اطائف المنن لابن عطاء الأسكندرى ص٢٤٨ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر السابق. ط مطبعة حسان القاهرة.

(٤٢٩) الإنسان الكامل للجيلى ص١٠١، ١٠٢.

ناموس الواحدية بالاتصاف بسائر الأسماء والصفات، فالطهر عبارة عن الطهارة من النقائص الكونية... وقراءة الفاتحة اشارة إلى وجود كماله فى الانسان لأن الانسان هو فاتحة الوجود...

وأما الزكاة فعبارة عن التزكى بايثار الحق على الخلق... وأما كونه واحدا فى كل أربعين فى العين فلأن الوجود له أربعون مرتبة، والمطلوب المرتبة الالهية، فهى المرتبة العليا، وهى واحدة من أربعين...

وأما الصوم فاشارة إلى الامتناع عن استعمال المقتضيات البشرية ليتصف بصفات الصمدية، فعلى قدر ما يمتنع: أى يصوم عن مقتضيات البشرية تظهر آثار الحق فيه...

وأما الحج فاشارة إلى استمرار القصد فى طلب الله تعالى، والاحرام اشارة إلى ترك شهود المخلوقات... ثم ترك حلق الرأس اشارة إلى ترك الرياسة البشرية... ثم مكة عبارة عن المرتبة الالهية، ثم الكعبة عبارة عن الذات، ثم الحجر الأسود عبارة عن اللطيفة الانسانية...»(٤٣٠).

وبمثل ذلك ذكر الكلاباذى عن بعض مشائخه أنه قال:

«معنى الصلاة: التجريد عن العلائق، والتفريد بالحقائق. والعلائق ما سوى الله، والحقائق ما لله ومن الله.

وقال آخر: الصلاة وصل.

قال: سمعت فارسا يقول: معنى الصوم: الغيبة عن رؤية الخلق برؤية الحق عز وجل»(٤٣١).

والسهروردى المقتول يفسر قول الله عز وجل:

﴿**يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية**﴾: أى ليست عقلية محضة، ولا غربية: أى ليست هيولانية محضة، وهى بعينها شجرة موسى التى سمع منها النداء: فى البقعة المباركة من الشجرة، وقوله: ولو لم تمسسه نار: هذه النار هو الأب المقدس

---

(٤٣٠) المصدر السابق ج٢ ص١٣٤ وما بعد ملخصا.

(٤٣١) التعرف لمذهب أهل التصوف للكلاباذى ص١٢٠

ـ روح القدس ـ وهو النار التى جاءت فى قوله : ﴿**أن بورك من فى النار**﴾ : أى المتصلين بها»[٤٣٢] .

وقال أيضا :

«ألم تر أن موسى لما طلب الرؤية ، قيل له : ﴿**ولكن انظر إلى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى**﴾ : لأن هذا جبل حائل دائم التحرك ، شاغل للنفس . فلما تعدّى السانح القدسيّ إلى معدن التخيل ، قهره . كما قال تعالى : ﴿**فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكا وخرّ موسى صعقا**﴾ : انقطع سلطان البشرية بظهور نور الحقيقة ، فاصطلمت النفس ، وفنيت عن مشاهدة الكثرة بنور القيومية»[٤٣٣] .

وأما ابن عربى الذى قال فيه الدكتور أبو العلاء العفيفى محلّلا أسلوبه التأويلى والتفسيرى :

«إنه يحوّل القرآن بمنهجه الخطير فى التأويل إلى قرآن جديد»[٤٣٤] .

وينقل الشيخ رشيد رضا المصرى عن شيخه محمد عبده رأيه فى تفسيره ، بقوله :

«وفيه من النزعات ما يتبرّء منه دين الله وكتابه العزيز»[٤٣٥] .

يقول ابن عربى هذا فى تفسير قول الله عز وجل :

﴿الم﴾ : أشار بهذه الحروف إلى كل الوجود حيث هو كلّ ، لأن (أ) اشارة إلى ذات الله الذى هو أول الوجود . . . و(ل) إلى العقل الفعال المسمى جبريل ، وهو أوسط الوجود الذى يستفيض من المبدأ ، ويفيض إلى المنتهى . و(م) إلى محمد الذى هو آخر الوجود تتمّ به دائرته ، وتتصل بأولها ، ولهذا ختم»[٤٣٦] .

ويقول السلمى الذى قال فيه الذهبى :

«أتى السلمى فى حقائقه بمصائب وتأويلات باطنية نسأل الله العافية»[٤٣٧] .

---

(٤٣٢) الألواح العمادية لشهاب الدين السهروردى المقتول ص٧٢ من مجموعة الرسائل الثلاثة له . ط مركز تحقيقات فارسى ايران وباكستان .

(٤٣٣) أيضا ص ٧٤ .

(٤٣٤) ابن عربى في دراساتى للدكتور أبي العلاء العفيفى الكتاب التذكارى ص١٣ .

(٤٣٥) انظر تفسير الظلال ج١ ص١٨ .

(٤٣٦) تفسير ابن عربى ج١ ص٥ .

(٤٣٧) تذكرة الحفاظ للذهبي ج٣ ص٢٤٩ ط القاهرة .

يقول فى تفسير آلم:

«الألف ألف الوحدانية، واللام لام العطف، والميم ميم الملك، معناه من وجدنا على الحقيقة - باسقاط العلائق والأغراض تلطفت له فى معناه فأخرجته من رقّ العبودية إلى الملك الأعلى»(٤٣٨).

وأما القشيرى ففسر آلم:

«فالألف من اسم «الله»، واللام يدل على «اللطيف»، والميم يدل على اسمه «المجيد» و«الملك».

وقيل أقسم الله بهذه الحروف لشرفها لأنها بسائط أسمائه وخطابه.

وقيل إنها أسماء السور.

وقيل الألف تدل على اسم «الله» واللام تدل على اسم «جبريل» والميم تدل على اسم «محمد» ﷺ، فهذا الكتاب نزل من الله على لسان جبريل إلى محمد ﷺ.

والألف من بين سائر الحروف انفردت عن أشكالها بأنها لا تتصل بحرف فى الخط وسائر الحروف يتصل بها إلا حروف يسيرة، فينتبه العبد عند تأمل هذه الصفة إلى احتياج الخلق بجملتهم إليه، واستغنائه عن الجميع.

ويقال يتذكر العبد المخلص من حاله الألف تقدس الحق سبحانه وتعالى عن التخصص بالمكان؛ فإن سائر الحروف لها محل من الحلق أو الشفة أو اللسان إلى غيره من المدارج غير الألف فإنها هويته، لا تضاف إلى محل.

ويقال الإشارة منها إلى انفراد العبد لله سبحانه وتعالى فيكون كالألف لا يتصل بحرف، ولا يزول عن حالة الاستقامة والانتصاب بين يديه.

ويقال بطالب العبد فى سره عند مخاطبته بالألف بانفراد القلب إلى الله تعالى، وعند مخاطبته باللام بلين جانبه فى (مراعاة) حقه، وعند سماع الميم بموافقة أمره فيما يكلفه.

ويقال اختص كل حرف بصيغة مخصوصة وانفردت الألف باستواء القامة، والتميز عن الاتصال بشىء من أضرابها من الحروف، فجعل لها صدر الكتاب إشارة إلى أن من تجرد عن الاتصال بالأمثال والأشغال حظى بالرتبة العليا، وفاز بالدرجة

---

(٤٣٨) تفسير السلمى ص١٧.

القصـــوى، وصلح للتخـــاطب بالحـروف المنفـردة التى هى غير مركبـة، على سنـة الأحباب فى ستر الحال، وإخفاء الأمر الأجنبى من القصة ـ قال شاعرهم :

قلت لها قفـــى لنـــا قالـــت قاف
لا تحســـبـــى أنـــا نســـيـــنـــا لا يخاف

ولم يقـل وقفت ستراً على الـرقيب ولم يقـل لا أقف مراعـاة لقلب الحبيب بل : (قالت قاف)»[٤٣٩] .

ويكتب الجيلى تحت قول الله عز وجـل : ﴿**آلم ذلـك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب**﴾ :

«أشـار بذلـك إلى حقيقـة ألف لام ميم، وذلـك من طريق الاجمال إشارة إلى الذات والأسماء والصفات (ذلك الكتاب) والكتاب الانسان الكامل (فألف لا ميم بما أشار اليه هو حقيقة الانسان (لا ريب فيه هدى للمتقين) الذين هم وقاية عن الحق، والحق وقاية عنهم، فان دعوت الحق فقد كنيت به عنهم، وان دعوتهم فقد كنيت بهم عنه (الذين يؤمنون بالغيب) الغيب هو الله لأنه غيبهم آمنوا به أنه هويتهم وانهم عينه (ويقيمون الصلاة) يعنى يقيمون بناموس المرتبة الالهية فى وجودهم بالاتصاف بحقيقة الأسماء والصفات (ومما رزقناهم ينفقون) يعنى يتصرفون فى الوجود من ثمرة ما أنتجته هذه الأحدية الالهية فى ذواتهم»[٤٤٠] .

ونقل عبد الحليم محمود عن أبى الحسن الشاذلى تفسير قول الله عز وجل على لسان موسى عليه السلام :

«(هى عصاى) معرفتى بك، أعتمد عليها .

(أهش بها على غنمى) أولادى فى التربية .

(ولى فيها مآرب أخرى) من باب لى وقت مع ربّى لا تسعنى فيه أرض ولا سماء»[٤٤١] .

وفسر ابن عجيبة الآية القرآنية :

«(رب أدخلنى) فى الأشيـاء حقـوقـا كانت أو حظـوظـا (مـدخـل صدق) . أى

---

(٤٣٩) لطائف الإشارات للقشيرى ج١ ص٥٣، ٥٤ بتحقيق دكتور إبراهيم بسيونى الطبعة الثانية الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١ .

(٤٤٠) الإنسان الكامل للجيلى عبد الكريم ج٢ ص١٣٨، ١٣٩ .

(٤٤١) المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلى لعبد الحليم محمود ص٤٠٣ . ط القاهرة .

إدخال صدق، بأن يكون ذلك الادخال بك، معتمدا فيه على حولك وقوتك، متبرئا من حولى وقوتى ومن شهود نفسى.

(وأخرجنى) منها (مخرج صدق) أى إخراج صدق، بأن أكون مأذونا فيه بإذن خاص، مصحوبا بالخشية وسر الإخلاص، وهذا معنى قوله [ليكون نظرى إلى حولك وقوتك إذا أدخلتنى] فى الأشياء [وإنقيادى إليك إذا أخرجتنى] منها:

(واجعل لى من لدنك) أى من مستبطن أمورك بلا واسطة ولا سبب (سلطانا) أى برهانا قويا، وليس ذلك إلا وارد قوىّ من حضرة قهار لا يصادمه شىء إلا دمغه، فيحق الحق ويزهق الباطل، ويكون ذلك السلطان ينصرنى ولا ينصر علىّ، أى ينصرنى على الغيبة عن الحس وعن شهود السوى حتى نبعد عنهما برؤية مولاهما ولا ينصر على الوهم والحس وشهود الغيرية.

ثم بين ذلك فقال: [ينصرنى على شهود نفسى] أى يقوينى على الغيبة عنها فإذا انتصرت على شهودها انهزم عنى وذهب شهودها وبقى شهود ربها، فالنصرة على الشىء هو غلبته حتى يضمحل وينقطع وكأن شهود النفس عدو يحاربك ويقطعك عن شهود ربك، فإذا نصرك الله عليه ودفعته عنك، فتتصل حينئذ بشهود محبوبك، وإذا فنى شهود النفس فنى حينئذ وجود الحس، وهو معنى قوله [ويفنينى عن دائرة حسى] فإذا فنيت دائرة الحس بقى متسع المعانى وفضاء الشهود، وهذه هى الولادة الثانية، فإن الإنسان بعد أن خرج من بطن أمه وهى الولادة الأولى بقى مسجونا بمحيطاته، محصورا فى هيكل ذاته، قد التقمه الهوى، وصار فى بطن الحس والوهم. وسجن الأكوان المحيطة بجسمانيته، فإذا فنيت دائرة حسه وخرج من بطن عوائده وشهوات نفسه، نقبت روحه الكون بأسره، وخرجت إلى شهود مكونها فقد ولد مرة ثانية، وهذه الولادة لا يعقبها فناء ولا موت»(٤٤٢).

وقال الشعرانى ناقلا عن سيده على الخواص فى تفسير قول الله عز وجل:

«(إن الذين قالوا ربنا الله) كمّل الأنبياء (ثم استقاموا) محمد ﷺ (تتنزل عليهم الملائكة) عامة النبيين (أن لا تخافوا ولا تحزنوا) كمّل العارفين (وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون) جميع المؤمنين فقد بيّنت هذه الآية مراتب الكمّل، كما بيّنت التى تليها صفاتهم وأحوالهم. وهذه الآية من الجوامع.

---

(٤٤٢) ايقاظ الهمم لابن عجيبة ص ٤٥١، ٤٥٢. ط القاهرة.

قال: ولولا خوف الهتك لأستار الكمّل لأظهرنا لك من هذه الآية عجبا»(٤٤٣)

والتأويلات كهذه لا عدّ لها ولا حصر، والقوم أشبعوا الكلام فى علم الباطن والتأويل الباطنى، وملؤا كتبهم به، وهذه الفكرة لم تتدرج إليهم إلا من التشيع والشيعة، كالأفكار الأخرى.

والشيعة بدورهم أخذوها من اليهودية. وهكذا أدخل الصوفية أنفسهم فى الفرق الباطنية لأن الاسماعيلية والنصيرية والدروز وغيرها من الفرق الباطنية لم يسمّوا بالباطنية إلا لقولهم: ان لكل ظاهر باطنا، حسب اعتراف الشعرانى نفسه، حيث يقول:

«الاسماعيلية: وهم قوم يسمون بالباطنية لكونهم يقولون: لكل ظاهر باطن»(٤٤٤).

وأما تسمية المتصوفة العلماء والفقهاء والمسلمين الآخرين الذين لا يؤمنون بباطنيتهم، بأهل الظاهر، والعامة، وأهل الرسوم، والنكير عليهم فمنتشر فى كتبهم، كما يقول ابن عربى: «ما خلق الله أشق ولا أشد من علماء الرسوم على أهل الله المختصين بخدمته، العارفين به من طريق الوهب الالهى، الذين منحهم أسراره فى خلقه، وفهم معانى كتابه واشارات خطابه، فهم لهذه الطائفة مثل الفراعنة للرسل عليهم السلام»(٤٤٥).

وقال لسان الدين بن الخطيب:

«ان كل الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت الصوفية على الحقائق»(٤٤٦).

أى أن الصوفية هم أهل الحقائق، وسائر الناس أهل الرسوم.

ويقول الكمشخانوى: «الذينَ اقتصروا على الشريعة فهم العامة»(٤٤٧).

والترمذى الملقب بالحكيم يقول فى كتابه (ختم الأولياء):

«أكثر الشريعة جاءت على فهم العامة»(٤٤٨).

---

(٤٤٣) درر الغواص للشعرانى ص ٥٠ بهامش الابريز للدباغ. ط مصر.

(٤٤٤) انظر اليواقيت والجواهر للشعرانى ج٢ ص١٢٨.

(٤٤٥) الفتوحات المكية لابن عربى الباب الرابع والخمسون.

(٤٤٦) روضة التعريف ص ٣٧٠.

(٤٤٧) انظر جامع الأصول في الأولياء للكمشخانوى ص٨٩.

(٤٤٨) ختم الأولياء للترمذى ص٢٣٧. ط المطبعة الكاثوليكية. بيروت.

نسخ الشريعة ورفع التكاليف

ومن العقائد الشيعية الباطنية المعروفة: نسخ الشريعة، ورفع التكاليف.

أما نسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه فيؤمن به جميع فرق الباطنية ولو أنهم يتظاهرون بانكاره كما ذكر الغزالى(٤٤٩).

وكما ورد ذلك فى أدعية الأيام السبعة للامام الاسماعيلى المعز لدين الله(٤٥٠).

وكما قال أبو يعقوب السجستانى:

«أما القائم عليه السلام فانه يرفع الشرائع»(٤٥١).

وأيضا فى الكتب النصيرية والدروزية وغيرها من الفرق الباطنية الأخرى.

وأما رفع التكاليف فيقول الداعى الاسماعيلى طاهر بن ابراهيم الحارثى اليمانى:

«حجج الليل هم أهل الباطن المحض، المرفوع عنهم فى أدوار الستر التكاليف الظاهرة لعلو درجاتهم»(٤٥٢).

وبمثل ذلك نقلوا عن جعفر بن محمد الباقر أنه قال:

«من عرف الباطن فقد سقط عنه عمل الظاهر... ورفعت عنه الأغلال والأصفاد واقامة الظاهر»(٤٥٣).

ويشاركهم فى ذلك فرق الشيعة الأخرى، مثل المعمرية من الخطابية والجناحية والمنصورية وغيرها من الفرق الشيعية الأخرى(٤٥٤).

---

(٤٤٩) انظر فضائح الباطنية ص٤٦. ط مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت.

(٤٥٠) انظر لذلك كتابنا الاسماعيلية القدامى تاريخ وعقائد الباب الخامس منه، أيضا كتاب زهر المعانى للداعى الاسماعيلى ادريس من مجموعة المنتخب لأيوانوف. ط بومبي، أيضا الأنوار اللطيفة للحارثي اليمانى الباب الثاني من السرداق الثالث من الفصل الخامس ص١٣٠.

(٤٥١) كتاب النصرة للسجستانى عن كتاب الرياض للكرمانى ص٢٠١. ط دار الثقافة بيروت.

(٤٥٢) الأنوار اللطيفة الباب الثانى السرداق الثاني ص١٠٢.

(٤٥٣) كتاب الهفت الشريف للمفضل الجعفى ص٤٢ تحقيق مصطفى غالب الاسماعيلى. ط دار الأندلس بيروت.

(٤٥٤) انظر لذلك فرق الشيعة للنوبختى، وكتاب المقالات والفرق لسعد بن عبد الله القمى الشيعى، وكتب السنة أيضا من مقالات الإسلاميين للأشعرى، والتبصير في الدين للأسفرائينى، والاعتقادات للرازى وغيرها.

مؤولين قول الله عز وجل: ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾[٤٥٥]، وقوله جل وعلا: ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا﴾[٤٥٦].

سالكين فى ذلك منهج التأويل الباطنى الخبيث، فتركوا الواجبات، وأباحوا المحرمات، وأتوا المنكرات.

والشيعة الاثنا عشرية أيضا، كاذبين على أئمتهم، متهمين إياهم بمقولات هم منها براء. كما روى الكلينى فى كافيه عن جعفر بن محمد الباقر أنه قال لشيعته:

«ان الرجل منكم لتملأ صحيفته من غير عمل»[٤٥٧].

بل «كان مع النبيين فى درجتهم يوم القيامة»[٤٥٨].

وذكر ابن بابويه القمى أن على بن موسى الرضا ـ الامام الثامن المعصوم عند الشيعة ـ قال:

«رفع القلم عن شيعتنا، فقلت: يا سيدى، كيف ذاك؟

قال: لأنهم أخذ عليهم العهد بالتقية فى دولة الباطل، يأمن الناس ويخوّفون، ويكفرون فينا ولا نكفر فيهم، ويقتلون بنا ولا نقتل بهم، ما من أحد من شيعتنا ارتكب ذنبا أو خطأ إلا ناله فى ذلك غمّ يمحص عنه ذنوبه، ولو أتى بذنوب عدد القطر والمطر، وبعدد الحصى والرمل، وبعدد الشوك والشجر»[٤٥٩].

ويذكر مفسر شيعى آخر وهو على بن ابراهيم القمى، عن جعفر أنه قال:

«اذا كان يوم القيامة يدعى بعلىّ أمير المؤمنين عليه السلام... ثم يدعى بالأئمة... ثم يدعى بالشيعة، فيقومون أمامهم، ثم يدعى بفاطمة ونسائها من ذريتها وشيعتها، فيدخلون الجنة بغير حساب»[٤٦٠].

ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتابنا الشيعة وأهل البيت[٤٦١].

---

(٤٥٥) سورة النساء الآية (٢٨).

(٤٥٦) سورة المائدة الآية (٩٣).

(٤٥٧) انظر كتاب الروضة من الكافى للكلينى ج١ ص٧٨. ط ايران.

(٤٥٨) مقدمة البرهان في تفسير القرآن لمفسر شيعى هاشم البحرانى ص٢١. ط طهران.

(٤٥٩) عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمى ج٢ ص٢٣٦.

(٤٦٠) تفسير القمى ج١ ص١٢٨.

(٤٦١) انظر ص ٢٣٠ وما بعد الطبعة الثامنة. ط إدارة ترجمان السنة باكستان.

وكذلك الشيعة والسنة(٤٦٢)

وأما المتصوفة فيقولون بكل هذا، سالكين مسلك هؤلاء الضالة المنحرفين

«وفي النساك قوم يزعمون أن العبادة تبلغ بهم إلى درجة تزول فيها عنهم العبادات، وتكون الأشياء المحظورات على غيرهم من الزنا وغيره مباحات لهم»(٤٦٣).

وقالوا:

«اذا وصلت إلى مقام اليقين سقطت عنك العبادة، مؤوّلين قول الله عز وجل: واعبد ربك حتى يأتيك اليقين»(٤٦٤).

ولقد أقر صوفي قديم بوجود هؤلاء المتصوفة ومن هم على منوالهم - وما أكثرهم - فقال:

«وارتحل عن القلوب حرمة الشريعة، فعدّوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام، ودانوا بترك الاحترام، وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات، واستهانوا بالصوم والصلاة، وركضوا في ميدان الغفلات، وركنوا إلى اتباع الشهوات، وقلة المبالاة بتعاطي المحظورات، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة والنسوان وأصحاب السلطان.

ثم لم يرضوا بما تعاطوه من سوء هذه الأفعال، حتى أشاروا إلى أعلى الحقائق والأحوال، وادّعوا أنهم تحرروا من رقّ الأغلال، وتحققوا بحقائق الوصال، وأنهم تجرى عليهم أحكامه وهم محو، وليس لله عليهم فيما يؤثرونه او يذرونه عتب ولا لوم، وأنهم كوشفوا بأسرار الأحدية، واختطفوا عنهم بالكلية، وزالت عنهم أحكام البشرية، وبقوا بعد فنائهم عنهم بأنوار الصمدية، والقائل عنهم غيرهم اذا نطقوا، والنائب عنهم سواهم فيما تصرفوا، بل صرفوا

ولما طال الابتلاء فيما نحن فيه من الزمان بما لوّحت ببعضه من هذه القصة، وكنت لا أبسط الى هذه الغاية لسان الانكار، غيرة على هذه الطريقة أن يذكر أهلها

---

(٤٦٢) انظر ص٥١، ٥٢ الطبعة الجديدة، الثلاثون. ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.

(٤٦٣) مقالات الإسلاميين للأشعري ص٢٨٩. ط هلموت ريتر الطبعة الثالثة فرانزستايز ١٩٨٠م.

(٤٦٤) اتحاف السادة للزبيدي ج٨ ص٢٧٨ المنقول من كتاب نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها للدكتور عرفان عبد الحميد ص٧٤. ط المكتب الإسلامي بيروت ١٩٧٤م.

بسوء، أو يجد مخالف لثلبهم مساغا، اذ البلوى فى هذه الديار بالمخالفين لهذه الطريقة والمنكرين عليها شديدة»(٤٦٥).

كما أقرّ باباحتهم للمحظورات، الطوسى فى كتابه:

«زعمت الفرقة الضالة، فى الحظر والاباحة، أن الأشياء فى الأصل مباحة، وانما وقع الحظر للتعدّى، فاذا لم يقع التعدّى تكون الأشياء على أصلها من الاباحة، وتأوّلوا قول الله عز وجل: ﴿**فأنبتنا فيها حبّا، وعنبا وقضبا. وزيتونا ونخلا. وحدائق غلبا. وفاكهة وأبّا. متاعا لكم ولأنعامكم**﴾.

فقالوا: هذا على الجملة غير مفصل، فأدّاهم ذلك بجهلهم، الى أن طمعت نفوسهم بأن المحظور الممنوع منه المسلمون: مباح لهم، اذا لم يتعدّوا فى تناوله.

وانما غلطوا فى ذلك بدقيقة خفيت عليهم، من جهلهم بالأصول، وقلة حظهم من علم الشريعة، ومتابعتهم شهوات النفس فى ذلك... فظنت هذه الطائفة الضالة بالاباحة، لأن ذلك كان منهم على حال، جاز لهم ترك الحدود، أو أن يجاوزوا حد متابعة الأمر والنهى، فوقعوا من جهلهم فى التيه، وتاهوا، وطلبوا ما مالت اليه نفوسهم: من اتباع الشهوات، وتناول المحظورات، تأويلا، وحيلا، وكذبا، وتمويها»(٤٦٦).

وذكرهم السهروردى بقوله:

فقوم من المفتونين سمّوا أنفسهم ملامتية، ولبسوا لبسة الصوفية، لينتسبوا بها إلى الصوفية، وما هم من الصوفية بشىء، بل هم فى غرور وغلط، يتسترون بلبسة الصوفية توقيتا تارة، ودعوى أخرى، وينتهجون مناهج أهل الاباحة، ويزعمون أن ضمائرهم خلصت الى الله تعالى، ويقولون: هذا هو الظفر بالمراد، والارتسام بمراسم الشريعة رتبة العوام، والقاصرين الأفهام المنحصرين فى مضيق الاقتداء تقليدا، وهذا هو عين الالحاد والزندقة والابعاد، فكل حقيقة ردّتها الشريعة فهى زندقة، وجهل هؤلاء المغرورون أن الشريعة حق العبودية، والحقيقة هى حقيقة العبودية، ومن صار من أهل الحقيقة تقيد بحقوق العبودية وصار مطالبا بأمور وزيادات لا يطالب بها من لم يصل الى ذلك، لا أنه يخلع عن عنقه ربقة التكليف،

---

(٤٦٥) الرسالة القشيرية ج١ ص٢٢، ٢٣، ٢٤ بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود.

(٤٦٦) كتاب اللمع للطوسى ص٥٣٨، ٥٣٩.

ويخامر باطنه الزيغ والتحريف . . . ومن جملة أولئك قوم يقولون بالحلول ويزعمون أن الله تعالى يحل فيهم ويحل فى أجسام يصطفيها ، ويسبق لأفهامهم معنى من قول النصارى فى اللاهوت والناسوت .

ومنهم من يستبيح النظر الى المستحسنات اشارة الى هذا الوهم(٤٦٧) .

وهؤلاء الذين ذكرهم ابن الجوزى بقوله :

«اعلم أن أكثر الصوفية المتصوفة قد سدوا على أنفسهم باب النظر الى النساء الاجانب لبعدهم عن مصاحبتهن وامتناعهم عن مخالطتهن ، واشتغلوا بالتعبد عن النكاح ، واتفقت صحبة الاحداث لهم على وجه الارادة وقصد الزهادة ، فأمالهم ابليس اليهم ، واعلم ان المتصوفة فى صحبة الاحداث على سبعة أقسام :

القسم الأول ـ أخبث القو، وهم ناس تشبهوا بالصوفية ويقولون بالحلول .

اخبرنا محمد بن عبد الباقى بن أحمد بن سليمان ، نا أبو على الحسين بن محمد بن الفضل الكرمانى ، نا سهل بن على الخشاب ، نا أبو نصر عبد الله بن السراج ، قال : بلغنى ان جماعة من الحلولية زعموا أن الحق تعالى اصطفى أجساما حل فيها بمعانى الربوبية . ومنهم من قال : هو حال فى المستحسنات . وذكر أبو عبد الله بن حامد من أصحابنا أن طائفة من الصوفية قالوا : انهم يرون الله عز وجل فى الدنيا ، وأجازوا أن يكون فى صفة الآدمى ولم يأبوا كونه حالا فى الصورة الحسنة حتى استشهدوه فى رؤيتهم الغلام الأسود .

القسم الثانى ـ قوم يتشبهون بالصوفية فى ملبسهم ويقصدون الفسق .

القسم الثالث ـ قوم يستبيحون النظر الى المستحسن . وقد صنف أبو عبد الرحمن السلمى كتابا سماه «سنن الصوفية» فقال فى أواخر الكتاب : باب فى جوامع رخصهم ، فذكر فيه الرقص والغناء والنظر إلى وجه الحسن .

وذكر فيه ما روى عن النبى عليه السلام أنه قال : أطلبوا الخير عند حسان الوجوه . وانه قال : ثلاثة تجلو البصر : النظر الى خضرة ، والنظر الى ماء ، والنظر الى الوجه الحسن(٤٦٨) .

ثم حكى حكايات كثيرة عن هؤلاء المتصوفة ، تدل على فسقهم وفجورهم .

---

(٤٦٧) عوارف المعارف للسهروردى ص٧٨ ، ٧٩ .

(٤٦٨) تلبي ابليس لابن الجوزى ص٢٩٥ ، ٢٩٦ . ط دار الوعى العربى بيروت لبنان .

ومما ذكرها أن صبيا أمرد حكى له، قال: قال لى فلان الصوفى وهو يجبنى: يا بنىّ، لله فيك اقبال والتفات، حيث جعل حاجتى اليك.

وحكى أن جماعة من الصوفية دخلوا على أحمد الغزالى وعنده أمرد، وهو خال به وبينهما ورد، وهو ينظر الى الورد تارة، والى الأمرد تارة، فلما جلسوا قال بعضهم: لعلنا كدرنا، فقال: أي والله، فتصايح الجماعة على سبيل التواجد.

وحكى أبو الحسين بن يوسف أنه كتب اليه فى رقعة: انك تحب غلامك التركى، فقرأ الرقعة ثم استدعى الغلام فصعد اليه النظر فقبله بين عينيه، وقال: هذا جواب الرقعة.

قال المصنف رحمه الله: قلت: انى لأعجب من فعل هذا الرجل والقائه جلباب الحياء عن وجهه، وانما أعجب من البهائم الحاضرين كيف سكتوا عن الانكار عليه، ولكن الشريعة بردت فى قلوب كثير من الناس(٤٦٩).

ومن الأبيات التى يستمع اليها الصوفية، ويرقصون عليها، ويغنّون بها أبيات ذكر طرفا منها فى كتابه:

«أتذكر وقتنا وقد اجتمعنا ... على طيب السماع الى الصباح
ودارت بيننا كأس الأغانى ... فاسكرت النفوس بغير راح
فلم تر فيهم إلا نشاوى ... سرورا والسرور هناك صاح
اذا لبّى أخو اللذات فيه ... منادى اللهو حىّ على الفلاح
ولم نملك سوى المهجات شيئا ... أرقناها لألحاظ ملاح»(٤٧٠)

وأيضا قال يوسف بن الحسين:

«كل ما رأيتمونى أفعله فافعلوه إلا صحبة الأحداث فانها أفتن الفتن، ولقد عاهدت ربّى أكثر من مائة مرة أن لا أصحب حدثا، ففسخها على حسن الخدود، وقوام القدود، وغنج العيون، وما سألنى الله معهم عن معصية، وأنشد صريع الغوانى فى معنى ذلك شعرا:

ان ورد الخدود والحدق النجـ ... ـل وما فى الثغور من أقحوان
واعوجاج الأصداغ فى ظاهر الخد ... وما فى الصدور من رمان

(٤٦٩) انظر ص ٢٩٨ من تلبيس ابليس لابن الجوزى.
(٤٧٠) أيضا ص ٢٩٩.

تركتني بين الغواني صريعا　　　فلهذا أدعى صريع الغواني»(٤٧١)

فعن هؤلاء قال شيخ الاسلام ابن تيمية:

«فكل الرسل دعوا الى عبادة الله وحده لا شريك له، والى طاعتهم والايمان بالرسل هو الأصل الثاني من أصلي الاسلام، فمن لم يؤمن بأن هذا رسول الله الى جميع العالمين وانه يجب على جميع الخلق متابعته، وان الحلال ما أحله، والحرام ما حرمه، والدين ما شرعه فهو كافر مثل هؤلاء المنافقين، ونحوهم من يجوز الخروج عن دينه وشريعته وطاعته، إما عموما وإما خصوصا... ويعتقدون مع هذا أنهم من أولياء الله، وان الخروج عن الشريعة المحمدية سائغ لهم، وكل هذا ضلال وباطل، وان كان لأصحابه زهد وعبادة»(٤٧٢).

وقال الحافظ ابن حزم الظاهري:

«ادّعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله تعالى من هو أفضل من جميع الأنبياء والرسل، وقالوا:

من بلغ الغاية القصوى من الولاية سقطت عنه الشرائع كلها من الصلاة والصيام والزكاة وغير ذلك، وحلت له المحرمات كلها من الزنا والخمر وغير ذلك، واستباحوا بهذا نساء غيرهم، وقالوا بأننا نرى الله ونكلمه، وكلما قذف في نفوسنا فهو حق.

ورأيت لرجل منهم يعرف بابن شمعون كلاما نصه أن لله تعالىماية اسم، وان الموفى مائة هو ستة وثلاثون حرفا ليس منها في حروف الهجاء شيء إلا واحد فقط، وبذلك الواحد يصل أهل المقامات الى الحق. وقال أيضا: أخبرني بعض من رسم لمجالسة الحق أنه مدّ رجله يوما فنودي: ما هكذا مجالس الملوك، فلم يمدّ رجله بعدها. يعني أنه كان مديما لمجالسة الله تعالى»(٤٧٣).

ولذلك قال أبو علي وفا:

«وبعد الفنا بالله كن كيفما تشا　　　فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر»(٤٧٤)

ونقل الدكتور عبد الحليم محمود قاعدة عامة للصوفية بقوله:

---

(٤٧١) أيضا ص ٣٠٥.

(٤٧٢) مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الاسلام ابن تيمية ص٤٤، ٤٥.

(٤٧٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل للحافظ ابن حزم ج٤ ص٢٢٦.

(٤٧٤) كتاب سيدي أحمد الدردير للدكتور عبد الحليم محمود ص٩٥. ط دار الكتب الحديثة القاهرة.

«اعرف الله وكن كيف شئت»[٤٧٥].

هذا ولقد ورد فى كتب الصوفية حكايات كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، تدل على اتيان المتصوفة المنكر، واباحتهم المحظورات، وتركهم الواجبات، ومع ذلك عدّوهم من أولياء الله وكبار المستجابين عند الرب تبارك وتعالى عما يقوله الأفاكون علوا كبيرا، عن أن يختار الفسقة الفجرة أولياءه وأصفياءه.

منهم من ذكره «القطب الربانى والهيكل الصمدانى العارف بالله عبد الوهاب الشعرانى» فى طبقاته ذكر أن سيده على وحيش «كان رضى الله عنه من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال، وكان يأتى مصر والمحلة وغيرهما من البلاد، وله كرامات وخوارق، واجتمعت به يوما فى خط ما بين القصرين، فقال لى: ودّينى للزلبانى فودّيته له، فدعا لى وقال: الله يصبرك على ما بين يديك من البلوى.

وأخبرنى الشيخ محمد الطنيخى رحمه الله تعالى قال: كان الشيخ وحيش رضى الله عنه يقيم عندنا فى المحلة فى خان بنات الخطا، وكان كل من خرج يقول له: قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج، فيشفع فيه، وكان يحبس بعضهم اليوم واليومين ولا يمكنه أن يخرج حتى يجاب فى شفاعته، وقال يوما لبنات الخطا: اخرجوا فان الخان رائح يطبق عليكم فما سمع منهن إلا واحدة، فخرجت، ووقع على الباقى فمتن كلهن.

وكان إذا رأى شيخ بلد وغيره ينزله من على الحمارة ويقوله له: أمسك رأسها لى حتى أفعل فيها، فان أبى شيخ البلد تسمّر فى الأرض لا يستطيع أن يمشى خطوة، وان سمع حصل له خجل عظيم والناس يمرّون عليه، وكان له أحوال غريبة»[٤٧٦]

وماذا نستطيع أن نقول بعد سرد هذه الرواية عن الشعرانى، ثم مدحه لمثل هذا الفاجر الخبيث، وجعله من أعيان المجاذيب، وأرباب الأحوال، وصاحب الكرامات والخوارق، ومستجاب الدعوات، مأذونا بالشفاعة عند الله، وليس مأذونا فحسب، بل شفيعا مقبولا، مبشرا بقبول شفاعته فيمن أراد أن يشفع فيهم، وهل هناك استهزاء بالشريعة، وتعطيل لحدود الله، وتلاعب بأوامر الله ونواهيه، وزندقة والحاد، وفسق وفجور أكبر من هذا؟

---

(٤٧٥) المدرسة الشاذلية الحديثة وإمامها أبو الحسن الشاذلى ص٥٣. ط القاهرة.

(٤٧٦) طبقات الشعرانى ج٢ ص ١٥٠، ١٥١.

هذا ما لا يوجد له نظير حتى لدى الشيعة، منبع كل فساد، ومصدر كل رذيلة، .

ولكن التلميذ قد فاق أستاذه، والمريد مرشده، والمتعلم معلمه.

وهناك آخر من كبار مشائخ القوم، يسمونه قطب الواصلين عبد العزيز الدباغ، يقول:

«إن بعض المريدين قال لشيخه: ياسيدى دلّنى على شيء يريحنى مع الله عز وجل.

فقال له الشيخ: إن أردت ذلك فكن شبيها له فى شيء من أوصافه عز وجل، فإنك إن اتصفت بشيء منها فانه يسكنك يوم القيامة مع أوليائه فى دار نعيمه ولا يسكنك مع أعدائه فى دار جحيمه.

فقال المريد: وكيف لى بذلك ياسيدى وأوصافه تعالى لا تنحصر.

فقال الشيخ: كن شبيهه فى بعضها، فقال: وما هو ياسيدى؟

فقال: كن من الذين يقولون الحق، فإن من أوصافه تعالى قول الحق، فإن كنت من الذين يقولون الحق فان الله سيرحمك، فعاهد الشيخ على أنه يقول الحق، وافترقا.

وكان بجوار المريد بنت فدخل الشيطان بينهما حتى فجر بها وافتضها، فلم تقدر البنت على الصبر مع أنها هى التى طلبت منه الفعل، لأنها تعلم أن الافتضاض لا يخفى بعد ذلك، فأعلمت أباها فرفعه الى الحاكم، وقال: ان هذا فعل ببنتى كذا وكذا.

فقال الحاكم للمريد: اتسمع ما يقول؟

فقال: صدق، قد فعلت ذلك، وكان مستحضرا للعهد الذى فارق الشيخ عليه، فلم يقدر على الجحود والنكران، فلما سمع منه الحاكم ما سمع، قال: هذا أحمق، اذهبوا به الى المارستان، فان العاقل لا يقرّ على نفسه بما يعود عليه بالضرر، فدخل المارستان، ثم جاء من رغب الحاكم، وشفع فيه فسرّحوه»(٤٧٧).

وأحد كبار القوم و«شهيد التصوف الامام الأجل نجم الملة والدين قطب الاسلام والمسلمين، برهان السنة، محيى الحق نجم الدين الكبرى» يخبر عن فسقه

---

(٤٧٧) الأبريز للدباغ ص٤٣. ط مصر

وفجوره بأسلوب صوفى : فيقول :

«عشقت واحدا ببلاد المغرب فسلطت عليه الهمة فأخذته وربطته ومنعته عن سواى، إلا أنه كان عليه رقباء، فسكت عن صريح المقال، وجعل يكلمنى بلسان الحال، فأفهمه وأكلمه كذلك فيفهمه، وانتهى الأمر الى أن صرت أنا هو، وهو أنا، ووقع العشق الى محض صفاء الروح، فجاءتنى روحه سحرا تمرّغ وجهها فى التراب وتقول: أيها الشيخ الأمان، الأمان، قتلتنى، أدركنى، فقلت: ماذا تريد؟

قالت: أريد أن تدعنى حتى أقبل قدمك، فأذنت لها، ففعلت ورفعت وجهها، فقبلتها حتى استراحت واطمأنت الى صدرى»(٤٧٨).

ومادمنا تطرقنا الى هذا الموضوع فاننا نقول: ان جماعة من الصوفية ولو أنهم تظاهروا بالصلاح والتقوى لم يستطيعوا أن يخفوا ويكتموا عشقهم وفسقهم، وشهدوا عليهم بعدم مبالاة الشرع وأحكامه، والتطرق الى المنكرات والمحظورات.

فهذا هو الشيخ الأكبر للصوفية محيى الدين بن عربى يرفع الستار عن شخصه وكنهه، مثلما شهد تلميذه نجم الدين الكبرى على نفسه، فيقول شارحا لديوانه (ترجمان الأشواق) الذى فضحه هو وعشقه ببنت أحد مشائخ مكة، وتشبيبه وغزله فيها، وقد كثر الكلام والغمز واللمز فيه «وأحدث هذا الشعر دويّا وأقاويل حوله مما جعل بدل الحبشى واسماعيل بن سودقين يطلبان اليه شرح هذا الديوان»(٤٧٩).

فأراد أن يغطى ما قاله فيها من الغزل الركيك المتندح عشقا وحبا وجذبا وشوقا الى تلك الحسناء المكية بغطاء صوفى بدهاء ومكر، فما استطاع إلا اظهار ما كان خافيا من قبل أكثر بكثير.

فانظره ماذا يقول فى مقدمة ذخائره، والعبارة ناطقة بصوت رفيع ولا بصوت خافت، بما هو مكنون بين جنباتها وتراكيبها :

«فانى لما نزلت مكة سنة خمسمائة وثمان وتسعين ألفيت بها جماعة من الفضلاء، وعصابة من الأكابر والأدباء والصلحاء بين رجال ونساء، ولم أر فيهم مع فضلهم مشغولا بنفسه، مشغوفا فيما بين يومه وأمسه، مثل الشيخ العالم الامام، بمقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام، نزيل مكة البلد الأمين مكين الدين أبى شجاع زاهر بن رستم

(٤٧٨) فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين الكبرى ص٦٤، ٦٥. ط المانيا.

(٤٧٩) مقدمة ذخائر الأعلاق لمحمد عبد الرحمن الكروى ص (و) ط مطبعة السعادة مصر.

بن أبي الرجاء الأصفهاني رحمه الله . . . وكان لهذا الشيخ رضى الله عنه بنت عذراء ، طفيلة هيفاء ، تقيد النظر ، وتزين المحاضر ، وتحير المناظر ، تسمى بالنظام ، وتلقب بعين الشمس وإليها من العابدات العالمات السابحات الزاهدات شيخة الحرمين ، وتربية البلد الأمين الأعظم بلامين ، ساحرة الطرف ، عراقية الظرف ، إن أسهبت أثعبت ، وإن أوجزت أعجزت ، وإن أفصحت أوضحت إن نطقت خرس قس بن ساعدة ، وإن كرمت خنس معن بن زائدة ، وإن وفت قصر السموأل خطاه ، وأغرى ورأى بظهر الغرر وامتطاه ، ولولا النفوس الضعيفة السريعة الأمراض ، السيئة الأغراض ، لأخذت فى شرح ما أودع الله تعالى فى خلقها من الحسن ، وفى خلقها الذى هو روضة المزن ، شمس بين العلماء ، بستان بين الأدباء ، حقة مختومة ، واسطة عقد منظومة ، يتيمة دهرها ، كريمة عصرها ، سابغة الكرم ، عالية الهمم ، سيدة والديها ، شريفة ناديها ، مسكها جياد وبيتها من العين السواد ومن الصدر الفؤاد أشرقت بها تهامه ، وفتح الروض لمجاورتها أكمامه ، فنمت أعراف المعارف ، بما تحمله من الرقائق واللطائف ، علمها عملها ، عليها مسحة ملك وهمة ملك ، ، فراعينا فى صحبتها كريم ذاتها مع ما انضاف إلى ذلك من صحبة العمة والوالد ، فقلدناها من نظمنا فى هذا الكتاب أحسن القلائد بلسان النسيب الرائق ، وعبارات الغزل اللائق ، ولم أبلغ فى ذلك بعض ما تجده النفس ، ويثيره الأنس ، من كريم ودها ، وقديم عهدها ، ولطافة معناها ، وطهارة مغناها ، إذ هى السؤال والمأمول ، والعذراء البتول ، ولكن نظمنا فيها بعض خاطر الاشتياق ، من تلك الذخائر والأعلاق ، فأعربت عن نفس تواقة ، ونبهت على ما عندنا من العلاقة ، اهتماماً بالأمر القديم ، وإيثاراً لمجلسها الكريم ، فكل اسم أذكره فى هذا الجزء فمنها أكنى ، وكل دار أندبها فدارها أعني »(٤٨٠) .

ولم تكن واحدة هذه التى علق بها قلب الشيخ ، وهام وراءها ، بل كانت هناك أخرى أيضا ، وفى بيت الله الحرام وجنب الكعبة ، انظره ماذا يقول :

«كنت أطوف ذات ليلة بالبيت فطاب وقتى ، وهزّنى حال كنت أعرفه ، فخرجت من البلاط من أجل الناس وطفت على الرمل ، فحضرتنى أبيات فأنشدتها أسمع بها نفسى ومن يلينى ـ لو كان هناك أحد ـ وهى قوله :

---

(٤٨٠) ذخائر الأعلاق لابن عربى ص١ إلى ٤

ليت شعرى هل دروا أىّ قلب ملكوا
وفؤادى لو درى أىّ شعب سلكوا
أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى فى الهوى وارتبكوا

فلم أشعر إلا بضربة بين كتفى بكف ألين من الخزّ، فالتفت فإذا بجارية من بنات الروم لم أر أحسن وجهاً، ولا أعذب منطقاً، ولا أرق حاشية، ولا ألطف معنى، ولا أدق إشارة، ولا أظرف محاورة منها، قد فاقت أهل زمانها ظرفاً وأدباً وجمالا ومعرفة، فقالت: ياسيدى كيف قلت؟ فقلت:

ليت شعرى هل دروا أىّ قلب ملكوا

فقالت: عجباً منك وأنت عارف زمانك تقول مثل هذا؟ أليس كل مملوك معروف؟ وهل يصح الملك إلا بعد المعرفة وتمنى الشعور يؤذن بعدمها والطريق لسان صدق فكيف يجوز لمثلك أن يقول مثل هذا؟ قل ياسيدى: ماذا قلت بعده؟ فقلت

وفؤادى لو درى أىّ شعب سلكوا

فقالت: ياسيدى الشعب الذى بين الشغاف والفؤاد هو المانع له من المعرفة، فكيف يتمنى مثلك ما لا يمكن الوصول إليه إلا بعد المعرفة، والطريق لسان صدق فكيف يجوز لمثلك أن يقول مثل هذا ياسيدى!؟ فماذا قلت بعده؟ فقلت:

أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا

فقالت: أما هم فسلموا، ولكن اسأل عنك فينبغى أن تسأل نفسك: هل سلمت أم هلكت ياسيدى؟ فما قلت بعده؟ فقلت:

حار أرباب الهوى فى الهوى وارتبكوا

فصاحت وقالت: ياعجباً كيف يبقى للمشغوف فضلة يحار بها، والهوى شأنه التعميم. يخدر الحواس ويذهب العقول ويدهش الخواطر ويذهب بصاحبه فى الذاهبين فأين الحيرة وما هنا باق فيحار والطريق لسان صدق والتجوز من مثلك غير لائق. فقلت: يابنت الخالة ما اسمك؟ قالت: قرة العين. فقلت: لى. ثم سلمت وانصرفت. ثم إنى عرفتها بعد ذلك وعاشرتها فرأيت عندها من لطائف المعارف الأربع ما لا يصفه واصف»(٤٨١).

---

(٤٨١) ذخائر الأعلاق لابن عربى ص٧، ٨.

ولا أدرى كيف يستسيغ المدافعون عن ابن عربى أن يبرئوه من هذه الشهادة التى شهد بها على نفسه، وأن يخلصوه من ذلك المأزق الذى وقع نفسه بنفسه فيه، وهل يبيح أحد هؤلاء المدافعين عنه أن يذكره أحد ـ لاسمح الله ـ هكذا باسمه، ثم يذكر كريمته ويتسبب فيها ويتغزل كما تغزل وتشبب شيخهم الأكبر فى كريمة ذلك الشيخ المكى، فكيف يرضون لغيرهم ما لا يرضون لأنفسهم؟

ومادمنا بدأنا بذكر الاعترافات نورد ههنا اعترافا آخر من أحد مشائخ القوم يدل على سيرتهم وعلى سريرتهم أيضا، وهو أن أحمد بن المبارك راوية عبد العزيز الدباغ يذكر أن كاتبه عبد الله بن على وأخاه عبد الرحمن صعدا يوما على سطح مدرسة العطارين، ثم ماذا حدث؟

اسمع عنهما، ما يقولان:

«فرأينا على سطوح الدور نسوة مجتمعات ومتفرقات، فجعلنا ننظر اليهن ونتذاكر أمرهن فيما بيننا، ونضحك أحيانا، ثم وثب أحدنا مرة إلى الهواء من قوة ما غلب علينا من المزاح.

فلما قدمنا دار الشيخ رضى الله عنه وجلسنا فى الصقلابية المعروفة جعل رضى الله عنه يضحك ضحكا كثيرا. ويقول: ما أملح الشيخ الذى لا يكاشف، ثم قال: أين كنتما؟ أصدقانى، ولا تكذبا علىّ. فذكرنا له الأمر الذى كان.

فجعل رضى الله عنه يذكر لنا أمر النسوة ومكانتهن فى السطوح كأنه حاضر معنا، وذكر لنا أيضا الوثبة المتقدمة من غير أن نذكرها له، فذكر لنا رضى الله عنه أنه كان حينئذ جالسا مع بعض من قصده للزيارة فلم يشعروا به حتى تفرقع بالضحك، وذلك حين شاهد تلك الوثبة فظن من حضر أنه كان يضحك عليه»(٤٨٢).

هذا وان هناك صوفيا كبيرا من شبه القارة الهندية الباكستانية لازال مشهده قائما يزار ويقام عليه العرس سنويا، ولعله من أكبر الأعراس فى باكستان، وهو مشهد الصوفى المشهور بمادهو لعل حسين.

وان أصحاب السير والطبقات ذكروا فى ترجمته أنه كان من أولياء الله ومستجاب الدعوات، وما كان يطلب شيئا من الربّ إلا لبي طلبه، فكان حافظا للقرآن وعالما فقيها، ويوما من الأيام كان يدرس عند شيخه سعد الله تفسير مدارك التنزيل، فلما

(٤٨٢) الابريز لعبد العزيز الدباغ ص٢٧

بلغ إلى قوله عز وجل: (انما الحياة الدنيا لهو ولعب) طرأ عليه الوجد، وبدأ يرقص ويقول: مادام أن الحياة لهو ولعب فلماذا لا نلهو ونلعب؟

فأخذ كتبه ورماها فى البئر، وحلق لحيته وشواربه، وأخذ كأس الخمر، وبدأ يرقص فى الشوارع والأسواق، كما بدأ يرتاد بيوت المومسات، ويقضى أوقاته فيها، الى أن وقع نظره على أمرد هندوكى جميل، فوله به وكلف، وعشقه، ومازال يطوف حول بيته ست عشرة سنة حتى أوقعه فى حباله وفخه، وجعل أسمه جزء اسمه، فصار مادهو لعل حسين، بعد أن كان حسينا فقط، وبعد وفاته صار مزاره مهبط الأنوار، ومحط البركات، مثل ما كان هو فى حياته[٤٨٣].

هذا من جانب. ومن جانب آخر يذكر الشعرانى صوفيا آخر صاحب كشف، فيقول:

«سيدى شريف رضى الله عنه ورحمه كان يأكل فى نهار رمضان، ويقول: أنا معتوق، أعتقنى ربى»[٤٨٤].

ومثل هذا يذكرون عن أبى يزيد البسطامى أنه «أخرج من كمّه رغيفا، وأخذ فى أكله فى المدينة، وكان هذا فى شهر رمضان»[٤٨٥].

وينقلون عن الشبلى أنه كان يقول:

«يا ويلاه، إن صليت جحدت، وإن لم أصلّ كفرت»[٤٨٦].

والقصص والحكايات مثل هذه كثيرة جدا لا تعدّ ولا تحصى، تدل على رفع التكاليف واسقاط الشريعة، وقد نورد بعضا منها فى محله فى الجزء الثانى من هذا الكتاب إن شاء الله.

وهناك عقائد وآراء وأفكار أخرى عديدة، فيها تشابه كامل وتوافق تام مع الشيعة، تدل على أنها مأخوذة مقتبسة منهم، ولكننا نكتفى بهذا القدر منها، لجلاء الموضوع ووضوح المبحث، بعد ما أثبتناها من كتب الفريقين، المعتمدة الموثوقة، وبسرد ألفاظهم وعباراتهم، ومع تأييد الشيعة، وتوثيق السنة، وشهادة الآخرين من اليهود والنصارى من المستشرقين.

---

(٤٨٣) انظر تذكرة أولياء الباكستان والهند للدكتور ظهور الحسن شارب ج٢ ص٢٥٩ وما بعد.

(٤٨٤) طبقات الشعرانى ج٢ ص ١٥١.

(٤٨٥) كشف المحجوب للهجويرى ترجمة عربية ص٢٦٢.

(٤٨٦) التعرف للكلاباذى ص ١٦٣.

فإن الشيعى الإيرانى المعاصر قد صرّح فى كتابه :

«تـذهب جماعـة إلى أن التصـوف ليس إلا رد فعـل أوجـده الفتـح العـربى الاسـلامى فى نفـوس العنصـر الآرى الإيـرانى ، وخـلاصة قولهم أن الايرانيين بعدما غلبوا على أمرهم بسيوف العرب فى مواقع القادسية وجلولاء وحلوان ونهاوند ، أدركوا انهم فقـدوا استقـلالهم وأضـاعـوا مجدهم ، ثم انهم اعتنقوا الديانة الاسلامية ، ولكن العـرب الـذين كان الايرانيون ينظرون إليهم منذ القدم بنظرة غير راضية لم يستطيعوا أن يغـير وا رغم انتصـارهم مجرى التفكـير الايـرانى ، وأن يجعلوهم مشـاركين لهم فى أسلوب تفكـيرهم واتجـاهاتهم وميولهم وسليقتهم ومنطقهم وكذلك فى آمالهم وأمانيهم وغـايـاتهم الـروحيـة المثـاليـة لأن التبـاين الشكلى والمعنـوى أى الفـروق العنصـرية والاختـلافـات فى أسلوب المعيشة والأوضاع الاجتماعية بين هاتين الأمتين كان شديدا للغـايـة . وبنـاء على ذلـك بعـدمـا انتهت المعـارك الحـربية باندحار الايرانيين بدأت الانفعـالات والتأثـيرات المعنـوية والروحية تظهر عند الايرانيين بأسلوب المساجلات الفكـريـة التى كان لها أثـر بالـغ فى التـاريـخ الأدبى والمذهبى والاجتماعى والسياسى للعرب والاسلام .

ومن أهم تلك الانعكاسات التى ترتبت على تلك الانفعالات الفكرية التشيع أولا والتصـوف ثانيـا . وينبغى أن نضيف إلى هذه المـلاحظـة أن الغـرض من ذكـر الانفعالات فى هذا الباب ليس القول بأن الايرانيين أقدموا على هذا العمل اختيارا أو تعمـدا وقـد تأتت فى أكثـر الظـروف بحكم الانفعـالات النفسيـة وبتأثـير العـواطف والأحـاسيس الخفيـة بصورة ثابتة كما يرى علماء النفس ؛ أى من غير أن يعرف الناس أنفسهم غالبـا السبب الحقيقى أو يستطيعـوا تحليـل أفكـارهم وأحـاسيسهم انسـاقت أفكارهم إلى أمثال هذه الانفعالات العكسية»(٤٨٧) .

وأمـا الشيعى العـراقى فقـد كتب كتابا مستقلاً لاثبات تأثر التصوف بالتشيع ، واستفادة الصوفية من الشيعة ، وأخذهم عنهم ، فيقول فى كتابه :

«وينبغى أن نذكـر الـدور الـذى قام به الفـرس من ادخـالهم مثلهم الـدينية فى التشيـع الغـالى الأول حين نصروا المختار، وعاضدوا حركة الغلو العجلية ، وانضموا

---

(٤٨٧) تاريخ التصوف في الإسلام للدكتور قاسم غنى الايرانى ترجمة عربية لصادق نشأت ص ١٤ . ط مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠م.

إلى حركـة أبى هاشم، وانضـافـوا الى الحركة السريّة العباسية التى ورثت حركة أبى هاشم، حتى أدّى بهم الأمـر الى تأليـه أبى مسلم الخـراسـانى، كما فعلوا مع أئمـة الشيعة من العلويين. يضاف الى ذلك أنهم نصروا حركة عبد الله بن معاوية فى فارس أيضا، وأسبغوا عليه النور الالهى الذى سنجده فى التصوف واضحا جليا.

وهذا كله يعنى أن الفرس قد بدؤ ا اضافة القداسة الى البيت النبوى باعتبارها أسـاسـا موازيـا لأسسهم السيـاسيـة والدينية السابقة من تأليهم الملوك، وقولهم بالنور الـذى ينتقـل من ملك إلى آخـر، فثبتت الـولاية لعلىّ بن أبى طالب على نحومبالغ فيه، وانتقلت هذه الولاية المقدسة مع زيادات واضافات وحواش الى الأئمة من بعده حتى بلغ الأمر حدّ التأليه(٤٨٨).

وأمـا السنـة فلقـد نقلنـا فيـما سبق رأى شيخ الاسلام ابن تيمية، وابن خلدون وغـيرهما فى ذلـك الخصـوص، كما ذكـرنـا أيضـا رأى المستشـرق الانجليزى المشهور المتعاطف مع التصوف والصوفية ـ وهو نيكلسون ـ، وبمثل ما قاله قال جولد زيهر»(٤٨٩).

وأخـــيرا نختم كلامنـــا فى هذا الخصـــوص على مقـــولـــة المستشـرق براون (BROWN) المشهورة:

«ان التشيع والتصوف كانا من الأسلحة التى حارب بها الفرس العرب»(٤٩٠).

---

(٤٨٨) الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل مصطفى الشيبى ج١ ص٣٧٢. ط دار الأندلس بيروت

(٤٨٩) انظر العقيدة والشريعة في الإسلام لجولدزيهر ص ١٣٩ وما بعد.

(٤٩٠) Brown : A Literary History of Persia Vol. 1 P. 410.

مصادر الكتاب ومراجعه

كتب الصوفيــة :

* ـ الإبريز لعبد العزيز الدباغ . ط مصر .

١ ـ أحاسن المجالس لأبي إسحاق إبراهيم . ط المكتبة السلفية . مكة المكرمة ١٣٩٠هـ .

٢ ـ أحمد بن مخلوف الشبابى لعلى الشبابى . ط المكتبة الشبابية . الجزائر ١٩٧٩م .

٣ ـ أحوال وآثار فريد الدين مسعود كنج شكر (أردو) . ط باكستان .

٤ ـ أحــوال وأقــوال شيـخ أبي الحسن الخـرقـانى (فـارسى) الطبعـة الثـالثـة ١٣٦٣هجرى . قمرى ايران .

٥ ـ أحوال ابدال لمحمد عبد العزيز مزنكوى (اردو) . ط باكستان .

٦ ـ إحياء علوم الدين للغزالى . ط . دار القلم . بيروت .

٧ ـ الأخلاق المتبولية لعبد الوهاب الشعرانى . ط مطبعة دار التراث العربى . القاهرة .

٨ ـ آداب الصوفية لنجم الدين كبرى (فارسى) . ط كتاب فروشى زوّار ايران .

٩ ـ أستاذ السائرين الحارث بن أسد المحاسبى للدكتور عبد الحليم محمود . ط دار الكتب الحديثة . القاهرة .

١٠ ـ أسرار الأولياء ملفوظات فريد الدين . ط باكستان .

١١ ـ اسرار نامه (فارسى) لعطار نيشابورى . ط ايران .

١٢ ـ الاسراء لابن عربى . ط حيدر آباد دكن الهند ١٣٦٧هـ .

١٣ ـ الاسم الأعظم للغزالى . ط مكتبة نصير . القاهرة .

١٤ ـ اصطـلاحـات الصـوفيـة لكـمال الـدين عبد الرزاق القاشانى . ط الهيئة المصرية العامة للكتاب بمصر .

١٥ ـ الألواح العمادية للسهروردى بتحقيق نجف قلى ط مركز تحقيقات فارسى إيران وباكستان .

١٦ ـ الأمر المحكم المربوط فيما يلزم أهل الطريق لابن عربى بتحقيق محمد عبد الرحمن الكردى. ط القاهرة.
١٧ ـ الانتصار لطريق الصوفية الأخيار لزمزمى بن محمد. ط دار مرجان للطباعة. مصر.
١٨ ـ الإنسان الكامل لعبد الكريم الجيلى الطبعة الرابعة ١٩٨١م.
١٩ ـ إنشاء الدوائر لابن عربى ط. مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦هـ.
٢٠ ـ أوراد الأحباب وفصوص الآداب لأبي المفاخر يحيى الباخرزى. ط طهران ١٩٦٦م.
٢١ ـ الأنوار القدسية في معرفة القواعد الصوفية لعبد الوهاب الشعرانى. ط دار إحياء التراث العربى بغداد ١٩٨٤م.
٢٢ ـ إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة الحسنى. ط مصطفى البابى الحلبى. القاهرة.
٢٣ ـ أيها الولد للغزالى. ط دار الاعتصام. القاهرة.
٢٤ ـ آئينه شاه ناصر أولياء لمحمد أنور بدخشانى. ط كراتشى. باكستان.
٢٥ ـ بايزيد الأنصارى للدكتور مير ولى خان. ط مجمع البحوث الإسلامية. باكستان ١٣٩٦هـ.
٢٦ ـ البرهان المؤيد لأحمد الرفاعى. ط القاهرة.
٢٧ ـ بيان الأحكام في السجادة والخرقة والأعلام لعلى بن ميمون المغربى مخطوط.
٢٨ ـ تأييد الحقيقة الجلية للسيوطى.
٢٩ ـ تاريخ مشائخ جشت (اردو) لخليق أحمد نظامى. ط باكستان.
٣٠ ـ التجليات لابن عربى. ط دكن الهند.
٣١ ـ التدبيرات الإلهية لابن عربى. ط ليدن ١٣٣٦هـ.
٣٢ ـ تذكرة الأولياء (اردو) لفريد الدين العطار. ط باكستان.
٣٣ ـ تذكرة أولياء باك وهند (اردو) للدكتور ظهور الحسن شارب. ط باكستان.
٣٤ ـ تذكرة أولياء بر صغير (اردو) لميرزه محمد اختر الدهلوى. ط باكستان.
٣٥ ـ تذكرة أولياء كرام لصباح الدين عبد الرحمن (اردو). ط باكستان.
٣٦ ـ تذكرة صوفياء بلوجستان (اردو) للدكتور انعام الحق كوثر. ط باكستان.

٣٧ ـ تذكرة صوفياء بنجاب (اردو) لاعجاز الحق قدوسى. ط باكستان.
٣٨ ـ تذكرة غوثيه (اردو) لشاه كل حسن قادرى. ط باكستان.
٣٩ ـ التراجم لابن عربى. ط دكن الهند.
٤٠ ـ ترتيب السلوك للقشيرى. ط المعهد المركزى للأبحاث الإسلامية اسلام آباد باكستان.
٤١ ـ ترتيب السلوك إلى ملك الملوك لجمال الدين محمد بن عمر بحرق الحضرمى. ط جامعة بنجاب لاهور باكستان.
٤٢ ـ ترصيع الجواهر المكية لعبد الغنى الرافعى. ط المطبعة العامرية مصر ١٣٠١هـ.
٤٣ ـ تحقيق الأسفار الأربعة لحسن نورى. ط شيراز ايران.
٤٤ ـ التصوف في الإسلام لعرجون محمد الصادق مكتبة الكليات الأزهرية. القاهرة ١٩٦٧م.
٤٥ ـ التصوف والأمير عبد القادر الحسنى الجزائرى لجواد المرابط. ط دار اليقظة دمشق ١٩٦٦م.
٤٦ ـ التصوف الإسلامى والإمام الشعرانى لطه عبد الباقى سرور. ط دار نهضة مصر.
٤٧ ـ التصوف في تراث ابن تيمية للدكتور طبلاوى محمد سعد. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م.
٤٨ ـ التصوف الإسلامى الخالص للمنوفى. ط دار نهضة مصر.
٤٩ ـ تصوف اسلام (اردو) لعبد الماجد دريا آبادى. ط باكستان.
٥٠ ـ التعرض لمذهب أهل التصوف لأبي بكر محمد الكلاباذى الطبعة الثالثة مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٤٠٠هـ.
٥١ ـ التعريفات للجرجانى مخطوط.
٥٢ ـ تفسير ابن عربى. ط انتشارات ناصر خسرو طهران.
٥٣ ـ تنبيه المغتربين لعبد الوهاب الشعرانى. ط مصر.
٥٤ ـ تنبيه الغافلين لأبي الليث بن نصر محمد. ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة ١٩٣٣م.
٥٥ ـ ثلاث رسائل لشهاب الدين السهروردى. ط مركز تحقيقات فارسى ايران وباكستان.

٥٦ ـ جامع الأصول في الأولياء لأحمد الكمشخانوى. ط المطبعة الوهبية طرابلس الشام ١٢٩٨هـ.
٥٧ ـ جامع كرامات الأولياء لابن عربى. ط دار صادر بيروت.
٥٨ ـ جامى (فارسى) لعلى اصغر حكمت. ط انتشارات توس ايران.
٥٩ ـ جمهرة الأولياء لأبي الفيض المنوفى الحسينى. ط مؤسسة الحلبى القاهرة.
٦٠ ـ الجواب المستقيم لابن عربى مخطوط.
٦١ ـ الجواهر والدرر للشعرانى. ط مصر.
٦٢ ـ الجواهر اللماعة لعلى المرزوقى. ط مصطفى البابى الحلبى مصر.
٦٣ ـ جهل مجلس لعلاء الدين سمنانى بتصحيح عبد الرفيع حقيقت (فارسى).
٦٤ ـ الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية. ط باكستان.
٦٥ ـ الحب الإلهى في التصوف الإسلامى لمحمد مصطفى حلمى. ط القاهرة ١٩٦٠م.

٦٦ ـ حضرات القدس (فارسى) لبدر الدين سرهندى. ط لاهور ١٩٧١م.
٦٧ ـ حقائق عن التصوف لعبد القادر عيسى الطبعة الرابعة. المطبعة الوطنية عمان ١٤٠١هـ.
٦٨ ـ حكمة الاشراق لشهاب الدين السهروردى.
٦٩ ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهانى. ط دار الكتاب العربى بيروت ١٩٨٠م.
٧٠ ـ الحلاج لطه عبد الباقى سرور. ط دار نهضة مصر القاهرة.
٧١ ـ حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب بهامش قوت القلوب. ط دار صادر بيروت.
٧٢ ـ الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد للسيوطى مخطوط.
٧٣ ـ ختم الولاية للحكيم الترمذى. ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.
٧٤ ـ خزينة الأصفياء (اردو) لمفتى غلام سرور. ط باكستان.
٧٥ ـ خزينة معرفت (اردو) للصوفى محمد إبراهيم قصورى. ط باكستان.
٧٦ ـ درر الغواص على فتاوى سيدى على الخواص لعبد الوهاب الشعرانى. بهامش الأبريز للدباغ. ط مصر.

٧٧ ـ الدر المنظم في الاسم الأعظم للسيوطي . ط مكتبة نصير القاهرة .
٧٨ ـ الدرر الثمين والمورد المعين لمحمد بن أحمد المالكى . ط مصطفى البابى الحلبى ١٩٥٤م .
٧٩ ـ الدرر السنية في الطريقة التيجانية لمحمد سعد الرباطابى . ط مكتبة القاهرة .
٨٠ ـ دلائل الخيرات . ط مصطفى البابى الحلبى ١٣٤٦هـ .
٨١ ـ ديوان ابن عربى . ط مكتبة محمد ركابى الرشيدى القاهرة .
٨٢ ـ ديوان ابن فارض . ط مكتبة القاهرة ١٣٩٩هـ .
٨٣ ـ ديوان البرعى . ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة .
٨٤ ـ ديوان البوصيرى لشرف الدين بوصيرى . ط مصطفى البابى الحلبى مصر .
٨٥ ـ ديوان الحلاج الطبعة الثانية بغداد ١٤٠٤هـ .
٨٦ ـ ديوان منصور حلاج (فارسى) ط انتشارات كتابخانه سنائى طهران .
٨٧ ـ ديوان فريد الدين عطار نيشابورى (فارسى) ط كتابخانه سنائى طهران .
٨٨ ـ ذخائر الاعلاق لابن عربى . ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة .
٨٩ ـ راحة القلوب ملفوظات فريد الدين كنج شكر (اردو) ط باكستان .
٩٠ ـ الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيرى . ط دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٧٤م .
٩١ ـ رسالة النصوص لمحمد بن إسحاق القونوى . ط مشهد ايران .
٩٢ ـ الرستميات (فارسى) لأبي سعيد محمد بن محمد الرستمى . ط مجمع البحوث الإسلامية إسلام آباد باكستان .
٩٣ ـ روح السنة وروح النفوس المطمئنة لأحمد بن ادريس . ط دار إحياء الكتب العربية مصر .
٩٤ ـ روضة التعريف بالحب الشريف للسان الدين بن الخطيب . ط دار الفكر العربى .
٩٥ ـ زبدة الحقائق لعزيز الدين النسفى تقديم حق وردى ناصرى . ط كتابخانه طهورى طهران .
٩٦ ـ ساعة مع العارفين لسعيد الأعظمى . ط دار الاعتصام القاهرة .

٩٧ ـ سبيل الأذكار والاعتبار لعبد الله باعلوى الحداد بهامش النصائح الدينية للمؤلف المذكور. ط مطبعة إحياء الكتب العربية القاهرة.

٩٨ ـ سبيل الجنة في التربية بالطريقة القادرية لمحمد ناصر. ط الهند.

٩٩ ـ سر سبردكانه (فارسى) لمحمد على. ط كتابخانه منوشرى ايران.

١٠٠ ـ سيدى أحمد الدردير للدكتور عبد الحليم محمود. ط دار الكتب الحديثة القاهرة.

١٠١ ـ السيد البدوى بين الحقيقة والخرافة للدكتور أحمد صبحى منصور الطبعة الأولى مطبعة الدعوة الإسلامية مصر.

١٠٢ ـ السيد البدوى لأحمد محمد حجاب. ط مؤسسة سعيد للطباعة مصر.

١٠٣ ـ سير الأقطاب (اردو) لعبد الرحيم. ط باكستان.

١٠٤ ـ سير الأولياء لمحمد بن مبارك علوى. ط مؤسسة انتشارات إسلامى باكستان.

١٠٥ ـ سير العارفين (اردو) لحامد بن فضل الله جمالى. ط لاهور باكستان.

١٠٦ ـ شجرة الكون لابن عربى. ط باكستان ١٩٨٠م.

١٠٧ ـ شرح الحجب والأستار لرزبهان أبى محمد ط حيدر آباد الهند ١٣٣٣هـ.

١٠٨ ـ شرح الزيارة للجماعة الكبيرة لأحمد بن زين الدين مطبع السادات ايران.

١٠٩ ـ شرح المسائل الروحانية لابن عربى ضمن كتاب ختم الولاية للحكيم الترمذى. ط المطبعة الكاثوليكية بيروت.

١١٠ ـ شرح مقدمة التائية الكبرى لداود القيصرى مخطوط.

١١١ ـ شرح شطحيات (فارسى) لروزبهان بقلى شيرازى بتصحيح هنرى كربين. ط طهران.

١١٢ ـ شرح الفصوص للقيصرى مخطوط.

١١٣ ـ شرح حال الأولياء لعز الدين المقدسى مخطوط.

١١٤ ـ الشريعة والحقيقة للدكتور حسن محمد شرقاوى. ط القاهرة.

١١٥ ـ شموس الأنوار لابن الحاج تلمسانى. ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة.

١١٦ ـ شهاب الدين السهروردى للدكتور إبراهيم مدكور. ط الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١١٧ ـ صوم القلب لعمار البدليسى مخطوط .

١١٨ ـ الصلاة الكبرى لابن عربى مخطوط .

١١٩ ـ الطبقات للسلمى . ط مطابع الشعب القاهرة ١٣٨٠هـ.

١٢٠ ـ طبقات الأولياء لابن الملقن. ط مكتبة الخانجى القاهرة ١٣٩٣هـ.

١٢١ ـ الطبقات الكبرى للشعرانى . ط دار العلم للجميع ، وط المطبعة العامرية العثمانية ١٣٠٥هـ القاهرة.

١٢٢ ـ الطبقات الصغرى للشعرانى . ط مكتبة القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٠هـ.

١٢٣ ـ الطبقات في خصوص الأولياء والصالحين والعلماء والشعراء في السودان لمحمد ضيف الله الجعلى الفضلى . ط المكتبة الثقافية بيروت . لبنان.

١٢٤ ـ الطريق إلى الله لأبي سعيد الخراز. ط دار الكتب الحديثة مصر.

١٢٥ ـ طريق النجاة (فارسى) لكريم خان كرمانى مطبع السادات ايران ١٣٩٦هـ.

١٢٦ ـ طهارة القلوب لعبد العزيز الدرينى . ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة.

١٢٧ ـ الطواسين للحلاج . ط المعارف باكستان .

١٢٨ ـ عبد الله الأنصارى الهروى للدكتور محمد سعيد عبد المجيد . ط دار الكتب الحديثة مصر.

١٢٩ ـ عبد الله خويشكى قصورى (أردو) لمحمد اقبال مجددى . ط باكستان .

١٣٠ ـ عبد الرحمن الثعالبى والتصوف لعبد الرزاق قسوم . ط الشركة الوطنية الجزائر.

١٣١ ـ العظة والاعتبار في حياة السيد البدوى لأحمد محمد الحجاب . ط القاهرة.

١٣٢ ـ العروة للسمنانى مخطوط .

١٣٣ ـ عقلة المستوفز لابن عربى . ط مطبعة بريل ليدن ١٣٣٦هـ.

١٣٤ ـ عقيدة أهل المعانى في شرح قصيدة بدء الأمالى لأبي الحسن محمد الدوسى . ط مكتبة ايشيق تركيا .

١٣٥ ـ العقل وفهم القرآن للحارث بن أسد المحاسبى . ط دار الكندى الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ.

١٣٦ ـ العلوم الإلهية والأسرار الربانية لابن عربى . ط مكتبة نصير القاهرة .

١٣٧ ـ عوارف المعارف لعبد القاهر السهروردى . ط دار الكتاب العربى بيروت ١٤٠٣هـ.

١٣٨ ـ غزليات شمس تبريزى (فارسى) ط طهران .

١٣٩ ـ غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية للنفزى الرندى . ط دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٧٠م .

١٤٠ ـ الفتح الربانى والفيض الرحمانى لعبد القادر الجيلانى . ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة .

١٤١ ـ الفتح المبين فيما يتعلق بترياق المحبين لأبي الظفر القادرى الطبعة الأولى المطبعة الخيرية مصر ١٣٠٦هـ.

١٤٢ ـ الفتح الربانى لعبد العزيز نابلوسى . المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٠م .

١٤٣ ـ الفتوحات الإلهية لابن عجيبة الحسنى . ط عالم الفكر القاهرة .

١٤٤ ـ الفتوحات المحمدية لمبارك على . ط باكستان ١٩٨١م .

١٤٥ ـ الفتوحات المكية لابن عربى . ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٥هـ.

١٤٦ ـ فتوحات نامه لعبد الرزاق كاشانى (فارسى) . ط طهران .

١٤٧ ـ فرائد اللآلى من رسائل الغزالى بتحقيق محمد بخيت . ط فرج الله ذكى الكردى مصر ١٣٤٤هـ.

١٤٨ ـ فرحة الناظرين لمحمد اسلم (أردو) . ط باكستان .

١٤٩ ـ فصوص الحكم لابن عربى بتعليقات الدكتور أبي العلاء العفيفى . ط دار الكتاب العربى بيروت .

١٥٠ ـ فوائح الجمال وفواتح الجلال لنجم الدين كبرى .

١٥١ ـ فوائد الفواد ملفوظات خواجه نظام الدين اولياء (أردو) . ط أوقاف لاهور باكستان .

١٥٢ ـ الفوائد في الصلات والعوائد لشهاب الدين الشرجى اليمنى . ط مصطفى البابى الحلبى مصر . ١٣٨٨هـ.

١٥٣ ـ فوائد العز الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وخواصها لمحمد الشبراوى الشافعى بهامش الفوائد لشهاب الدين الشرجى . ط مصطفى البابى الحلبى . مصر.
١٥٤ ـ قرة العيون ومفرّح القلب المحزون لأبي الليث السمرقندى. ط دار إحياء الكتب العربية مصر.
١٥٥ ـ القصد للشاذلى مخطوط .
١٥٦ ـ قلادة الجواهر في ذكر الرفاعى وأتباعه الأكابر لمحمد أبي الهدى الرفاعى . ط بيروت ١٤٠٠هـ.
١٥٧ ـ قواعد التصوف لأحمد بن زروق. ط مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة ١٩٧٦م.
١٥٨ ـ قوانين حكم الاشراق لأبي المواهب الشاذلى . ط مكتبة الكليات الأزهرية مصر.
١٥٩ ـ قوت القلوب لأبي طالب المكى . ط دار صادر بيروت .
١٦٠ ـ كتاب الاستبصار لأهل الأذكار لأحمد محمود زين الدين الحسينى . ط مطبعة الأنوار القاهرة .
١٦١ ـ كتاب البرهان الأزهر في مناقب الشيخ الأكبر لمحمود رجب حلمى .
١٦٢ ـ كتاب المخاطبات لمحمد بن عبد الجبار النفزى. ط مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة.
١٦٣ ـ كتاب المواقف لمحمد بن عبد الجبار النفزى. ط مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة.
١٦٤ ـ كشف الحجاب لأحمد بن الحاج العياشى . ط ١٣٨١هـ ١٩٣٤م.
١٦٥ ـ كشف الحقائق للنسفى بتصحيح الدكتور أحمد مهدى (فارسى) ط طهران ١٣٥٩هـ.
١٦٦ ـ كشف الغمة عن جميع الأئمة للشعرانى . ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة.
١٦٧ ـ كشف المحجوب للهجويرى ترجمة عربية. ط دار النهضة العربية بيروت .
١٦٨ ـ كفاية الأتقياء ومنهاج الأصفياء للبكرى المكى الدمياطي . ط دار الكتب العربية الكبرى مصر ١٣٢٥هـ.

١٦٩ ـ كلزار ابرار لمحمد غوثى شطارى (اردو) ط باكستان.
١٧٠ ـ كلزار صوفياء (اردو) لعالم فقرى. ط باكستان.
١٧١ ـ كلمة الحق لعبد الرحمن (أردو). ط لكنو الهند ١٨٨٣م.
١٧٢ ـ كليات وديوان شمس تبريزى (فارسى) لجلال الدين محمد بلخى. ط نشر طلوع ايران.
١٧٣ ـ الكندى وآراؤه الفلسفية للدكتور عبد الرحمن شاه ولى. ط مجمع البحوث العلمية باكستان.
١٧٤ ـ كنجينه كوهر (فارسى) لملا أحمدى قاضى. ط مطبعة الحوادث ايران.
١٧٥ ـ لطائف المنن والأخلاق لعبد الوهاب الشعرانى. ط القاهرة.
١٧٦ ـ لطائف المنن لابن عطاء الله الأسكندرى. ط مطبعة حسان القاهرة.
١٧٧ ـ اللطف الدانى لعبد الوهاب محمد امين. ط القاهرة.
١٧٨ ـ اللمع للسراج الطوسى. ط دار الكتب الحديثة مصر.
١٧٩ ـ اللمحات لشهاب الدين السهروردى. ط مركز تحقيقات فارسى ايران وباكستان ١٩٨٤م.
١٨٠ ـ اللمعات لفخر الدين عراقى (فارسى) ط ايران.
١٨١ ـ لوائح لعبد الرحمن جامى (فارسى). ط لاهور باكستان.
١٨٢ ـ المثنوى العربى النورى لسعيد النورى. ط مطبعة الزهراء بغداد.
١٨٣ ـ المجالس الرفاعية لأحمد الرفاعى. ط مطبعة الإرشاد بغداد.
١٨٤ ـ مجموع مخطوط بالفاتيكان عربى رقم ١٢٤٢.
١٨٥ ـ مجموعة في الحكمة المشرقية لشهاب الدين السهروردى.
١٨٦ ـ المحبة والشوق للغزالى. ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة.
١٨٧ ـ محاسن المجالس لابن العريف. ط باريس ١٩٣٣م.
١٨٨ ـ محمد سليمان تونسوى (اردو) للدكتور محمد حسين للّهى. ط باكستان.
١٨٩ ـ محيى الدين ابن عربى (فارسى) للدكتور محسن جهانغيرى الطبعة الثانية طهران.
١٩٠ ـ محيى الدين ابن عربى لطه عبد الباقى سرور. ط القاهرة.
١٩١ ـ مختصر تذكرة القرطبى لعبد الوهاب الشعرانى. ط دار احياء الكتب العربية مصر.

١٩٢ ـ المدرسة الحديثة الشاذلية وإمامها أبو الحسن الشاذلي للدكتور عبد الحليم محمود. ط دار الكتب الحديثة القاهرة.
١٩٣ ـ مدينة الأولياء (اردو) لمحمد دين كليم قادرى. ط باكستان.
١٩٤ ـ مشتهى الخارف الجانى لمحمد الخضر الشنقيطى.
١٩٥ ـ مصباح العلوم في معرفة الحي القيوم لأحمد بن حسن الرصاص. ط دار الاعتصام القاهرة.
١٩٦ ـ مطالع المسرات لمحمد المهدى بن أحمد. ط مصطفى البابى الحلبى ١٩٧٠م.
١٩٧ ـ معارج المقربين لمحمد ماضى أبي العزائم. دار الثقافة العربية للطباعة مصر.
١٩٨ ـ المعارضة والرد لسهل بن عبد الله التسترى. ط دار الإنسان القاهرة.
١٩٩ ـ المقدمات للفرغانى مخطوط.
٢٠٠ ـ مقصود المؤمنين لبايزيد الأنصارى. ط مجمع البحوث الإسلامية إسلام آباد باكستان.
٢٠١ ـ مكاشفة القلوب للغزالى. ط الشعب القاهرة.
٢٠٢ ـ مناقب العارفين للأفلاكى (فارسى) ط دنياء كتاب الطبعة الثانية ١٣٦٢ هجرى قمرى.
٢٠٣ ـ مناقب الصوفية لقطب الدين المروزى. ط طهران.
٢٠٤ ـ مناقب الصوفية (فارسى) لأبي المظفر المروزى باهتمام محمد تقى وايرج اخشار. ط طهران.
٢٠٥ ـ مناقب الصوفية (فارسى) لمنصور بن اردشير ط إيران.
٢٠٦ ـ مناقب العارفين لشمس الدين الأفلاكى (فارسى) ط دنياء كتاب ايران.
٢٠٧ ـ من أعلام التصوف الإسلامى لطه عبد الباقى سرور. ط دار نهضة مصر.
٢٠٨ ـ المنتخبات من مكتوبات المجدد (فارسى). مكتبة ايشيق تركيا.
٢٠٩ ـ المنقذ من الضلال للغزالى. ط دار الكتاب اللبنانى بيروت.
٢١٠ ـ المنقذ من الضلال مجموعة مؤلفات عبد الحليم محمود. ط دار الكتاب اللبنانى بيروت.

٢١١ ـ منازل السائرين مع العلل والمقامات لعبد الله الأنصارى الهروى. ط ايران.

٢١٢ ـ منبع أصول الحكمة لأبي العباس أحمد بن على بونى. ط مصطفى البابى الحلبى.

٢١٣ ـ منح المنة لعبد الوهاب الشعرانى. ط مكتبة عالم الفكر القاهرة ١٣٩٩هـ.

٢١٤ ـ منطق الطير لفريد الدين العطار. ط دار الأندلس بيروت.

٢١٥ ـ منهاج العابدين للغزالى. ط مصطفى البابى الحلبى مصر.

٢١٦ ـ المنهج الموصل إلى الطريقة الأنهج لمصطفى الصادقى مخطوط.

٢١٧ ـ المواقف الإلهية لابن قضيب البان ضمن كتاب الإنسان الكامل للبدوى. ط الكويت.

٢١٨ ـ مولانا رومى لبشير محمود اختر (اردو) ط إدارة ثقافت إسلامية باكستان.

٢١٩ ـ مواقع النجوم لابن عربى. ط مطبعة السعادة مصر ١٣٢٥هـ.

٢٢٠ ـ مهرمنير لمهر على شاه (اردو) ط باكستان.

٢٢١ ـ نزهة المجالس لعبد الرحمن الصفورى. ط مكتبة الشرق الجديد بغداد. العراق.

٢٢٢ ـ نساء فاضلات لعبد البديع صقر. ط دار الاعتصام القاهرة.

٢٢٣ ـ نسيم الأنس لزين الدين بن رجب مخطوط.

٢٢٤ ـ نشاط التصوف الإسلامى لابراهيم بسيونى. ط دار المعارف القاهرة ١٩٦٩م.

٢٢٥ ـ النصائح الدينية لعبد الله باعلوى الحداد. ط مطبعة دار احياء الكتب العربية القاهرة.

٢٢٦ ـ نص النصوص لحيدر الاملى مخطوط.

٢٢٧ ـ النفحة العلية في أوراد الشاذلية لعبد القادر زكى. ط مكتبة المثنى القاهرة.

٢٢٨ ـ نفحة الروح وتحفة الفتوح لمؤيد الدين جندى. ط طهران ١٣٦٢ هجرى قمرى.

٢٢٩ ـ نفحات الأنس (فارسى) لعبد الرحمن جامى. ط ايران ١٣٣٧هـ.

٢٣٠ ـ نوادر الأصول للحكيم الترمذى . ط الآستانا .
٢٣١ ـ الوصية الكبرى لعبد السلام الأسمر الفيتورى . ط مكتبة النجاح طرابلس ليبيا ١٩٧٦م .
٢٣٢ ـ اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر لعبد الوهاب الشعرانى . ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة ١٣٧٨هـ .

كتب غير الصوفية من المسلمين :

٢٣٣ ـ ابن سبعين وفلسفته الصوفية للدكتور أبى الوفاء الغنيمى التفتازانى . ط دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٧٣م .
٢٣٤ ـ أبو نعيم وكتابه الحلية لمحمد لطفى الصباغ . ط دار الاعتصام القاهرة .
٢٣٥ ـ اتحاف السادة للزبيدى . ط المكتب الإسلامى بيروت ١٩٧٤م .
٢٣٦ ـ أخبار الحكماء للقفطى .
٢٣٧ ـ أديان الهند الكبرى للشلبى . ط القاهرة ١٩٦٤م .
٢٣٨ ـ أساس البلاغة للزمخشرى . ط إحياء المعاجم العربية القاهرة .
٢٣٩ ـ أضواء على التصوف للدكتور طلعت غنام . ط عالم الكتب القاهرة .
٢٤٠ ـ الاعتصام للشاطبى . ط مطبعة السعادة مصر .
٢٤١ ـ الأنساب للسمعانى . ط محمد امين دمج بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .
٢٤٢ ـ الأنسان الكامل في الإسلام للدكتور عبد الرحمن بدوى . ط وكالة المطبوعات الكويت .
٢٤٣ ـ البداية والنهاية لابن كثير . ط بيروت .
٢٤٤ ـ بين التصوف والحياة لعبد البارى الندوى . ط دار الفتح دمشق ١٩٦٣م .
٢٤٥ ـ بوارق الأسماع في إلحاد من يحل السماع (أردو) لمير عالم . ط مطبع منشى فخر الدين . ط باكستان .
٢٤٦ ـ تاريخ التصوف الإسلامى للدكتور عبد الرحمن بدوى . ط وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٨م .
٢٤٧ ـ تاريخ التصوف في الإسلام للدكتور قاسم غنى ترجمة عربية لصادق نشأت . ط مكتبة النهضة المصرية القاهرة .

٢٤٨ ـ تاريخ تصوف للدكتور محمد اقبال (أردو). ط لاهور باكستان.

٢٤٩ ـ التبصير في الدين للأسفرائيني ط القاهرة.

٢٥٠ ـ تذكرة الحفاظ للذهبي. ط القاهرة.

٢٥١ ـ التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية للدكتور عبد الرحمن بدوى. ط وكالة المطبوعات الكويت.

٢٥٢ ـ التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق للدكتور زكى مبارك. ط دار الجيل لبنان.

٢٥٣ ـ التصوف بين الحق والخلق لمحمد فهر شفقة. ط الدار السلفية الكويت.

٢٥٤ ـ التصوف بين الدين والفلسفة للدكتور ابراهيم هلال. ط دار النهضة العربية القاهرة.

٢٥٥ ـ التصوف في تهامة لمحمد بن أحمد العقيلي. ط دار البلاد جده.

٢٥٦ ـ التنبيه والرد للملطى تحقيق محمد زاهد الكوثرى. ط مصر ١٣٦٠هـ.

٢٥٧ ـ تلبيس ابليس لابن الجوزى. ط دار الوعى بيروت أيضا. ط دار القلم بيروت.

٢٥٨ ـ تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر العسقلاني. ط بيروت.

٢٥٩ ـ جستجودر تصوف ايران (فارسى) للدكتور عبد المحسن زرين كوب. ط مؤسسة انتشارات امير كبير طهران ١٣٦٣هـ.

٢٦٠ ـ حادى الأرواح لابن قيم الجوزية. ط دار القلم بيروت لبنان.

٢٦١ ـ الخضر في الفكر الصوفى لعبد الرحمن عبد الخالق. ط الدار السلفية الكويت.

٢٦٢ ـ الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها مذهب الشيعة الاثنى عشرية للسيد محب الدين الخطيب.

٢٦٣ ـ خلاصة الأثر للمحبى.

٢٦٤ ـ دائرة المعارف الإسلامية (اردو) ط جامعة بنجاب لاهور باكستان.

٢٦٥ ـ دراسات في التصوف الإسلامى للدكتور محمد جلال شرف. ط دار النهضة العربية بيروت ١٩٨٠م..

٢٦٦ ـ دنباله جستجودر تصوف (فارسى) للدكتور عبد الحسين زرين كوب. ط ايران.

٢٦٧ ـ ذم ما عليه مدعو التصوف لأبي محمد موفق الدين. ط المكتب الإسلامى بيروت.
٢٦٨ ـ روضة المحبين لابن قيم الجوزية. ط دار الكتب العلمية بيروت.
٢٦٩ ـ سير اعلام النبلاء للإمام الذهبي. ط بيروت.
٢٧٠ ـ الشيعة وأهل البيت للمؤلف. ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.
٢٧١ ـ الشيعة والسنة للمؤلف. ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.
٢٧٢ ـ صحيح البخاري.
٢٧٣ ـ صحيح مسلم.
٢٧٤ ـ الصوفية، الوجه الآخر للدكتور محمد جميل غازى. ط القاهرة.
٢٧٥ ـ الصوفية والفقراء لشيخ الإسلام ابن تيمية. ط دار الفتح القاهرة.
٢٧٦ ـ الصوفية في ضوء الكتاب والسنة لعبد المجيد محمد. ط القاهرة.
٢٧٧ ـ الصوفية في نظر الإسلام لسميع عاطف الزين. ط دار الكتاب اللبنانى بيروت.
٢٧٨ ـ ضحى الإسلام لأحمد أمين. ط القاهرة ١٩٥٢م.
٢٧٩ ـ الطبقات لابن سعد. ط بيروت.
٢٨٠ ـ الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية. ط إدارة ترجمان السنة لاهور باكستان.
٢٨١ ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل للحافظ ابن حزم. ط بيروت.
٢٨٢ ـ فضائح الباطنية للغزالى. ط مؤسسة دار الكتب الثقافية الكويت.
٢٨٣ ـ فلسفة الهند القديمة لمحمد عبد السلام ط الهند الرامبورى.
٢٨٤ ـ الفلسفة الصوفية في الإسلام للدكتور عبد القادر محمود. ط دار الفكر العربى القاهرة.
٢٨٥ ـ القاديانية للمؤلف ط باكستان.
٢٨٦ ـ القاموس المحيط للفيروز آبادى. ط مصطفى البابى الحلبى القاهرة.
٢٨٧ ـ القول المنبى فى تكفير ابن عربى للنحاوى مخطوط.
٢٨٨ ـ لسان العرب لابن منظور الأفريقى. ط دار صادر بيروت.
٢٨٩ ـ مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية. ط دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٢٩٠ ـ مدخل إلى التصوف الإسلامى للأبى الوفاء الغنيمى ط مصر.

٢٩١ ـ المسند للإمام أحمد .
٢٩٢ ـ المقدمة لابن خلدون . ط مطبعة مصطفى محمد مصر.
٢٩٣ ـ الملامتية وأهل الفتوة والصوفية لأبي العلاء العفيفى . ط دار احياء الكتب العربية مصر.
٢٩٤ ـ منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية . ط لاهور باكستان .
٢٩٥ ـ الملل والنحل للشهرستانى بهامش الفصل لابن حزم . ط بيروت .
٢٩٦ ـ المؤطأ للإمام مالك .
٢٩٧ ـ نشأة الفلسفة الصوفية للدكتور عرفان عبد الحميد . ط المكتب الإسلامى بيروت ١٩٧٤م .
٢٩٨ ـ النجوم الزاهرة للتغرى البردى الأتابكى . ط وزارة الثقافة مصر.
٢٩٩ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان . ط بيروت .
٣٠٠ ـ الوافى بالوفيات .
٣٠١ ـ ولاية الله والطريق إليها للإمام الشوكانى . ط القاهرة .
٣٠٢ ـ هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل . ط دار الكتب العلمية .

كتب الشيعة والاسماعيلية :

٣٠٣ ـ أجزاء عن العقائد الاسماعيلية للداعى إبراهيم . ط امبرين نيشنل بريس ١٧٨٤م .
٣٠٤ ـ أربعة نصوص اسماعيلية للداعى الاسماعيلى المجهول بتحقيق ماسينيون . ط باريس .
٣٠٥ ـ أساس التأويل للقاضى الاسماعيلى النعمان . ط دار الثقافة بيروت .
٣٠٦ ـ الأصول من الكافى للكلينى . ط دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٨٨ هجرى قمرى .
٣٠٧ ـ أعلام النبوة لأبي حاتم الرازى تحقيق صلاح الصادى . ط ايران ١٣٩٧ هجرى قمرى .
٣٠٨ ـ أعيان الشيعة لمحسن الأمين . ط دار التعارف للمطبوعات بيروت .
٣٠٩ ـ اعتقادات الصدوق لابن بابويه القمى . ط ايران .
٣١٠ ـ الافتخار للداعى أبي يعقوب السجستانى . ط بيروت .
٣١١ ـ الأمالى للمفيد . ط قم ايران .

٣١٢ ـ بحار الأنوار للمجلسي . ط ايران .
٣١٣ ـ البرهان في تفسير القرآن لهاشم البحراني . ط ايران .
٣١٤ ـ بصائر الدرجات الكبرى للصفار. ط منشورات الأعلمي طهران ١٤٠٤هـ.
٣١٥ ـ بيت الدعوة الأسماعيلية مخطوط .
٣١٦ ـ بين التصوف والتشيع لهاشم معروف حسيني . ط دار القلم بيروت .
٣١٧ ـ تلخيص الشافي للطوسي . ط قم ايران .
٣١٨ ـ تنقيح المقال للمامقاني . ط طهران .
٣١٩ ـ حق اليقين (فارسي) للمجلسي . ط ايران .
٣٢٠ ـ حديقة الشيعة (فارسي) لأحمد بن محمد الأردبيلي . ط طهران .
٣٢١ ـ الخصال لابن بابويه القمي . ط ايران.
٣٢٢ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة لآقا بزرك الطهراني . ط ايران.
٣٢٣ ـ الرجال للحلي . ط ايران .
٣٢٤ ـ رجال الطوسي . ط نجف العراق.
٣٢٥ ـ رجال الكشي . ط كربلاء .
٣٢٦ ـ الزهد للحسين بن سعيد الأهوازي . ط ايران.
٣٢٧ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد . ط إيران.
٣٢٨ ـ شرح اعتقادات الصدوق . ط ايران.
٣٢٩ ـ الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل مصطفى الشيبي . ط بيروت ١٩٨٢م .
٣٣٠ ـ طرائق الحقائق للحاج معصوم على شاه . ط ايران.
٣٣١ ـ عيون أخبار الرضا لابن بابويه القمي . ط طهران.
٣٣٢ ـ فرق الشيعة للنوبختي . ط المطبعة الحيدرية نجف العراق.
٣٣٣ ـ الفصول المهمة في معرفة الأئمة للحر العاملي . ط مكتبة بصيرتي قم ايران .
٣٣٤ ـ الفكر الشيعي والنزعات الصوفية للدكتور كامل مصطفى الشيبي . مكتبة النهضة بغداد.
٣٣٥ ـ كمال الدين وتمام النعمة لابن بابويه القمي . ط دار الكتب الإسلامية طهران ١٣٩٥هـ.

٣٣٦ ـ مشارق أنوار اليقين للحافظ رجب البرسى . ط دار الأندلس بيروت
٣٣٧ ـ المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الأشعرى القمى . ط طهران .
٣٣٨ ـ منهج المقال للأستر آبادى. ط ايران .
٣٣٩ ـ منهاج الكرامة للحلى . ط باكستان .
٣٤٠ ـ النصرة للسجستانى . ط دار الثقافة بيروت .
٣٤١ ـ نهج البلاغة المنسوب إلى علي بن أبي طالب رضى الله عنه بتحقيق صبحى صالح بيروت .
٣٤٢ ـ الهفت الشريف للمفضل الجعفى تحقيق مصطفى غالب الاسماعيلى . ط بيروت .
٣٤٣ ـ ثلاث رسائل في الحكمة الإسلامية لمحمد كاظم عصار. ط المكتبة المرتضوية ايران .

كتب غير المسلمين :

٣٤٤ ـ انجيل .
٣٤٥ ـ آئين جوانمردى (فارسى) لهنرى كاربين. ط ايران .
٣٤٦ ـ ابن عربى حياته ومذهبه لآسين بلاثيوس ترجمة عربية دكتور عبد الرحمن بدوى. ط وكالة المطبوعات الكويت.
٣٤٧ ـ التاريخ العام للتصوف ومعالمه لميركس .
٣٤٨ ـ تاريخ العرب لحتى .
٣٤٩ ـ التصوف الإسلامى وتاريخه لنيكلسون ترجمة عربية للدكتور أبى الوفاء العفيفى . ط القاهرة.
٣٥٠ ـ التصوف لماسينيون. ط دار الكتاب اللبنانى بيروت ١٩٨٤م .
٣٥١ ـ العقيدة والشريعة في الإسلام لجولدزيهر .
٣٥٢ ـ فلسفة اليوجاليوجى راما شاراكه ط القاهرة .
٣٥٣ ـ الفكر العربى ومكانته في التاريخ للمستشرق أوليرى ترجمة تمام حسان. ط القاهرة.
٣٥٤ ـ قصة الحضارة لول ديورانت ترجمة عربية لمحمد بدران. ط القاهرة ١٩٦٤م .
٣٥٥ ـ للنت دستر كتاب بوذى مقدس ط الهند .
٣٥٦ ـ هذه هي الوجودية لبول فولكيبه .

فهرست الكتاب

إهــــداء ٣

المقدمـــة ٥

الباب الأول : التصوف نشأته، تاريخه وتطوراته : ١١

الفصل الأول : الإسلام عبارة عن الكتاب والسنة ١١

الفصل الثاني : أصل التصوف واشتقاقه ٢٠

الفصل الثالث : تعريف التصوف ٣٦

الفصل الرابع : بدء التصوف وظهوره ٤٠

الباب الثاني : مصادر التصوف ومآخذه : ٤٩

الزواج .... }
المسيحية .... } ٤٩ ـ ٧٩
ترك الدنيا .... }

الزاوية والملبس ٨٠

مصطلحات الصوفية ٩٣

المذاهب الهندية والفارسية ٩٧

الأفلاطونية الحديثة ١٢١

الباب الثالث : التشيع والتصوف : ١٣٧

جابر بن حيان ١٣٩

عبـــــدك ١٤٣

سلاسل التصـوف ١٤٧

نزول الوحي واتيان الملائكـة ١٥٩

المساواة بين النبي والولي ١٨٦

تفضيل الولي على النبي ١٨٨

اجراء النبـــوة ١٩٧

العصمـــــة ٢٠١

عدم خلو الأرض من الحجة ٢١٢

وجوب معرفة الإمام ٢١٥

الولاية والوصايـــــة ٢١٨
الحلـــــول والتناسخ ٢٢٣
مراتب الصوفية ٢٣١
التقيـــــــة ٢٣٦
الظاهر والباطن ٢٤٣
نسخ الشريعة ورفع التكاليف ٢٦٠
مصادر الكتاب ومراجعه ٢٧٧

الكتب باللغة الانجليزية :

(1) Oxford history of Church, London 1953.
(2) The story of Christian Church - 1933.
(3) A short history our Religion - London - 1922.
(4) Origin Christian Church Art Oxford - 1933.
(5) Buildings L6 EB Lib.
(6) History of an Cient Art, Finlay 195.
(7) The Buddha and the Cristle, by B,H Streeter London 1932.
(8) Brown A literary History of Persia.